# قصص ثقافية لأفلام وحكايات لها معنى

تأليف

محمد زكريا توفيق



# مقدمة

هذه مجموعة قصص ثقافية لأفلام شاهدتها، وروايات قرأتها أعجبتني، ووجدت لها معنى ومغزى. نشرتها تباعا على شبكة الإنترنت على مدار عدة سنوات. أردت أن أقدمها كهدية ملخصة للقارئ العزيز. هي لكبار الكتاب العالميين ومخرجي ومنتجي الأفلام السينمائية المشهورين. أضفت إليها قصيدتي شعر للشاعر الأمريكي الكبير، روبرت فروست.

ما أقدمه هنا، هو ملخص للعمل الأدبي مع تعليقي عليه. أحب أن أوضح بأن نقدي للعمل هو مجرد انطباع شخصي فقط لا غير. هو مجرد دردشة لفتح الشهية والحث على مشاهدة العمل الأصلي. فهذه أعمال جادة، رصينة، من روائع الأدب العالمي، تمجد القيم الإنسانية الرفيعة، ولا تنسى بسهولة.

وحتى لا أطيل عليكم، أترككم مع هذه المجموعة المختارة، والتي أرجو أن تنول رضاكم.

# أضواء المدينة لتشارلي شابلن



*تشارلي شابلن وفيرجينيا شيريل*

بعد بداية دخول الصوت إلى عالم السينما، أنتج تشارلي شابلن فيلمه الصامت والناجح "السيرك" عام 1928. أول فيلم ناطق في تاريخ السينما ظهر عام 1927 بعنوان "مطرب الجاز".

توقع الكثيرون أن هذه هي نهاية الأفلام الصامتة. إلا أن تشارلي شابلن استمر في إنتاج فيلمه الصامت متحديا هذه الموجة، وقدم لنا تحفته "أضواء المدينة". وهو فيلم يعتبر مثال جوهري لسحر وقوة تعبير الفيلم الصامت، وقدرته الطاغية والتي لا تقل عن قدرة الفيلم الناطق، على نقل المشاعر والأحاسيس المرهفة للمشاهد.

استغرق إنتاج فيلم "أضواء المدينة" ثلاث سنوات وكان عرضه الأول عام 1931. قُضيت بين كتابة السيناريو والتصوير والمونتاج. وهي أطول مدة إنتاج لأي فيلم لشابلن.

الفيلم يحكي قصة متشرد تعس، لكنه إنسان رقيق المشاعر قادر على العطاء بدون حدود بالرغم من كونه لا يملك شروي نقير. وقع في حب فتاة عمياء تبيع الزهور في شوارع المدينة.

الفتاة هي الأخرى فقيرة دقة إلى جانب كونها عمياء. تكافح من أجل البقاء على قيد الحياة. ويمر صديقنا تشارلي المتشرد بسلسلة من المواقف، بما في ذلك صداقة غريبة غير متكافئة هزلية مع مليونير من الطبقة العليا في حالة سكر شديدة. يكره الحياة ويحاول الانتحار عدة مرات.

أخيرا، يتم لم شمل تشارلي المتشرد مع حبيبته فتاة الزهور، ثم ينتهي الفيلم بصورة رائعة لمتشرد محب ولهان، يبتسم بإخلاص لحبيبته الجميلة الحلوة البريئة. في مشهد نادر لا ينسى، ليس له مثيل في أي فيلم ظهر في عالم السينما حتى الآن.

عند عرض الفيلم أول مرة، عام 1931، قوبل بتعليقات إيجابية كثيرة من النقاد. في عام 1991، تم إدراجه في السجل الوطني للأفلام السينمائية في الولايات المتحدة، بسبب أهميته الثقافية والتاريخية والفنية.

في عام 2007، صنفه معهد الفيلم الأمريكي ووضعه في المرتبة الحادية عشر ضمن أفضل الأفلام الأمريكية التي ظهرت حتى الآن. فيلم "أضواء المدينة" لتشارلي شابلن، سيُذكر على الدوام كتحفة سينمائية حقيقية بكل المقاييس والمعايير.

يبدأ الفيلم بكشف الغطاء عن نصب تذكاري صمم حديثا لتمجيد قيمتي السلام والازدهار. فيجد جمهور الحاضرين تحته الصعلوك تشارلي شابلن مستغرقا في النوم على التمثال. يحاول النزول وسط صراخ الجمهور وصيحات

البوليس، فيشتبك سرواله الممزق بسيف التمثال. لكنه ينجح في الهرب من المشهد إلى الشارع.

يمر بطفلين يبيعان جرائد الصباح على الناصية. ملابسه الرثة وعصاه وقبعته ومشيته الغريبة تغري الأطفال بالسخرية منه ومشاكسته. يتركهما ثم يقف معجبا ومتأملا أمام تمثال برونزي عاري في نافذة متجر. كونه متشردا وصعلوكا لا يمنعانه من أن يكون ذواقا ومقدرا للأعمال الفنية.

على ناصية نهاية الشارع، يرى فتاة جميلة جدا، لكنها عمياء، تبيع الزهور بجوار سور حديدي لمبني فاخر. يقع في حبها من أول نظرة عندما تحسست صدره وهي لا تراه لتضع في عروة سترته الممزقة وردة بيضاء.

يعطيها تشارلي العملة الوحيدة التي يمتلكها، ويتركها قبل الحصول على الباقي وهو في حالة هيام. أثناء ابتعاده عنها، تسمع الفتاة صوت باب سيارة ليموزين لرجل غني يوصد. فتظن خطأ أن الصعلوك هو الرجل الغني مالك السيارة.

في مساء نفس اليوم، يذهب الصعلوك إلى شاطئ النهر لكي ينام، فيجد مليونيرا مخمورا للغاية يحاول الانتحار غرقا. لكن الصعلوك ينجح في منعه من القيام بذلك. حينئذ يعلن المليونير أنه مدين بحياته للأبد للصعلوك. وأن صداقته له ستكون مدى الحياة.

يأخذ المليونير الصعلوك إلى قصره، ثم يعيره ملابس سهرة أكبر من مقاسه، ويخرجان معا إلى صالة رقص فاخرة لتناول العشاء. في صباح اليوم التالي يعودان إلى قصر المليونير.

يرى الصعلوك فتاة الزهور في الشارع، فيحصل على بعض المال من المليونير ويشتري كل الزهور منها بمبلغ عشر دولارات. المليونير يعطي أيضا الصعلوك سيارته فيقود الفتاة إلى بيتها، وهي لا تزال تعتقد أنه الثري.

في الصباح عندما يذهب الصعلوك إلى قصر المليونير، يجده قد استيقظ، لكنه لا يتذكر شيئا مما حدث في الليلة السابقة، ولا يذكر أنه قد التقى أبدا بالصعلوك من قبل. فيقوم كبير الخدم، جيمس، بأمر المليونير، بطرد الصعلوك إلى خارج المنزل.

في وقت لاحق من ذلك اليوم، وبعد أن يكون المليونير قد عاد مرة أخرى إلى سكره، يقابل الصعلوك في الشارع، فيتعرف عليه ويستقبله بالأحضان. يأخذه معه إلى القصر ويقيم حفلة خاصة تكريما له. لكن في صباح اليوم التالي، ينسى المليونير كعادته أنه قد قابل الصعلوك من قبل. وينسى أيضا كل شيء بخصوص حفلة الليلة السابقة. فيقوم رئيس الخدم بإلقاء الصعلوك مرة أخرى إلى الشارع.

في هذه الأثناء، تمرض فتاة الزهور بالأنفلونزا، ولم تعد قادرة على سداد إيجار شقتها التي تعيش فيها مع جدتها. عندما علم تشارلي بذلك، وعندما قرأ في الصحف عن طبيب يستطيع علاج حبيبته وتبرئتها من العمى، قرر المساعدة.

لكي يحصل على المال، قبل مؤقتا وظيفة عامل نظافة في البلدية. لكنه تأخر عن استلام العمل في أول يوم فيطرد من الوظيفة قبل أن يستلمها.

يحاول الصعلوك كسب بعض المال السهل في مباراة ملاكمة متفق على نتيجتها. المكافأة قدرها 50 دولارا يقتسمها مع خصمه مناصفة. لكن الخصم الذي كان مطاردا من البوليس، يلوذ بالفرار في اللحظة الحرجة، ويترك الصعلوك تشارلي لمصيره المجهول في الحلبة مع ملاكم محترف آخر. يخسر الصعلوك المباراة ويخرج منها مهزوما بدون نقود.

لا يزال الصعلوك تشارلي مصمما على كسب المال. يقابل المليونير في الشارع مرة أخرى وهو في حالة سكر طينة. يتعرف عليه المليونير كالعادة ويأخذه معه إلى قصره. فيخبره الصعلوك بحاجته إلى المال لعلاج الفتاة، يعطيه المليونير مبلغ ألف دولار بدون تردد.

في هذه الأثناء، يأتي لصان لسرقة المليونير. لكن يقاومهما الصعلوك ويطلب النجدة من البوليس بالتليفون. عندما تأتي الشرطة، تجد المليونير فاقدا للوعي بعد أن هرب اللصان.

لم تجد الشرطة سوى الصعلوك ومعه الألف دولار. تعتقد أنه هو اللص فتقوم بالقبض عليه. لكنه يهرب في الوقت المناسب ومعه الألف دولار. يذهب على الفور للفتاة ويعطيها المبلغ بالكامل ويخبرها أنه سيذهب بعيدا ويغيب لفترة من الوقت. في اليوم التالي يقبض عليه ويلقى في السجن.

بعد بضعة أشهر، يتم إطلاق سراح الصعلوك، لكنه في حالة يرثى لها، وأكثر بؤسا من أي وقت مضى. أثناء وجود الصعلوك في السجن، سددت الفتاة إيجار شقتها المتأخر وذهبت للطبيب لعمل عملية أعادت لها حاسة البصر. ثم استأجرت بما تبقى لها من نقود متجرا لبيع الزهور خاصا بها.

في المشهد الأخير، يتجول الصعلوك في شوارع المدينة.  ينحني لالتقاط زهرة سحقتها الأقدام على الأرض. تراقبه فتاة الزهور من وراء زجاج نافذة متجرها وهي تبتسم بمودة لمظهره الفوضوي البائس، لكنها لا تعرف من هو.

يبتسم لها وهي تعطيه قطعة من النقود وزهرة جديدة سليمة بدلا من الزهرة الذابلة التي معه. وعندما تلمس بيديها يده، تعرفه على الفور، وتدرك أنه الرجل الذي ساعدها وكان السبب في إعادة البصر لها، والذي أحبته قبل أن تراه. ترثي لحاله ويبتسم لها، وينتهي الفيلم بمشهد لا ينسى ولم يتكرر في أي فيلم حتى الآن.

ملاحظات وخواطر:

الصعلوك، تشارلي شابلن، بطل الفيلم، هو مهرج أبله، أخرق. غالبا ما يجد نفسه في مواقف صعبة محرجة. عادة بسبب ضآلة جسمه وتمرده وعدم قبوله للواقع. بالرغم من ملابسه الرثة، وعصاه وقبعته. وسلوكه الغريب، إلا أنه يحمل قلبا كبيرا.

طوال الفيلم، يتصرف ببسالة تجاه الغرباء. يمنع المليونير الانتحاري من قتل نفسه عدة مرات. ويعمل بلا كلل للحصول على المال لفتاة الزهور لتسديد الإيجار المتأخر عليها ولعلاج عينيها. إنه رجل أخلاقي بمعنى الكلمة.  بطل في عالم قاس عز فيه الأبطال.

فتاة الزهور هي شابة تبيع الزهور في الشارع من أجل لقمة العيش لها ولجدتها. إنها جميلة رقيقة طيبة القلب، كانت رهينة الفقر وفقدان البصر. تعاطفت بسرعة مع الصعلوك بسبب لطفه ومساعدته لها وهي تعتقد أنه رجل ثري. استخدمت المال الذي تركه الصعلوك لها للذهاب إلى الطبيب لعمل عملية جراحية أعادت لها البصر. ثم افتتحت متجرا لبيع الزهور.

المليونير، شخصية هزلية مأساوية في نفس الوقت. عندما نلتقي به لأول مرة، كان يربط صخرة كبيرة حول عنقه لإغراق نفسه في النهر. عندما ينقذه الصعلوك، يصبح مبتهجاً ويشعر بأن شخصاً ما يهتم به. يبدو أنه يعاني من مشاكل عاطفية مع زوجته التي لم تظهر أبدا في الفيلم..

عندما يكون المليونير مخمورا، يتأرجح بين نوبات من الهوس والاكتئاب. في أحد النوبات، يمسك بمسدس ويحاول إطلاق النار على رأسه. في اليوم التالي يخرج للسهر والرقص طوال الليل.

الغريب في سلوك المليونير هو أنه عندما يكون في حالة سكر، يعرف من هو الصعلوك، ويعامله كأخ وصديق عزيز على قلبه. لكن عندما يفيق ويكون في حالة طبيعية، لا يعترف بالصعلوك وينكر معرفته له ويزعم أنه لم يره من قبل.

جيمس، كبير خدم المليونير. هو الشخصية الوحيدة التي تعلم صلة المليونير بالصعلوك، ومع ذلك لم يفعل شيئا لتذكير المليونير. ولم يتدخل لإنقاذ الصعلوك من الحبس بتهمة سرقة الألف دولار ظلما.

طوال الفيلم نرى مع الصعلوك زهرة بيضاء تلقاها من فتاة الزهور في الشارع. الزهرة هنا ترمز إلى الجمال والنقاء وحب الصعلوك الطاهر للفتاة. وفي نهاية الفيلم تعطيه الفتاة زهرة بيضاء وهي لا تعرفه. هي أيضا تبادله الحب النقي الطاهر من حيث لا تدري.

أما فتاة الزهور نفسها، فهي تمثل الجمال والبراءة، في هذا العالم الظالم. إنها تبيع الزهور، رمز الجمال والحياة والحب. وهو كل موضوع الفيلم.

في نهاية الفيلم، فتاة الزهور ليس لديها فكرة أن الصعلوك هو الرجل الذي ساعدها كل هذه الأشهر. لأنها تعتقد أن المتبرع لها كان رجلا ثريا، الصعلوك المحشور في سرواله الممزق، هو آخر رجل تتصور أنه حبها الحقيقي. عندما تلمس يده بيديها، تعرفه على الفور. لكنها تصدم بعد أن وجدت أن رجل أحلامها هو مجرد صعلوك ومتشرد.

تبتسم له، ويرى المشاهد بالرغم من هذه المفارقات الحادة، أن هناك حنانا عميق الشعور مشتركا بين الاثنين. باختصار، رسالة الفيلم في هذا المشهد الأخير. وهي أن السمعة والمظاهر أقل أهمية من المحبة الخالصة ودفء اللمسة الإنسانية.

فيلم أضواء المدينة:

إنتاج وإخراج تشارلي شابلن

تمثيل:

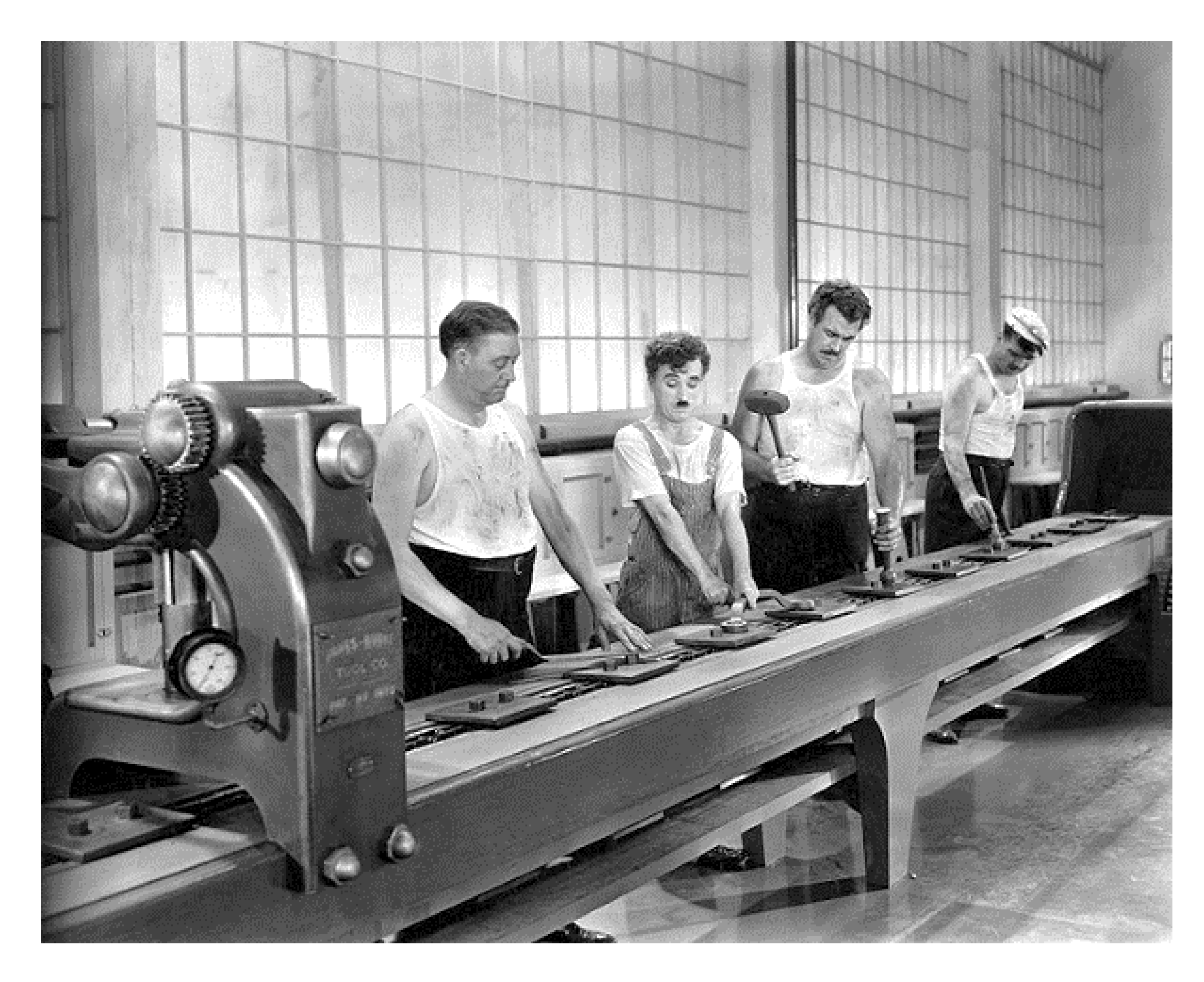
تشارلي شابلن في دور الصعلوك
فيرجينيا شيريل في دور فتاة الزهور
هاري ماير في دور المليونير
الامست جارسيا في دور رئيس الخدم
الفيلم كوميدي للغاية، مع العديد من المشاهد التي تتأرجح بين الجد والهزل. محاولات الانتحار يعقبها حفلات مرح ورقص وشرب. كذلك الحياة تتأرجح بين الجد والهزل، بين الألم والسعادة، بين المأساة والكوميديا.

الفيلم يسمى أضواء المدينة. حيث يعيش الأغنياء بجوار الفقراء وعلى مقربة منهم في حياة متشابكة. وهذ هو العيش في المدينة.

عندما ينقذ الصعلوك حياة المليونير، يصبح المليونير مبتهجًا ويعلن صداقته للصعلوك مدى الحياة. لكن المليونير عندما يفيق، لا يتذكر الصعلوك ويعامله كأي متشرد آخر.

ألا يذكرنا هذا بسلوك الأثرياء والسياسيين والحكام في بلادنا؟ فهم لا يشعرون أنهم ينتمون إلى المحكومين والفقراء من شعوبهم إلا إذا كانوا سكارا ومغيبين عن الوعي. لكن الولاء والحب الحقيقي هو حب الصعلوك لفتاة الزهور. فهو شيء ثابت وحب حقيقي ونهج مختلف جدا لمفهوم الولاء.

# العصر الحديث لتشارلي شابلن



*تشارلي شابلن في خط إنتاج*

يحكي تشارلي شابلن في فيلمه الشهير "العصر الحديث"، قصة متشرد يكافح من أجل البقاء في عالم الآلة، أو عالم مجنون مجنون مجنون. يبدأ تشارلي في العمل في مصنع على خط التجميع، لكن التكنولوجيا الجديدة والبيئة القمعية للمجتمع الصناعي تطغى عليه. فهو غير قادر على الاستمرار في وظيفة

ثابته.

كل الوظائف التي تقلدها، تقوده إلى السجن لسبب أو لآخر. معظمها أخطاء خارجة عن إرادته. يصبح صديقا لفتاة يتيمة في أحد المرات التي وجد نفسه فيها خارج السجن. تتطور العلاقة بينهما في كل مرة يقابلها، ويتم لم شملهما معا.

الرباط والحب الذي يجمعهما معا سببه الظروف القاسية، والنضال المتبادل من أجل البقاء. في عالم ليس عالمهما. عالم، معادي لطبقتهما ولا يعمل لمصلحتهما. جاء الفيلم في نهاية فترة الكساد الكبير، وكان تعليقا على الظروف الصعبة التي عانى منها الكثير من الناس، وخاصة الفقراء والمهمشون.

أول مشهد في الفيلم، نرى قطيعا من الأغنام البيضاء، في وسطها خروف أسود واحد. تتزاحم الخراف لكي تشق طريقها نحو الحظيرة. يلي هذا المشهد، قطيع من عمال المصانع، تتزاحم هي أيضا وهي خارجة مندفعة من مترو الأنفاق، متوجهة إلى مصنع الحديد والصلب، لكي تثقب بطاقات الحضور في وقتها.

بينما رئيس الشركة، يجلس هادئا في مكتبه، يقوم بحل الكلمات المتقاطعة، ويتصفح قسم الكاريكاتير بجريدة الصباح. بعد ذلك، يقوم بتفقد أقسام مصنعه من خلال دائرة تلفزيونية مغلقة. ويرسل أوامره للقسم رقم 5 بالإسراع في العمل.

صديقنا، تشارلي شابلن، واسمه في الفيلم المتشرد، يعمل على خط التجميع ويقوم بالتقريط على الصواميل التي تمر أمامه بسرعة رهيبة.

عندما ذهب إلى الحمام لكي يأخذ استراحة قصيرة يدخن خلالها سيجارة، وجد صورة ضخمة للرئيس على جدار الحمام وهو يراقبه، ويصرخ في وجهه للعودة إلى العمل فورا.

صاحب اختراع، واثنان من أتباعه، يأتون إلى المصنع في محاولة لبيع الرئيس آلة تغذية أوتوماتيكية، تقوم بتغذية العمال أثناء عملهم، بذلك يمكن للمصنع إلغاء ساعة الغداء للعمال ومن ثم زيادة الانتاج.

الرئيس يقرر تجربة الآلة الجديدة على تشارلي بطل الفيلم، لكن الجهاز يعطل فيكيل الصفعات لتشارلي ويطعمه الصواميل بدلا من الطعام، ويلقي بالفطائر في وجهه. لا أحد من الباعة أو الرئيس يهتم بتشارلي. يرفض الرئيس الآلة، ويذهب إلى مكتبه ويأمر بزيادة سرعة التجميع في القسم رقم 5.

يصاب تشارلي بالهوس ويتملكه هاجس تقريط الصواميل. يحاول اللحاق بصمولة على سير التجميع، فتسحبه تروس الآلة إلى داخلها. ينقذ بأعجوبة، لكنه يصاب بانهيار عصبي.

نجده بعد ذلك، يدور في أنحاء المصنع باحثا عن أي شيء يشبه الصامولة فيقوم بمحاولة تقريطها. بما في ذلك أنف زميله وحلمات النساء والأزرار على مؤخرة السكرتيرة.

يغادر المصنع، ويطارده شرطي بعد أن حاول تقريط الأزرار على بلوزة امرأة. يعود مرة أخرى إلى المصنع للهرب من الشرطي، يتأكد من أنه قد ثقب بطاقة الحضور، لكنه يقوم بأعمال شغب ويعبث بالآلات، فيتم القبض عليه وإرساله إلى مستشفى الأمراض العقلية.

بعد أن شفي تشارلي من انهياره العصبي، يغادر المستشفى ليبدأ حياته من جديد. قيل له أن يأخذ الأمور ببساطة ويتجنب الإثارة. بعد وقت قصير جدا من إطلاق سراحه، ألقي القبض عليه كزعيم شيوعي لتعثره بطريق الخطأ في مسيرة عمال.

في السجن، يأكل تشارلي بطريق الخطأ كمية كبيرة من الكوكايين قام سجين آخر بتهريبها. بينما كان على الكوكايين، قام بعمل بطولي، وأحبط محاولة

هروب ثلاثة من السجناء. يكافأ تشارلي من قبل مأمور السجن بمعاملة طيبة، زنزانة خاصة، وسائل راحة حديثة، صحيفة يومية.

حينما كان تشارلي يقرأ في الصحيفة عن أشياء فظيعة خارج أسوار السجن، البطالة، أعمال الشغب، وما إلى ذلك، يتم استدعاؤه إلى مكتب مأمور السجن، لكي يبلغه أنه حر طليق. فيسأل عما إذا كان من الممكن أن يبقى في السجن مدة أطول. لكن مأمور السجن يتعجب، ويعطيه رسالة توصية للعثور على وظيفة.

في الوقت نفسه، تعرف على جامين، وهي فتاة فقيرة، أبوها عاطل عن العمل. تعيش بالقرب من الميناء. تسرق الموز لإطعام نفسها وعائلتها. كما أنها تعطي بعضه لأطفال فقراء آخرين في ظروف مماثلة.

يحصل تشارلي على عمل في ورشة تجميع القوارب، لكنه يرسل قاربا قبل إتمام بنائه بالخطأ إلى البحر. فيتم فصله من العمل الجديد بعد استلامه له ببضع دقائق.

يقتل والد الفتاة جامين خلال نوبة احتجاج للعمال. ويتم نقل شقيقاتها إلى دار للأيتام، لكنها تهرب من ضباط رعاية الطفل، وتتجول في المدينة وحدها. تحاول سرقة رغيف من الخبز، لكن تصطدم بتشارلي شابلن.

يمسك بها شرطي، ويحاول تشارلي تحمل اللوم عن الخبز المسروق، لكن أحد المارة وصاحب المتجر يعترفان بأن الفتاة جامين هي اللص الحقيقي فيلقى القبض عليها.

بعد ذلك، في محاولة للعودة إلى السجن بأمان، يأكل تشارلي وجبة ضخمة في كافتيريا، ويتصل بضابط شرطة شارحا له أنه لا يستطيع دفع ثم الوجبة. الشرطي يعتقله لسرقته الوجبة ويضعه في مؤخرة عربة شرطة، حيث تنضم إليه جامين لاحقا. أثناء سير الشاحنة، تهاجم جامين أحد الضباط في الشاحنة، وتهرب هي وتشارلي.

يسيران عبر المدينة، ويذهبان إلى منطقة الضواحي، ويجلسان على العشب خارج أحد المنازل. يحلم شابلن بالعيش هو وجامين في منزل مثل تلك المنازل خلفه. ثم يتحول حلمه إلى سلسلة مشاهد خيالية.

إنه يعيش في نعيم مقيم مع جامين في منزل كبير مريح. كل شيء سهل يأتي بدون عناء. بقرة حلوب تأتي إلى الباب لكي تصب اللبن من ضرعها في إناء بدون حلب. العنب والبرتقال تنمو حول المنزل ويمكن قطف ثمارها من النوافذ. ثم ينقطع الخيال عندما تخبره جامين بأنها جائعة.

بعد فترة وجيزة، يقترب منهما شرطي فيهربان. أثناء مرورهما بمتجر كبير، يعلمان أن الحارس الليلي قد كسر ساقه. فيتقدم تشارلي بطلب للحصول على وظيفة مستخدما خطاب التوصية الذي حصل عليه من مأمور القسم سابقا.

بعد أن أغلق المتجر أبوابه ليلاً، يستكشفاه تشارلي وجامين. يتناولان الطعام بكافتيريا المتجر، ثم يمران بقسم اللعب. يقوم تشارلي وهو معصوب العينين بلبس حذاء التزلج فيكاد يسقط من حافة الطابق الرابع لعدم وجود صور.

في هذه الأثناء، يقتحم المتجر ثلاثة أشقياء، لا يلاحظهم تشارلي إلآ بعد فوات الأوان. يأخذونه كرهينة ويطلبون منه عدم التحرك. يطلقون النار بالقرب من براميل ويسكي يقف أمامها تشارلي، فيسكر بشكل مثير للضحك.

يكتشف أحد اللصوص، أن تشارلي كان يعمل معه سابقا على خط التجميع، ويخبره أنهم ليسوا لصوصا، بل هم مجرد جائعون يبحثون عن طعام. بعد ذلك، يتم العثور عليه نائما خلف لوحة دعائية، فيتم القبض عليه مرة أخرى.

بعد الافراج عنه، تأخذه جامين إلى منزل كانت قد وجدته لهما. إنه كوخ صغير قديم مهجور على الشاطئ، أخشاب السقف تسقط على رأسه، والكراسي تنهار من تحته والطاولات تتفكك بمجرد لمسها. لكنه يخبرها بأنه يحبها على أي حال.

يعلم تشارلي من الصحف اليومية أن المصنع سيعاد تشغيله، فيسرع للتقدم بطلب وظيفة به. يقبل طلبه كمساعد مهندس آلات، هو وعدد قليل من العمال. الوظيفة هي "مساعد مهندس". لكن مرارا وتكرارا يفسد تشارلي عمل المهندس بأخطائه.

في نهاية المطاف، يتسبب خطأه في انحشار المهندس بين تروس الماكينة، لكن المصنع يقطع تيار الكهرباء في فترة تناول الغداء. فيحاول تشارلي إطعام المهندس وهو عالق بين تروس الماكينة. بعد انتهاء استراحة الغذاء، ينقذ المهندس، لكن العمال تقوم بإضراب آخر عن العمل.

يغادر تشارلي المصنع، ويقوم عن طريق الخطأ بالدوس على لوح خشب، يستقر على نهايته قالب طوب. يطير قالب الطوب إلى أعلى في الهواء، ويهوي على رأس شرطي تصادف مروره بالمكان، فيتم القبض عليه من جديد.

بينما كان تشارلي محجوزا في قسم الشرطة، كانت جامين ترقص في الشوارع. إلى أن تم التعاقد معها للرقص في مطعم. تتوسط لتشارلي بعد إطلاق سراحه في الحصول على وظيفة جرسون بالمطعم.

في هذه الأثناء، يحصل ضباط رعاية الأطفال بحكم يقضي بضم جامين إلى رعايتهم لأنها لا تزال تحت السن القانوني. لا يزال يكافح تشارلي مع وظيفته الجديدة ويقع في كثير من المشاكل مع المدير.

طلب منه التحول للغناء بدلا من خدمة الزبائن، لكنه ينسى الكلمات أثناء الغناء. تكتب جامين له الكلمات على اسورة القميص كحل للمشكلة. عند العرض الافتتاحي، يفقد اسورة القميص لكنه يواصل الغناء على أي حال، بكلمات لا تمت إلى اللغة بأية صلة. يحصل على تصفيق حاد ويقدم له صاحب المطعم وظيفة ثابته.

عندما تذهب جامين لكي تؤدي رقصتها، تحاول الشرطة القبض عليها وتسليمها إلى مكتب رعاية الأطفال، لكن تشارلي يحاول مساعدتها على

الهرب. في صباح اليوم التالي، نجدهما جالسين في شارع مهجور خارج المدينة.

تنهار جامين في البكاء، وتفقد الأمل في الحصول على حياة أفضل مهما حاولت. لكن تشارلي يقنعها بعدم اليأس والاستمرار في المحاولة. ثم ينتهي الفيلم وكلاهما يمشيان مبتسمان إلى الأمام، في الطريق نحو النور وإلى غد أفضل، حيث تشرق الشمس دوما.

ملاحظات على الفيلم:
كان تشالي شابلن يعلم بما يصيب العمال من انهيارات عصبية عند خطوط التجميع في مصانع سيارات هنري فورد. أراد أن يبين في الفيلم عدم توافق الإنسان مع الآلة والتكنولوجيا الحديثة.

المشاهد الأولى من الفيلم، تظهر تشارلي وهو يحافظ على التسريع التدريجي أمام خط التجميع. المطلوب منه زيادة السرعة وزيادة الإنتاج، والمزيد منهما، إلى أن يصبح هو جزءا من الآلة. قادرا فقط على تقريط الصواميل. ظل كذلك حتى بلعته الآلة نفسها. ثم ينهار تماما ويركض حول المصنع محاولا تدميره.

عندما يأخذ تشارلي استراحة ويذهب للحمام للتدخين، يظهر رئيس المصنع في أكثر من دائرة تلفزيونية مغلقة لكي يأمره بالعودة فورا للعمل. هذه السيطرة والوجود في كل مكان، يخلق شعورا بأن الضعفاء هم دائما تحت سيطرة الأقوياء والسلطة.

الشرطة موجودة ومستعدة للقبض على كل من يخالف القانون. من أجل منع الثورة، يتم تدريب العمال على الطاعة العمياء والخنوع. هذا يظهر من اصرار تشارلي على ثقب بطاقة الحضور كلما حان ذلك.

البطالة منتشرة في كل مكان طوال الفيلم، حيث يكافح معظم الناس للعثور على عمل. تشارلي لا يجد عملا معظم الوقت، كذلك والد جامين. الآلات حلت محل البشر. تحت ذريعة أنها ستزيد من الإنتاج وتحسن الأحوال المعيشية.

لكنها لم تنجح في الغالب إلا في خلق البؤس والفقر الجماعي.

كان تشارلي يتجول في المدينة محاولا العودة للسجن، لأنه سيتم إطعامه هناك. هذه صرخة قوية تبين عدم وجود نظام رعاية اجتماعية للفقراء، تجعل غيابة السجن أفضل بكثير من أن يكون الإنسان عاطلا عن العمل.

البطالة أيضا تتسبب في زيادة الجريمة. عمال المصانع السابقون يسرقون المتجر، لا لأنهم لصوص محترفون لا يرحمون، بل لأنهم جائعون. هذا لا يختلف عن سرقة جامين للموز لإطعام عائلتها في بداية الفيلم.

على الرغم من رحلة العذاب التي مر بها تشارلي وجامين، إلا أنهما يحافظان على الأمل في حياة أفضل طوال الفيلم. قبل أن يلتقي بجامين، كان مستعدا للعودة إلى السجن لكي يضمن غذاءه.

بعد أن قابلها، عاد له الأمل والرغبة في الحياة. كان كلا منهما يساعد الآخر ويقوي الأمل عنده. إنهما يخططان للمستقبل معا. يحلمان بالعيش في منزل كبير نظيف، لديهم الطعام الوفير، بالرغم من أنهما لا يملكان شيئا تقريبا.

في النهاية، تيأس جامين وتجهش بالبكاء، لكن تشارلي شابلن يطلب منها التمسك بالأمل، وهو الشيء الوحيد الباقي لهما. ثم يسيران في الطريق نحو غد أفضل، نحو شروق شمس الصباح وهما مبتهجان، ليس لدهما شيء سوى الأمل في المستقبل.

# الأفق المفقود



*رونالد كولمان في دور كونواي*

كتبت رواية الأفق المفقود عام 1933. هي أول رواية تنشر في هيئة "كتاب جيب". تعتبر الأكثر شعبية في أوائل القرن العشرين. الرئيس الأمريكي ف. د. روزفلت أثناء الحرب العالمية الثانية، أطلق اسم شانجريلا، وهو المكان الذي تدور فيه أحداث الرواية، على المخبأ الرئاسي في ولاية ماريلاند.

الرواية تعالج مواضيع فلسفية مثل معنى الزمن ومفهوم الإيمان، وثقافة الشرق الأقصى ومدى اختلافها عن ثقافة الغرب، وموضوعات أخرى. هذا هو السبب في شهرة الرواية وانتشارها بسرعة في العالم كله. فازت بجائزة هاوثورندن في الثلاثينات، وأنتجتها السينما عامي 1937، 1973، كما بثتها القنوات الإذاعية في الولايات المتحدة بعد ذلك.

تقع أحداث الرواية عام 1931. تبدأ بلقاء الراوي مع صديقي دراسة، راذرفورد ووايلاند. ثم يتطرق الحديث إلى حادثة وقعت منذ بضع سنوات.  لقد اختطف رجل مجهول طائرة مع 4 ركاب، ثم طار بهم إلى مكان غير معروف.

عندما بقي الراوي مع راذرفورد وحدهما، قال راذرفورد إن أحد الركاب، هيو كونواي،   هو رجل يعرفه كلاهما من قبل. أضاف راذرفورد أنه قد رآه بعد هذا الحادث في مستشفى في الصين. ثم أعطاه القصة مكتوبة، كما رواها له كونواي.

كونواي، عضو السلك الدبلوماسي البريطاني، يبلغ من العمر 37 عاماً. يطير في طائرة خاصة مع 3 أشخاص من مدينة هندية بها قلاقل إلى باكستان:
مالينسون، شاب مساعد لكونواي
بارنارد، أمريكي
الآنسة برينكلو، مبشرة بريطانية.

خلال الرحلة، يلاحظون أن الطائرة تطير في اتجاه خاطئ، فيصاب مالينسون بالذعر. أما الآخرون فهم أكثر هدوءا. يذهب مالينسون إلى غرفة الطيار، فيكتشف أن الطيار ليس ذلك الرجل المكلف بقيادة الطائرة.

يعلم الركاب أنهم قد تم اختطافهم بدون شك. ثم تطير بهم الطائرة إلى مكان نائي أعلى جبال التبت. عند محاولة الهبوط، تتحطم الطائرة ويموت الطيار، لكن ينجو بقية الركاب. قبل أن يلفظ آخر أنفاسه، همهم ببعض الكلمات

الصينية، التي فهم منها كونواي أن الطائرة كانت متوجه إلى مكان يسمى شانجريلا.

في وقت لاحق، يحضر تشانج مع مجموعة من الصينيين إلى مكان سقوط الطائرة وسط الثلوج، ويقومون بإنقاذهم ومرافقتهم إلى موقع شانجريلا، الذي لم يكن بعيدا. يتعجب كونواي وأصدقاؤه من أن تشانج، الذي يعيش في هذه المنطقة النائية والبعيدة عن الحضارة، يجيد التحدث باللغة الإنجليزية إجادة تامة، كما أنه مهذب جدا وعصري بطريقة مدهشة.

يندهشون أكثر عندما يأتون إلى دير اللاما. هناك، وجدوا تدفئة مركزية، حمامات حديثة، مكتبة كبيرة، آلات موسيقية وغيرها من وسائل الراحة.

في حين أن مالينسون كان غاضبا لكل ما حدث، يريد العودة إلى الوطن في أقرب وقت ممكن، إلا أن كونواي وباقي ركاب الطائرة كانوا يشعرون بالراحة والطمأنينة. كانوا منبهرين من سلوك السكان وطبيعة الوادي وجمال جبال كاراكال (القمر الأزرق) المحيطة بالمكان.

بارنارد، كما اتضح فيما بعد، لم يكن سوى المحتال الشهير بريانت. المطلوب قبل الشرطة في العديد من البلدان. لذلك، هذا المكان النائي في التبت البعيد عن أعين البوليس، يعتبر أفضل مكان يمكن أن يختبئ فيه. الآنسة برينكلو كانت تعتقد أن ما حدث، هو دعوة من السماء لها لكي تباشر نشر تعاليم المسيح بين سكان هذا المكان الذين لا يعرفون شيئا عن المسيحية.

مالينسون قلق، يصر على عودتهم جميعا إلى الحضارة. لكن تشانج، المرافق الصيني، يخبره بعدم رغبة أيا من سكان القرية مرافقتهم. الحل الوحيد، هو أن ينتظروا الحمالين، الذين يجلبون لهم البضائع من العالم الخارجي من وقت لآخر. وهذا يعني أن انتظارهم قد يطول لعدة أشهر. وليس لهم خيار آخر.

لم يكن أمام الأربعة المختطفين سوى الانتظار. أثناء هذه الفترة، بدأوا يتعرفون على طبيعة حياة السكان وسلوكهم وثقافتهم وما يؤمنون به. أما بالنسبة للسلطة الفعلية والقضاء، فهي سلطة الهاي لاما. الهاي لاما لا يلتقي بالضيوف عادة، وهو شرف لا يناله سوى المستنيرون من الناس.

مع مرور بعض الوقت، يخبر تشانج كونواي أن الهاي لاما يريد أن يراه، وهو أمر غريب نادر الحدوث وشرف كبير لكونواي. خلال المقابلة، يحصل كونواي على معلومات كثيرة وخطيرة، تفسر سبب وجود المكان وسبب اختطافهم. هذه المعلومات يجب أن تبقى سرا بالنسبة لباقي الزملاء. أما الهاي لاما نفسه، فهو محارب أوروبي قديم قد فقد ساقه في الحرب. أتى إلى هذا المكان، شانجريلا، منذ 250 سنة مضت.

يبين الهاي لاما لكونواي فلسفة شانجريلا. أنهم هنا لا يعيرون الزمن اهتماما كبيرا كما يفعل الأوروبيون ويعطون كل فعل الزمن اللازم له. كما أنهم يمارسون الاعتدال في كل أفعالهم. هذا هو سر سعادتهم، والسبب في أنهم يعيشون مئات السنين.

تلي هذا الاجتماع اجتماعات أخرى كثيرة، كان تأثيرها كبيرا على كونواي. في هذه الأثناء، يلتقي كونواي بفتاة صينية جميلة اسمها لو-تسين، يقع في حبها، لكنها لم تبادله نفس الشعور.

في أحد المقابلات مع الهاي لاما، يخبر كونواي أنه يود أن يكون خليفته، ثم يموت في سلام. لكن عندما يعود كونواي إلى منزله، يجد مالينسون في انتظاره. يعلمه بأن الحمالين قد اقتربوا من شانجريلا وهو مستعد للمغادرة ومعه الفتاة لو-تسن ويرجوه أن يأتي معه.

يفهم كونواي الآن لماذا لم تبادله لو-تسين نفس الشعور. هو الآن لا يدري ماذا يفعل. هل يبقى في الجنة حيث الهدوء والأمن والسعادة وطول العمر، أم العودة مع الحمالين إلى عالمه السابق. لكن مالينسون يقنعه بالاختيار الثاني.

في الطريق، أثناء العودة، تظهر على لو-تسين علامات الضعف والإرهاق. كما أن وجهها وجسمها أصبحان يبينان عمرها الحقيقي وهو 95 عاما.

في نهاية القصة، يتحدث الراوي إلى راذرفورد، وكلاهما يتوقعان أن كونواي الناجي الوحيد من رحلة العودة، لابد أن يكون قد عاد إلى شانجريلا مرة أخرى.

ملاحظات على الرواية:

يصف كونواي الهاي لاما بأن جسده نحيل، شاحب الوجه ملئ بالتجاعيد. صوته هادئ رقيق مع مسحة حزن دفينة، كانت لها تأثير ساحر على كونواي. كان راهباً يدعى بيرو، جاء إلى شانجريلا في القرن الثامن عشر، بعد أن بترت ساقه في أحد الحروب.

لا يزال على قيد الحياة. أراد أن يدعو للإيمان، لكنه غير رأيه، وابتكر فلسفة خاصة بالزمن والعلاقات بين الناس والسعادة. أيده السكان المحليون واتبعوا فلسفة.

شانجريلا، هي حالة مجتمع نقي خالي من العيوب. بعيدة كل البعد عن الحضارة التي نعرفها.  لدى سكانها المحليين كل وسائل الراحة التي عند العالم الخارجي، إلا أن ثقافتهم وعقليتهم مختلفة تماما عن شعوب البلدان الأخرى.

مع أن هؤلاء الناس لديهم ثروة مادية لا حصر لها من ذهب وماس وأحجار كريمة، إلا أنهم لا ينتبهون إليها. انها مجرد وسيلة تساعدهم على شراء الكتب، التي هي مصدر لا يقدر بثمن للحكمة. أو شراء الآلات الموسيقية، كوسيلة لراحة النفس والرضا.

الثروة الحقيقية عندهم، هي راحة البال والسعادة الداخلية والسلام الاجتماعي. عزلتهم عن العالم المعاصر، هي سبب نقائهم وحمايتهم من تلوث وفساد العالم المحيط بهم.

"لقد كان الرومان محظوظين لعدم اكتشافهم للتكنولوجيا. فلم تَتَعدّ حضارتهم اكتشاف الحمامات الساخنة."
كونواي

قام بدور كونواي، في فيلم انتاج 1937، الممثل رونالد كولمان.
المنتج والمخرج، هو فرانك كابرا.

# الساموراي السبعة



*كيكوتشيو وباقي الساموراي*

يبدأ فيلم الساموراي السبعة بعدة أفراد من قطاع الطرق، تتسلل خلسة وتقوم بمهمة استكشافية لقرية زراعية. عندما وجدوا أن المحاصيل لم تنضج بعد، قرروا ترك المكان والعودة مرة أخرى وقت الحصاد. هذا يعني قتل رجال القرية وسرقة طعامها وسبي نساءها.

سمعهم أحد المزارعين، كان مختبئا، فأبلغ القرويين بالتهديد. أخذون الأمر إلى شيخ القرية الطاعن في السن، الذي أمرهم بالعثور على أربعة ساموراي لحماية القرية. توجه أربعة منهم إلى أقرب مدينة كبيرة، وبدأوا البحث.

لم يكن سهلا، العثور على ساموراي يقبل المساعدة نظير وجبة يومية من الأرز لا تشبع، بدون مكافأة أو لقب أو أي شيء. الوحيد الذي وجدوه، هو ساموراي فقير وحيد متواضع، يدعى كامبي.

قام كامبي بإنقاذ طفل صغير مختطف من أيدي قاطع طرق. هو يفضل عمل الخير على الشهرة والمجد والقيم الجوفاء. وافق على المشاركة في الدفاع عن القرية ضد قطاع الطرق، نظير وجبة أرز يومية. لكنه أخبر المزارعين بأنه يحتاج إلى جانبه، 6 ساموراي آخرين، حتى تتم هذه المهمة بنجاح.

ثم يبدأ المزارعون وكامبي في البحث عما يحتاجون من ساموراي، بشرط أن يقبلوا فعل الخير والمساعدة المخلصة. الساموراي الذين تم اختيارهم، لبوا نداء الواجب، ووافقوا جميعا على بذل أرواحهم دفاعا عن الضعفاء ونصرة المظلومين، نظير وجبة طعام متواضعة يومية تقيم أودهم فقط لا غير.

جوروبي، لديه نظرة للحياة مشابهة لكامبي، قلبه يمتلئ بالعطف والشفقة على الضعفاء والفقراء.

هيهاتشي، يتسم بالكاريزما والمهارة في استخدام السيف.

شيتشيروني، ودود لكنه جاد وحازم في نفس الوقت. صديق قديم لكامبي.

كيوزو، ليس له نظير في مهارة استخدام السيف. متواضع هادئ الطبع.

كاتسوشيرو، شاب غير ناضج، عديم الخبرة. لكنه عطوف ورحيم بالنسبة للضعفاء والمساكين. يقع في غرام فتاة من القرية.

كيكوتشيو: بينما كان كامبي مستعدا هو ورفاقه للمغادرة والذهاب للقرية، يأتي لهم كيكوتشيو، وهو في حالة سكر طينة، طالبا الانضمام لهم ك ساموراي مزيف. لكنهم اكتشفوا أنه مجرد مزارع مهوس متغطرس وقح. رفض انضمامه كل الساموراي.

بعد أن تم تشكيل الفريق، أخذوا يشقون طريقهم إلى القرية للدفاع عنها. يتبعهم كيكوشيو، على الرغم من أنهم قد رفضوه وطلبوا منه مرارا عدم تتبعهم.

في القرية، أثار أحد المزارعين المخاوف من أن الساموراي، ما جاءوا إلا لكي ينهبوا القرية ويغتصبوا نساءها. فبدأوا يختبئون ويخفون نساءهم.

هنا ظهرت أهمية كيكوشيو، المزارع أصلا، وحاجتهم له لكي يكون جسر اتصال بينهم وبين أهل القرية. من ثم، تم انضمام كيكوشيو لهم، واكتمل عددهم الآن 7 ساموراي. ثم بدأوا التحضير لمواجهة قطاع الطرق عندما يعودون.

يأمر كامبي باقي الساموراي، لكي يقوموا بتدريب القرويين على الدفاع الجماعي واستخدام الرماح. يحذرهم من الفردية، وأن يتحركوا في مجموعات. كما أنه يضع خططا لتحصين القرية.

ثم يطلب من القرويين اغراق الحقول بالماء بعد الحصاد، وتدمير الجسور المؤدية للقرية، وبناء أسوار عالية حولها، بحيث يمكن الدخول والخروج منها من اتجاه واحد.

في هذا الوقت، يقوم المزارع مانزو بقص شعر ابنته الشابة الجميلة شينو، حتى تبدو كصبي، فلا يطمع فيها الساموراي أو قطاع الطرق. لكن يقابلها

الشاب الساموراي كاتسوشيرو وهي في هيئة صبي، فيكتشف أنها فتاة، ثم يتبادلان الحب بالرغم من معارضة والدها.

أثناء لقاءهما سرا، يكتشفا وصول طلائع من قطاع الطرق، جاءت تفحص مسالك القرية قبل الهجوم عليها. ثم يقوم الساموراي بقتل الطلائع قبل عودتهم ونقل المعلومات الخاصة بتحصينات القرية لباقي العصابة.

بعد ذلك، تسلل ثلاثة ساموراي إلى مخبأ قطاع الطرق، وقاموا بحرقه وقتل العديد منهم. أحد المزارعين، كان قد دلهم على مخبئهم. عندما خرجت زوجة المزارع المختطفة من المخبأ لتهرب ورأت زوجها أمامها، عادت للمخبأ المحترق لكي تلقى حتفها. حاول زوجها اللحاق بها، لكن أمسك به هيهاتشي الساموراي لكي يمنعه، فأصيب برصاص قطاع الطرق لكي يموت بعد بضع دقائق.

بعد وقت قصير من جنازة هيهاتشي، يصل قطاع الطرق لمهاجمة القرية. فتحتجزهم الحقول المغمورة بالماء والأسوار العالية. لكنهم ينجحون في حرق المنازل والمطحن خارج الأسوار. مما أسفر عن مقتل رجل عجوز، وزوجين شابين.

لا يزال قطاع الطرق غير قادرين على دخول القرية، لكن الساموراي والقرويون، كان باستطاعتهم الدخول والخروج من القرية عبر طرق سرية وجوانب مختلفة.

في منتصف الليل، يتسلل كيوزو إلى الغابة، ليقتل اثنين من قطاع الطرق، ويستولى على إحدى بنادقهم. في صباح اليوم التالي، سمح القرويون لقطاع الطرق بالدخول إلى القرية عن طريق ضيق لا يسع سوى فارس واحد راكب أو اثنين على الأكثر. بذلك، يتم استدراجهم إلى داخل القرية والقضاء عليهم أولا بأول؟

خلال استراحة بين الهجمات والدفاعات، وبينما كان قطاع الطرق يقومون بإعادة تجميع أنفسهم، ذهب كاتسوشيرو إلى كيكوشيو في موقعه، ليقول له كم هو معجب بشجاعة كيوزو.

كيكوشيو يشعر بالغيرة ويقرر نيل هذا المجد، فيتخلى عن مكانه، ويقوم بمحاولة لسرقة بندقية، معتقدا أن قطاع الطرق لن تهاجم موقه المحصن جيدا. لقد نجح في سرقة بندقية، لكن بعد عودته، تبين له أن قطاع الطرق، قد احتلوا موقعه وقتلوا اثنين من المزارعين، وعملوا ثغرة استعدادا لهجوم أكبر.

خلال هذه المعركة يتم قتل جوروبي وأحد القرويين. ويوهي القروي.  وكان جوروبي في المرتبة الثانية في القيادة بعد كامبي. بفقده، شعر القرويون والساموراي بحزن عميق. وكان كيكوشيو مولعاً ب يوهي ويشعر بالمسؤولية عن وفاته.

يرخي الليل سدوله مرة أخرى، ويقرر كامبي أن المعركة القادمة ستكون الأخيرة. يتوقع هجوم قطاع الطرق في الصباح، ويطلب من الرجال النوم، وزيارة أسرهم، والاستعداد لمعركة كبيرة قادمة.

كاتسوشيرو يمشي خلال القرية، فيجد الفتاة شينو في انتظاره، يبيت معها في حظيرة. يجدها أبوها، فيقوم بضربها ضربا مبرحا إلى أن يتدخل كامبي ويوقف الضرب.

المعركة النهائية تبدأ في صباح اليوم التالي مع هطول الأمطار. باقي قطاع الطرق، يقومون بالهجوم وهم على ظهور الخيل. يحاول القرويون فصلهم عن بعضهم البعض، وقتلهم فرادا.

يُحارب كيكوشيو بشراسة، بعد أن فقد الكثير من معارفه. قتل الكثير من قطاع الطرق، وأصبحوا على وشك الهزيمة. زعيمهم يشق طريقه إلى منزل مكتظ

بنساء القرية، ويقوم من هناك وهو مختبئ بإطلاق النار فيقتل الساموراي كيوزو الرائع في استخدام السيف.

يتملك كاتسوشيرو الغضب، فيقوم بمهاجمة المنزل. يحاول كيكوشيو أن يوقفه. لكنه يتلقى رصاصات زعيم قطاع الطرق. يقف كيكوشيو بصعوبة ويدفع بسيفه في جسد زعيم قطاع الطرق، فيرديه قتيلا، وينهي المعركة، لكنه يموت هو نفسه.

في المشهد التالي، نرى المزارعين يزرعون محصولهم القادم من الأرز وهم يعزفون الموسيقى ويغنون بفرح. كما نرى قبور الساموراي الأربعة، الذين فقدوا حياتهم دفاعنا عن القرية، مدفونين أعلى التل بالقرب من البلدة، وسيوفهم منتصبة فوق قبورهم.

من بقي على قيد الحياة من الساموراي الأبطال 3 فقط، هم: كامبي، شيتشيروني، وكاتسوشيرو. الفتاة شينو تمر أمام كاتسوشيرو حبيبها، فيتبادلان النظرات بدون كلام، قبل أن تعود إلى عملها في الحقل.

لم تعد القرية في حاجة لباقي الساموراي وعليهم الرحيل. هنا ينظر كامبي بحزن، في نهاية الفيلم، ويقول: "إن النصر للمزارعين، وليس للساموراي."

ملاحظات على الفيلم:

فيلم الساموراي السبعة، ل أكيرا كوروساوا، 1954، هو ملحمة بالأبيض والأسود لمدة ثلاث ساعات ونصف. تدور أحداثها في اليابان وقت أن مزقتها الحرب الأهلية في القرن السادس عشر.

هو أول مخرج ياباني يفوز بإشادة دولية عندما حصل فيلمه راشومون على الأسد الذهبي في مهرجان البندقية السينمائي عام 1951.

نلاحظ أن كوروساوا قد تأثر كثيرا بالمخرج الأمريكي جون فورد والروائي الروسي دوستويفسكي. فهو مثله كان يعتقد أن كل لحظة من حياتنا أو كل لقطة من الفيلم، تحمل داخلها آلاف السنين الماضية. هذا هو العمق الذي كان يكتب به دوستويفسكي.

كوروساوا كان معروفا بمهارته الفائقة في التصوير الفوتوغرافي. كل لقطة من الفيلم تصلح للعرض في الصالونات كلوحة فنية. هذا ليس بالغريب إذا علمنا أنه قد تم تدربه كرسام قبل الانتقال إلى السينما. استخدم كوروساوا عدسات التكبير والكاميرات المتعددة. وقد كان هذا نادرا في ذلك الوقت بالنسبة لعالم السينما.

هذا يتضح من تكويناته الفنية البارعة، واتباعه للقواعد الجمالية الكلاسيكية للفنون التشكيلية، وحركة الكاميرات، وزوم-إن وزوم-أوت للعدسات. كما أنه يستخدم الإضاءة والبيئة، مثل الرياح والدخان والبرق والمطر والسكون والحركة المتعارضة. ويستخدم أيضا الحشود ببراعة شديدة. مما جعل الفيلم أعظم أعماله، وواحدا من أعظم أفلام السينما العالمية.

يقول كامبي للقرويين: "حماية الآخرين، هي حماية لك. إن كنت لا تبغي إلا سلامتك أنت، فهذه هي نهايتك." كلام من ذهب.

عندما تصرف كيكوشيو بأنانية وفشل في حماية الآخرين، أضعف القرية، وخلق الثغرة، وتسبب في موت العديد من القرويين، وموته نفسه.

لماذا يقوم الساموراي بتعريض أنفسهم للخطر والتطوع لحماية القرويين مجانا تقريبا؟ السبب هو أنهم بهذا الفعل النبيل، يجعلون العالم الذي يعيشون فيه له معنى وقيمة. يجعلونه أكثر أمنا وسلاما. هذا يعود عليهم أنفسهم بالأمن والسلام. الأنانية أثناء الملمات والخطوب، تضر بالجميع. لكن التضحية بالذات تحمي الكل.

الفيلم منذ البداية، يحض على التواضع. الفخر المفرط والغرور مدمر وقاتل. هذا يتضح عندما بارز كيوزو ساموراي آخر. يقتل كيوزو المتواضع البسيط الساموراي الآخر المليء بالغرور والفخار.

الفخر المفرط ل كيكوتشيو، يشذ عن تواضع الساموراي الآخرين. نرى هذا منذ البداية، عندما قتل كامبي اللص لكي ينقذ الطفل المختطف، يحني رأسه تواضعا، ويمشي بعيدا. بينما يرقص كيكوشيو الأرعن بفخر على جثة اللص كأنه هو القاتل.

هذه الغطرسة هي التي جعلت كامبي يتساءل عما إذا كان كيكوتشيو ساموراي حقيقي. في بقية الفيلم، فخر كيكوتشيو بنفسه يضعه في ورطة وراء ورطة. أبرزها وأخطرها، عندما تخلى عن مكانه لسرقة بندقية من المهاجمين لكي يثبت بطولته. مما أدي إلى حدوث ثغرة في الدفاع، نشأ عنها هجوم مضاد من قبل قطاع الطرق.  تسبب في قتل العديد من القرويين، منهم صديقه القروي يوهيي، وكذلك الساموراي جوروبي.

الجميع يعامل كيكوتشيو كمهرج، لكنه هو الذي يبدد عدم الثقة المتبادل بين القرويين وضيوفهم، ويكشف عن جذوره المتواضعة كابن مزارع، وينقل بعض الحقائق المنزلية.

نعم، القرويون بائسون ومخادعون، وربما قتلوا في الماضي بعض الساموراي، لكنهم هم أنفسهم ضحايا الطبقات العليا والغزاة، الذين أحرقوا منازلهم وسرقوا طعامهم وخطفوا نساءهم.

في سلسلة من المناوشات والهجمات المتصاعدة، على أرض تغمرها الأمطار الغزيرة. نشاهد مشاهد تعتبر معجزة سينمائية تبين الفوضى، تم تصميمها ببراعة.
المقاتلون يتعثرون وسط هطول المطر وجرف السيول. والخيول تركض في الوحل والطين. والرماح مصوبة صوب الأعداء، والسهام متطايرة في الفضاء، والرصاصات عشوائية من حين لحين. كل هذا يتم تصويره بكاميرات متعددة وعدسات خاصة ولقطات فريدة.

بعد سبعة عقود تقريبا، لا يزال فيلم الساموراي السبعة، هو الأعظم، والمعيار الذهبي، الذي تقاس به أفلام الحركة المثيرة والهدف النبيل. سوف يستمر بقصته الملحمية، وإنسانيته الرائعة، نبراسا يحتذي به الكل، وهدفا يطلبه المشاهدون والباحثون عن الأفلام الجيدة في جميع أنحاء العالم لأجيال قادمة.

# العجوز والبحر



*العجوز والبحر والسمكة مارلين*

الروائي الأمريكي، هيمنجواي (1899-1961)، أبوه طبيب، والأبوان مسيحيان والثانية حيث خدم على سفينة  ملتزمان. شارك في الحرب العالمية الأولى حربية أمريكية كانت مهمتها إغراق الغواصات الألمانية، وحصل في كل منهما على أوسمة.

أثرت الحرب في كتابات هيمنجواي ورواياته. منها "وداعا للسلاح"، "لا تزال تشرق الشمس". رواية العجوز والبحر، صدرت له عام 1952. عندما نشرت الرواية أول مرة في مجلة "لايف"، بيعت منها 5 مليون و300 ألف نسخة.

قوبلت بحفاوة من النقاد، وفازت بعدة جوائز عالمية أدبية. كما أنها قد حصلت على جائزة بوليتيزر لعام 1953، وجائزة الجدارة للرواية من الأكاديمية الأمريكية للفنون والآداب، ولعبت دورا هاما في اختيار هيمنجواي لجائزة نوبل للآداب عام 1954.

اهتمت بها الجامعات والمدارس وأصبحت جزءا من المقررات الأدبية. تم إنتاجها فيلما سينمائيا ناجحا عام 1958م، من إخراج "جون استورجس"، وبطولة "سبينسر تريسي".

كان ياما كان فيه صياد أسماك كوبي اسمه "سانتياجو". مرت عليه 84 يوما بدون صيد. عجوز ضعيف البنية هزيل، عنقه حاد التجاعيد، يداه بهما ندوب غائرة من جراء سحبه لخيوط السنانير وهي محملة بالأسماك الكبيرة. كلها ندوب قديمة، قدم تآكل التلال في صحاري خالية من الأحياء.

فشل سانتياجو لم يوهن عزيمته، كما يبدو من عينيه المبتهجتين واللتين لم يصبهما اليأس. له صديق واحد، صبي يدعى "مانلين". كان يقوم بمساعدته في الأيام الأولى من فترة نحسه.

بعد 40 يوما، رأى الأبوان أن العجوز قليل البخت، فطلبا من ابنهما العمل في مركب آخر. مع هذا، كان الصبي يساعد العجوز كل يوم، ويقوم معه بسحب المركب الخالي من الأسماك إلى الشاطئ.

أخبر العجوز الصبي أنه ينوي في صباح اليوم التالي، الدخول بعمق في الخليج للصيد. ثم ذهبا كلاهما إلى بيت العجوز. البيت بسيط للغاية. سرير وطاولة وكرسي وأرض ترابية. تبادلا الحديث فترة، ثم غادر الصبي لكي يحضر طعاما، وترك العجوز يخلد للنوم.

عندما عاد الصبي، أيقظ العجوز من النوم، لكي يتناولان الطعام معا. أثناء تناول الطعام، لاحظ الصبي حالة البؤس التي يعيشها العجوز، فقرر بينه وبين نفسه أن يحضر له قميصا وحذاء وجاكت وبطانية لقرب حلول الشتاء. بعد الحديث عن رياضة البيسبول لفترة، غادر الصبي ونام العجوز.

يحلم سانتياجو بأفريقيا، التي زارها في شبابه عندما كان يعمل على ظهر المراكب. هو الآن ينام كل ليلة في كوخه على الساحل. يسمع أثناء نومه وأحلامه هدير الأمواج التي تشقها القوارب. يستيقظ ويستدعي الصبي من بيته.

ينقل الاثنان ما يحتاجه سانتياجو إلى مركبه، ثم يحتسي كوبا من القهوة في مقهى الصيادين. في نفس الوقت، يذهب الصبي لإحضار سمك السردين المستخدم كطعم. يعود ويتمنى للعجوز حظا سعيدا وهو ذاهب بقاربه إلى البحر.

يبحر سانتياجو قبل بزوغ الشمس. ترك الساحل خلفه. رائحة الماء النظيفة في الصباح، تدل على أنه قد توغل داخل الخليج. إنه يجدف الآن فوق بقعة من الماء يسميها الصيادون "البئر العظيمة". هي عبارة عن عمق مفاجئ يصل إلى 700 قامة، حيث يتجمع الجمبري والحبار والأسماك المستخدمة كطعم.

يواصل العجوز التجديف بقاربه داخل الخليج، فيرى الأسماك الطائرة والطيور الصغيرة. يرأف بحال الطيور ويتساءل، لماذا هي رقيقة بينما البحر قاس جبار؟

يستمر سانتياجو، ويمر بمكان عميق لم يمر به من قبل. يرى الطيور تحوم حول بقعة قريبة منه. ربما لأنها قد رأت شيئا تحت الماء. يقترب العجوز بقاربه من مكان الطيور، ويدلي بسنانيره بعمق إلى الماء. على أمل التقاط بعض الأسماك التي رأتها الطيور.

هذه مجموعة كبيرة من الدلافين، تسبح بسرعة كبيرة. ليس في مقدور الطيور أو سانتياجو صيدها. يواصل سانتياجو السير بقاربه وهو يبغي صيد أسماك ضالة، أو أسماك تتبع الدلافين. إنه متعود على صيد أسماك التونة الصغيرة. بعد فترة قصيرة، بدأت إحدى سنانيره تغمز من عمق. يبدو أنها قد أمسكت بشيء.

الغمزة الأولى كانت شديدة، أسقطت عصا السنارة بشكل حاد. الغمزة التالية كانت أقل حدة. لكن سانتياجو، كان يعرف بالضبط ماذا تعني. شيء ضخم هنا أسفل القارب. إنها سمكة من نوع مارلين، كانت تأكل السردين.

لقد توقع سانتياجو بخبرته أنها لا بد أن تكون سمكة كبيرة جدا.
ظلت السمكة تقضم حول خطاف السنارة لبعض الوقت، رافضة أن تلتقم الطعم بالكامل. سانتياجو كان يتحدث إلى نفسه بصوت عال، كما لو كان يتملق السمكة لكي تقبل الطعم.

يقول لها: "هيا... قومي بلفة أخرى. شمي الأكل، أليس جميلا؟ تذوقيه وكلي جزءا منه. إنه بارد وشهي. لا داعي للخجل. تفضلي بالهناء والشفاء." بعد العديد من الغمزات الكاذبة، بلعت سمكة المارلين التونة في النهاية، وسحبت طولا كبيرا من خيط السنارة.

انتظر سانتياجو السمكة حتى تبتلع هوك السنارة بالكامل، ثم قام بسحب الخيط بشدة لكي يخرجها من الماء إلى جوار المركب. لكن السمكة كانت قوية، أبت أن تستجيب للشد، وأخذت تسبح بعيدا عن المركب، وهي تسحب معها الرجل العجوز وقاربه. سانتياجو كان يتمنى في هذه اللحظة، أن يكون معه الصبي مانولين للمساعدة.

اقتربت الشمس من المغيب، وسمكة المارلين لا تزال تسبح في نفس الاتجاه. لقد ابتعد سانتياجو عن الساحل كثيرا، ولم يعد يرى شيئا من اليابسة. لكنه يعرب عن عزيمته، ويتحدث مع السمكة قائلا: "أيتها السمكة، لن أتركك وسأبقى معك حتى الموت".

يعرب عن تناقضه بين رغبته في أن تهرب السمكة لكي تنهي الصراع في أسرع وقت ممكن، وقلقه من سقوط الخطاف من فمها وفقده لها. ثم يخاطبها من جديد: "أيتها السمكة، أحبك وأحترمك كثيرا لكنني سأقتلك للأسف قبل نهاية هذا اليوم".

يأتي طائر صغير لكي يقف على متن القارب، ويقوم سانتياجو بالتحدث معه، بينما مارلين تترنح وهي تسحب القارب إلى الأمام والخيط إلى أسفل، مما تسبب في جرح يده.

غمس سانتياجو يده في الماء المالح لوقف نزيف الدماء، وهو يلاحظ أن سرعة مارلين تتباطأ. انتهز هذه الفرصة لكي يأكل شيئا من سمكة التونة التي أمسك بها، لكي تمنحه بعض القوة، حتى يستطيع التغلب على محنته.

بينما يقوم بتقطيع سمكة التونة، تتقلص يده اليسرى فلا يستطيع التحكم فيها. فيخاطب يده قائلا: " أي نوع من الأيادي هذه؟"، "تقلصي كما تريدين، أو تحولي إلى مخلب، فهذا لن يفيدك.". ثم أخذ الرجل العجوز يأكل التونة، على أمل أن تجدد قوته وتساعده على علاج يده.

بعد ذلك، أخذت سمكة المارلين تخرج من الماء ثم تغوص فيها مرة أخرى بسرعة. سانتياجو مندهش من حجم مارلين، التي يزيد طولها قدمين عن طول القارب. هو يعلم جيدا أنها في إمكانها تدمير القارب وإغراقه إن أرادت.

يتحدث سانتياجو إلى نفسه قائلا: "نشكر الله أن الأسماك ليست بذكاء من يقومون بقتلها. إلا أنها أكثر نبلا وأقدر على الحياة". ثم يقوم بالدعاء والصلاة لكي يهدئ من روعه، ويبعد القلق عن نفسه. ويستمر في مطاردة صيده الكبير مرة أخرى.

بعد الغروب، يفكر سانتياجو مرة أخرى في انتصاراته الماضية، حتى يعطي نفسه المزيد من الثقة. يتذكر مباراة مصارعة ذراع رائعة خاضها في حانة في الدار البيضاء. كانت قد استمرت يوما بليلة، لكنه فاز بها في نهاية المطاف.

قرر سانتياجو النوم بعض الوقت. قام بتقطيع سمكة الدلفين التي أمسك بها حتى لا تفسد وأكل بعض أجزائها قبل أن يخلد للنوم.  ثم أخذ يلف خيط السنارة حول جسمه، وظل ممسكا الخيط بيده اليسرى، لإيقاظه عندما تترنح مارلين.  أثناء نومه، أخذ يحلم بأسطول أسماك، وبكوخه في القرية، وشبابه على سواحل أفريقيا.

استيقظ سانتياجو من نومه عندما ضغط خيط السنارة بشدة على يده اليمنى، بسبب قفز مارلين من الماء إلى سطح البحر. كل ما يمكن أن يفعله الرجل العجوز هو مسك الخيط بشدة. لكن ضغط الخيط على يده وهو يسحبه نحوه، قد أدمى يده وجعله يسقط في قاع القارب.

يحاول سانتياجو حفظ توازنه بالرغم من ذلك، ويدرك أن مارلين لن تذهب إلى العمق لكي تموت. بعد ذلك، أخذت مارلين تسبح في دائرة، استعدادا للجولة النهائية.

مع شروق الشمس، تبدأ مارلين السباحة في دائرة كبيرة. سانتياجو يجذب الخيط بقوة، ويسحبه ببطء بينما تدور مارلين. في الجولة الثالثة، يرى سانتياجو السمكة ويندهش من كبر حجمها.

يعد سانتياجو الحربة، ويسحب الخيط.  مارلين تحاول يائسة سحب الخيط بعيدا. سانتياجو يخاطب السمكة: "أنت تقتلينني. لكن لديك كل الحق في ذلك. فلم أرى أبدا شيئا أعظم أو أكثر جمالا أو أكثر نبلا منك يا أختي العزيزة. هيا اقتليني. لا يهمني من يقتلني".

مارلين لا تزال تدور في دوائر، تقترب بسبب سحب خيط السنارة. أخيرا تصل مارلين إلى جانب القارب، لكي يرشق سانتياجو حربته في جسدها. لقد ناضلت السمكة لكي تظل حية. مع قرب موتها، ارتفعت عاليا من الماء وظهر طولها الكبير وكل قوتها وجمالها. ثم اصطدمت بالبحر مما أمطر سانتياجو بوابل من رذاذ البحر.

بلمحة من عينيه، رأى سانتياجو السمكة ملقاة على ظهرها، والدم القرمزي ينتشر في الماء اللازوردي. يقول سانتياجو وهو يرى جائزته أمامه: "أنا رجل عجوز متعب، قتلت أختي السمكة البريئة، والآن يجب أن أقوم بعملي."

بعد صيد مارلين، ربط سانتياجو جسدها بالطول جنبا إلى جنب مع القارب. ثم بدأ يسحب خيط السنارة عبر خياشيم مارلين ومن فمها، وأبقى رأسها بالقرب من مقدمة المركب.

"أريد أن أراها، وألمسها وأشعر بها. فهي كل ثروتي. ظل سانتياجو يحدث نفسه. بعد تأمين مارلين وربطها بالقارب، وجهه لكي تقوم الرياح التجارية بدفعه نحو الجنوب الغربي.

بعد ساعة تقريبا من صيد مارلين وإسالة دمائها في الماء، ظهرت سمكة قرش جائعة من نوع ماكو. لقد تتبعت أثر الدماء التي خلفتها مارلين وراءها. وبينما سمكة القرش تقترب، أخذ سانتياجو يعد حربته، على أمل قتل القرش قبل أن يمزق جسد مارلين.

كانت رأس القرش وظهره يخرجان من الماء. وبينما هو يمزق جلد ولحم السمكة الكبيرة، رشق سانتياجو حربته في رأسه. أسماك القرش تغرق ببطء في مياه المحيط العميقة.

بعد ساعتين، يصل قرشان من نوع مختلف رأسه مثل المجرفة. بعد أن خسر سانتياجو حربته وهو يطارد سمكة القرش الأولى، ربط سكينه إلى نهاية

المجذاف، وأخذ يستخدم هذا السلاح البدائي في إبعاد الأسماك المتوحشة عن صيده الثمين.

نجح بسهولة في قتل إحدى السمكتين، لكن السمكة الأخرى كانت في هذه الأثناء تمزق جسد مارلين من تحت القارب. وبعد جهد مضني، يقتل سانتياجو سمكة القرش الأخرى.

ثم يعتذر سانتياجو لمارلين عن التشويه الذي أصاب جسدها. ويعترف: "ما كان ينبغي أن أذهب في المحيط إلى هذا العمق، أيتها السمكة. هذا لم يكن في مصلحتك أو مصلحتي. أنا آسف حقا."

هنا يجلس سانتياجو متعبا فاقدا الأمل. منتظرا الهجوم القادم من سمكة قرش أخرى من نوع أنف المجرفة. ينجح الرجل العجوز أيضا في قتل سمكة القرش، لكنه يكسر سكينه المثبت بنهاية المجداف أثناء ذلك.

تظهر المزيد من أسماك القرش عند غروب الشمس. ولم يعد مع سنتياغو أسلحة يستطيع بها الزود عن حماه، وإبعادها عن قاربه. إنه لا يريد أن يقتل أسماك القرش، بل يريد إصابتها بأضرار كافية حتى تبتعد عنه.

ينتظر سانتياجو حلول الظلام، حتى يكون قادرا على رؤية أضواء هافانا من بعيد وهي تقوده إلى اليابسة. يتأسف لعدم قطع سيف مارلين المثبت في رأسها واستخدامه كسلاح، عندما كانت معه السكين، ويعتذر مرة أخرى للسمكة. في حوالي الساعة العاشرة مساء، يرى ضوء هافانا ويتوجه نحوها.

أثناء الليل، تعود أسماك القرش. ظل سانتياجو يقاتل حتى منتصف الليل، هذه المرة كان يعرف أن المعركة عديمة الفائدة. لقد جاؤوا كمجموعة ولم يتمكن إلا من رؤية زعانفهم وهي تخط في الماء، متجهين لكي ينقضوا على سمكة المارلين.

أخذ سانتياجو يضرب بالعصا وبأي شيء يقع في يده يائسا أسماك القرش دون فائدة. إلى أن جاءت آخر سمكة قرش، لكنها لم تجد شيئا هناك يصلح للأكل.

الآن يبحر سانتياجو بخفة، لم تعد لديه أفكار ولا مشاعر من أي نوع.  هو الآن يركز على توجيه القارب للعودة إلى المنزل بعد غياب ثلاثة أيام، ويتجاهل أسماك القرش التي جاءت لقضم عظام مارلين.

عندما يصل إلى الميناء، كان الجميع نائمين. سانتياجو يخرج من القارب، حاملا الصاري مرة أخرى إلى كوخه. لكنه يسقط على الأرض وفوقه الصاري.

لقد حاول النهوض لكنه لم يستطع. جلس هناك والصاري على كتفه وأخذ ينظر إلى الطريق. حاول النهوض عدة مرات، وكان مضطرا إلى الجلوس خمس مرات قبل أن يصل إلى منزله. عند وصوله إلى كوخه، انهار سانتياجو على سريره ونام.

يصل الصبي مانولين إلى الكوخ فيجد سانتياجو لا يزال نائما. الصبي يتركه بسرعة لكي يحصل على بعض القهوة له، ويبكي على حاله وهو في طريقه إلى الشرفة.

يرى الصبي مانولين الصيادين وقد تجمعوا حول القارب، يقيسون طول مارلين الذي بلغ 18 قدما. عندما يعود مانولين إلى الكوخ، يجد سانتياجو مستيقظا. يتحدث الاثنان لفترة من الوقت، ويقول مانولين: "الآن سنصطاد معا مرة أخرى".

أجابه سانتياجو: "لا. لم أعد محظوظا بعد الآن". يعترض مانولين ويقول: "وليذهب الحظ إلى الجحيم. سأحضر معي الحظ". سانتياجو يرضخ ويترك مانولين يعد الطعام ويحضر له قميصا نظيفا.

بعد ظهر ذلك اليوم، يأتي سياح إلى الشرفة. سائحة ترى الهيكل العظمي لمارلين يحركه المد والجزر. لا تعرف أي نوع من الأسماك هذه، فتسأل عنه. فتأتي الإجابة بلغة إنجليزية ركيكة من صبي "إنه القرش". معتقدا أنها تريد أن تعرف ماذا حدث.

تعلق السائحة بقولها: "لم أكن أعرف أن أسماك القرش لديها ذيول جميلة". في الوقت نفسه، في كوخ سانتياجو، كان الرجل العجوز "لا يزال نائما على وجهه، وكان الصبي يجلس بجانبه يراقبه. كان الرجل العجوز يحلم بالأسود"

ملاحظات على الرواية:

سانتياجو بطل الرواية، صياد عجوز من كوبا، لم يصطاد أي شيء لمدة 84 يوما. في اليوم الخامس والثمانين، يصطاد سمكة كبيرة من شأنها أن تنقذ سمعته المهنية.

يكابد سانتياجو صراعا مريرا مع سمكة كبيرة على غير العادة من نوع مارلين التي لها حربة أو سيف كبير مثبت في رأسها.

لكنه يفقدها بسبب هجوم أسماك القرش الجائعة على جسدها أثناء عودته إلى بيته. بالرغم من خسارته لصيده الثمين الذي يمثل كل شيء له، ينهي سانتياجو الرواية بروح لا تعرف الهزيمة. سانتياجو يمثل هيمنجواي نفسه.

بحث سانتياجو عن صيد ثمين في شيخوخته، يعادل بحث هيمنجواي عن عمل عظيم يختم به حياته. في مواجهة المأساة الإنسانية وحقيقة الموت، كل عمل مخلص يقوم به الإنسان، هو عمل بطولي بدون شك.

بالرغم من أن الأسماك لا تتكلم، وليس لدينا إمكانية الوصول إلى أفكارها، سمكة المارلين هي بالتأكيد شخصية هامة في الرواية. سمكة المارلين هي السمكة التي ظل سانتياجو يتتبعها لمدة ثلاثة أيام، محاولا صيدها وسحبها إلى الشاطئ.

لكن السمكة هي أكبر وأكثر حيوية من أي سمكة قد شاهدها من قبل. لذلك، هي تمثل العظمة والكبرياء وهما سمتان من سمات النبلاء. لذا، عليه أن يكون هو الآخر نبيلا وعظيما، حتى يكون جديرا بهذا الصيد العظيم. العمل الأدبي العظيم، يجعل صاحبه عظيما.

سمكة المارلين الكبيرة، تمثل الأمل والجائزة الكبرى التي نحلم بها جميعا. هي الحب الكبير الذي يمكن أن نفقده، والشهادة العالية التي نفشل في الحصول عليها، والدولة الكبيرة التي يمزقها الفساد مثل تمزيق أسماك القرش لسمكة المارلين.

هي الشقة أو الأرض التي يغتصبها النصابون، والوطن الذي يسلب ويضيع على مرأى ومسمع العالم كله. كل منا له سمكة مارلين كبيرة يحلم بالحصول عليها، اختطفتها منه أسماك القرش المتوحشة في صورة أو في أخرى.

البحر هو شخصية مركزية في الرواية. معظم القصة تجري على قارب صغير يطفو على سطح البحر. يتعرف سانتياجو باستمرار على طيوره وسمائه وأسماكه وباقي مخلوقاته، هم سكانه وإخوته. حتى عيناه ملونتان بزرقة البحر وقوته. البحر هو اللاوعي الذي يستمد منه الكاتب أو الفنان أفكاره الإبداعية؟

نعم، هي قصة بسيطة على السطح، لكنها حكاية تحمل رسالة أعمق بكثير، تتجاوز الزمان والمكان. إنها تتحدث عن الحقائق العالمية لوجود الإنسان داخل هذا العالم. حيث يلعب الفخر والاحترام والمثابرة والأحلام، أدوارا هامة في حياة الإنسان أثناء نضاله وسعيه في مواصلة الحياة.

سانتياجو ليس لديه سوى كوخ مكسور وقارب متهالك مع شراع مرقع بقطع من أجولة الدقيق القديمة. عندما يفرده، يشبه راية هزيمة دائمة. تجاعيد وجهه الغائرة وجسمه الهزيل ينم عن مدى بؤسه. بسبب سوء حظه الرهيب، هو أيضا منبوذ في قريته الصغيرة.

كل شيء حول سانتياجو قديم بال، إلا أن عينيه لا تزالان بنفس لون البحر، مبهجتان وغير مهزومتين. بدلا من اليأس والاستسلام وسوء الحظ الذي لازمه مدة 84 يوما، أصر أن يبحر بمفرده إلى عمق الخليج ويذهب إلى مسافة أبعد مما كان قد قطعها من قبل. إصرار على البقاء ونضال من أجل الحياة.

فالرجل يجب أن يستمر في فعل ما يجب فعله، بأفضل ما لديه من قدرات، بغض النظر عن المحن التي تحل به. قد تقف التحديات والنكسات عقبة في طريق الرجل، لكن روحه يجب أن تبقى وثابة دون هزيمة. أو كما بينها هيمنجواي: "الرجل يمكن تدميره، لكنه لا يجب أن يهزم أبدا".

# إن الله يرى الحقيقة، ولكن ينتظر




يضع العديد من النقاد قصة "إن الله يرى، ولكن ينتظر" لتولستوي، مع أفضل القصص القصيرة التي كتبت على الإطلاق. موضوعها هو ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، والإيمان والقبول والغفران. لا تزال تقرأ وتدرس ما يقرب من قرن من الزمان. أعدت للعرض في الإذاعة والتليفزيون، وترجمت إلى معظم لغات العالم.

ولد الأديب وكاتب الرواية والقصة القصيرة والفيلسوف ليو تولستوي في 9 سبتمبر 1828م، في مقاطعة تولا روسيا. هو الأصغر من بين إخوته الأربعة. توفت والدته عندما كان عمره 18 شهراً. في وقت لاحق، توفى والده عام 1837م. تولت عمته تربيته هو وأشقاؤه، ثم انتقلوا بعد وفاتها إلى قازان للعيش مع عمتهم الثانية.

تلقى تولستوي تعليمه في المنزل عن طريق مدرسين ألمان وفرنسيين.

في عام 1843، دخل ليو جامعة قازان وبدأ في دراسة اللغات الشرقية، ثم تحول إلى دراسة القانون. وصفه معلموه بأنه غير قادر وغير راغب في التعلم على حد سواء. مما جعله يغادر الجامعة دون الحصول على درجة علمية.

في عام 1851، ذهب تولستوي مع أخيه الأكبر إلى القوقاز والتحق بالجيش. خلال خدمته في الجيش، بدأ في كتابة أول أعماله الأدبية، سيرة ذاتية عن ذكريات الطفولة. بعد ذلك، كتب عن ذكريات الصبا عام 1854م، ثم ذكريات الشباب عام 1857م.

بمجرد انتهاء الحرب، ترك ليو الجيش، وعاد إلى روسيا وأعلن نفسه أناركي، أي فوضوي لا يحترم أية سلطة غير سلطة الرب. بعد ذلك، أنشأ مدرسة أطفال في قريته. في 23 سبتمبر عام 1862، تزوج تولستوي صوفيا أندرييفا، وظل ما يقرب من عشرين عاما يعيش حياة مستقرة.

في يونيو 1863، ولدت زوجته أول أطفالهما الثلاثة عشر. تعتبر هذه السنوات السعيدة هي عصره الذهبي ككاتب. فيها ألف أفضل رواياته، منها رواية الحرب والسلام. ثم فجأة، أثناء أحد رحلاته في سبتمبر عام 1869، توقف في قرية أرزاماس ليقضي ليلته، إلا أنه قد ألمت به أزمة نفسية وقلق عنيف، جعله يعتقد أنه قد أصيب بالجنون.

لقد شعر بأنه سيموت، ووصف هذه اللحظة في كتابه "مذكرات مجنون"، بأنه شعر كأن جوفه سينفجر، مما أصابه بالرعب. يقول إن شيئا لا يوصف يقوم بتحطيم روحه المعنوية. احساس مروع يمزقه بدون أن يتمزق.

كانت هذه نقطة تحول في حياته، سببت له أزمات نفسية لسنوات عشر تالية من حياته. في خلال عامين، توفى ثلاثة من أطفاله فأصبح يائسا. لقد فقد إرادة الحياة وصار مشغولاً بفكرة الانتحار.

في مقال طويل بعنوان "إني أعترف" نشر عام 1882م، تظهر حالة اليأس التي كانت تنتابه بقسوة. لحسن الحظ لم تتخل عنه موهبته الفريدة في كتابة الرواية. فكتب لنا رواية "آنا كارينينا، في سبع سنوات.

بعد نجاح "آنا كارينينا"، لم يكن تولستوي مرتاحا لخلفيته الأرستقراطية وثروته المتزايدة. فترك كل هذا لكي يعيش حياة تقشف وزهد مثل الفلاحين. خلال هذه الفترة، كتب أيضا العديد من القصص القصيرة مثل "إن الله يرى الحقيقة، ولكن ينتظر". لقد وجد تولستوي في الدين حلا للتغلب على أزماته النفسية.

لكنه لا يؤمن بالمؤسسات الدينية المنظمة. يقول إنها تدعو إلى عقيدة فاسدة تتعارض مع التعاليم الحقة للمسيح. رفضه للطقوس الدينية، جعل الكنيسة الأرثوذكسية تقوم بحرمانه عام 1901م. أما شجبه لدور الدولة ومفهوم حقوق الملكية، فقد وضعه في تصادم مع الحكومة القيصرية التي بدأت تراقبه عن كثب.

بعد مشاكله المتزايدة مع زوجته، ترك المنزل في أواخر أكتوبر 1910م. لكنه أصيب بالمرض وتوفي بعد ذلك بسبعة أيام عن عمر يناهز الثانية والثمانين.

ملخص القصة:

تبدأ القصة بوصف تاجر وسيم شاب اسمه إيفان دميتريتش أكسيونوف. يعيش في فلاديمير مع عائلته. إيفان يشرب الخمر كثيراً عندما كان شابا يافعا. لكن بعد الزواج، استقر به الحال ولم يعد يشرب إلا في المناسبات.

في يوم صيف، قال انه ينوي الذهاب إلى معرض تجاري في مدينة مجاورة، وبدأ يعد نفسه لذلك. لكن زوجته أبدت قلقها من هذه الرحلة، فناشدته عدم الذهاب، لأنها رأت حلما سيئا. لقد رأت في المنام أنه عاد بعد أن شاب شعره وتحول إلى اللون الرمادي. لكن إيفان يضحك مبديا عدم الاهتمام ويذهب إلى المعرض بالرغم من ذلك.

يتعرف على تاجر آخر في طريقه. يتواصلان الحديث ثم يذهبان معا لتناول الشاي والمبيت في حانة قريبة منهما. يستيقظ إيفان كعادته مبكرا، لكي يواصل رحلته بمفرده إلى المعرض التجاري. بعد أن قطع مسافة 25 ميل، توقف لإطعام جياد عربته. أحضر جيتاره وبدأ العزف والغناء لكي يسلي نفسه.

فجأة تتوقف عربة شرطة بجوار عربته. نزل منها ضابط يتبعه جنديان وبدأ في استجواب إيفان. يسأله عن التاجر الذي التقى به وبقي معه في الحانة. لقد عثر على التاجر مذبوحا في غرفته بعد أن سرقت نقوده.

يبدأ الجنود في فحص عربة إيفان وحقائبه. لدهشته البالغة، وجدوا سكينا ملطخة بالدماء في حقيبته. يقسم إيفان، وهو منكس الرأس يرتجف من الخوف، بأنه لم يفعل شيئا ضد القانون وأنه برئ براءة الحمل من دم ابن يعقوب. لكن الضابط يأمر الجنود بالقبض عليه وأخذه معهم. لأن الأدلة دامغة، تشير إلى أنه مذنب متورط في هذه الجريمة البشعة.

لقد أصبح إيفان الآن متهما بقتل التاجر وسرقة عشرين ألف روبل منه.

زوجته المسكينة أصبحت يائسة. تزوره في السجن مع أطفالها الصغار. أحدهم تحمله على صدرها. بعد الاستجداء والتسول، سمحوا لها بزيارته. أثناء الزيارة، تخبره بأن القيصر رفض الالتماس الذي قدمته للعفو عنه.

ثم تتذكر حلمها وتسأل إيفان عما حدث. يخبرها بكل شي بالتفصيل. لكنها لم تكن مطمئنة من روايته، وتطلب منه مرة أخرى قول الحقيقة. هنا يزداد حزن إيفان، عندما يسمع منها ما يدل على شكها فيه. ثم يأتي الضابط ويطلب من الزوجة المغادرة.

بعد رحيلهم، يتذكر ما قالته زوجته وعدم ثقتها فيه. لا شك في أن الله وحده هو الذي يعلم الحقيقة. هو الوحيد الذي يجب أن نطلب منه الرحمة. إيفان يتخلى عن كل أمل ويتوقف عن كتابة عرائض الاسترحام. بعد ذلك، يتم إرسال إيفان إلى سيبيريا لقضاء عقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة في مناجم الفحم هناك.

يقضي إيفان 26 سنة أشغال شاقة في سيبيريا. هو الآن رجل كهل أبيض الشعر، مدان يقضي عقوبة السجن المؤبد. فقد كل شيء، زوجته وأولاده وشبابه ومتجريه وبيته وممتلكاته. ولم يتبق له سوى الخوف من الله وطلب مرضاته. هو الوحيد الذي يعلم أنه برئ.

في السجن، كان يسلك سلوك القديسين، محبب جدا من قبل سلطات السجن لوداعته واستكانته. كان يسمى الجد أو القديس بين زملائه السجناء. لا يعرف أي أخبار عن عائلته، ولا يعرف ما إذا كانت زوجته لاتزال على قيد الحياة أو قد توفيت.

ينفق القليل من المال الذي يكسبه من صنع الأحذية لشراء كتاب عن حياة القديسين. المسؤولون والسجناء يحترمونه لنزاهته في حل النزاعات. هو نفسه قد تحول إلى شخصية دينية.

في أحد الأيام، تأتي عصابة جديدة من المدانين إلى السجن. يجتمع السجناء القدامى حول القادمين الجدد يسألونهم عن المدن التي يأتون منها، وسبب الحكم عليهم. من بين المدانين الجدد، كان هناك رجل طويل القامة في الستينات من عمره، يدعى ماكار سيميونيتش، من بلدة فلاديمير.

يقول إنه جاء للسجن لأمر لم يفعله. لكنه يستحق السجن لشيء آخر فعله من قبل. يسأله إيفان إن كان يعرف أي شيء عن تجار عائلة أكسيونوف في فلاديمير. فيؤكد ماكار أن تجار أكسيونوف أغنياء الآن، وأن والدهم مدان ويقضي عقوبته في سيبيريا مثله.

ماكار يسأل إيفان عن سبب الحكم عليه، لكن إيفان لا ينطق بكلمة، ثم يروي لماكار كل القصة. ماكار يصفع ركبته ويقول إنه سعيد بمقابلته. ثم يتساءل إيفان عما إذا كان يعرف الشخص الذي قتل التاجر. لكن ماكار يرد بأن القاتل هو من وجدت السكين في حقيبته، إذ كيف يمكن لأي شخص أن يضع لشخص آخر السكين في حقيبته بينما هي تحت رأسه.

كيف عرف ماكار أن الحقيبة كانت تحت رأسه وهو نائم؟ تأكد إيفان الآن تماماً أن ماكار هو القاتل الذي قتل التاجر. بدأ يشعر بالبؤس والتعاسة والغضب الشديد نحوه، وهو يسترجع ذكرياته القديمة وأطفاله وزوجته ومعاناة السنين الطويلة في السجن بسببه. ثم أخذ يفكر مليا كيف ينتقم من ماكار سبب بؤسه ومعاناته وتدمير حياته.

لكن إيفان لم يفعل سوى تجنب ماكار حتى لا يرى صورته. ظل طول الليل يقيم الصلوات.  إلى أن وجد يوما كمية من الأتربة تسقط من أحد الرفوف التي ينام عليها المساجين. والتي تدل على أن هناك من يحفر نفقا للهرب.
 ثم يأتي ماكار ويهدد إيفان بالقتل إن باح بالسر وأخبر الحراس. لكن إيفان يقول إنه سيترك الأمر لله.

يكتشف الحراس النفق في اليوم التالي. ويبدأ استجواب جميع المساجين. أنكروا جميعا معرفتهم بهذا الموضوع. ينفرد المحقق بإيفان ويحثه على التحدث بما يعرفه عن النفق السري. في البداية، يفكر إيفان في إخبار المحقق بكل شيء، لكنه يغير رأيه.

في ليلة، بينما إيفان ينام في سريره، يقترب منه ماكار، ويتوسل إليه طالبا الصفح والمغفرة. فيسأله إيفان عن ماذا يطلب الصفح؟ ماكار يعترف له أنه هو الذي قتل التاجر. يرفض إيفان في البداية أن يغفر له. فيضرب ماكار برأسه الأرض وهو يبكي وينتحب. إيفان يبكي كذلك، ثم يغفر له.

ماكار يقول انه سيعترف للضابط بقتله للتاجر وسرقة أمواله، ومن ثم يحصل إيفان على حريته. بعد أن غفر إيفان لماكار، وجد أن مرارة الحقد في نفسه قد زالت، وامتلأ قلبه بالنور. لم تعد لديه الآن أي رغبة في مغادرة السجن. إنه فقط ينتظر ساعاته الأخيرة. ماكار يعترف بالحقيقة، وعندما يأتي قرار الإفراج، يكون إيفان قد فارق الحياة.

ملاحظات على القصة:

عنوان قصة "إن الله يرى الحقيقة، ولكن ينتظر"، له معنى رمزي. إنه عنوان يثير التساؤل. حقا، لماذا ينتظر الله، طالما هو يرى الحقيقة؟ العنوان يترك القارئ في حيرة، ويجعله مشتاقا لمعرفة ماذا يعني هذا العنوان. ثم يتابع القارئ أحداث القصة بتشوق  ودهشة.

الحل الديني للتغلب على مشاكل الحياة، لا يقبله الكثيرون من الفلاسفة والمفكرون. ماركس يقول إن الدين بالنسبة للإنسان هو مجرد تأوهات مظلوم وزفرات مقهور في هذا العالم الظالم الذي لا قلب له. الدين عبارة عن روح من

لا روح له. الدين أفيون الشعوب، تعني أن الدين هو الدواء والمخدر الذي يخفف من آلامهم.

القصة لها علاقة واضحة بفترة القلق والمعاناة التي مر بها ليو تولستوي في حياته. عندما كتبها، كان يبحث عن معنى للحياة. إلا أنه، لم يجد سوى الدين سبيلا للتغلب على أعباء الحياة ومشاكلها. وهي مفاهيم دينية كان يعتنقها في ذلك الوقت.

بالإضافة إلى ذلك، القصة تتمحور حول مفهوم العدالة ومرارة الظلم. أحداث القصة تدور حول شاب اسمه إيفان أكسيونوف يمر بظروف قاسية. هذه الظروف القاسية لم تجعل منه مجرما، بل قامت بتغيره لكي يصبح شخصا أفضل مما كان. لكن للأسف بعد فوات الأوان. ويبقى السؤال، لماذا يشاهد الإله الظلم وينتظر؟

أفكار تولستوي حول المقاومة السلمية، التي جاءت في أعماله، كان لها تأثير عميق على شخصيات تاريخية في القرن العشرين مثل المهاتما غاندي، ومارتن لوثر كينج.

الظلم هو موضوع القصة الأكثر وضوحاً. القضية ضد إيفان أكسيونوف كانت واهية غير مقنعة. فلم يكن هناك دافع للجريمة سوى سرقة العشرين ألف روبل من التاجر. المبلغ المسروق لم يوجد مع المتهم إيفان. السكين يمكن أن تكون قد وضعت في حقيبته للفت الأنظار عن القاتل الحقيقي.

يبدو أن السلطات الحكومية، كعادتها في كل العصور، كانت حريصة على إلصاق التهمة به منذ البداية. السلطات لم تبذل جهداً يذكر للتحقيق مع مشتبهين آخرين.

عندما رفض استئناف زوجته إلى القيصر، تقبل إيفان الظلم كأمر واقع من الصعب تصحيحه. إنه هنا يزهد في كل شيء. لم يتبق له لظهور براءته سوى العدالة الإلهية، التي لم يستطع الحصول عليها من أخيه الإنسان.

في السجن، يتحول إيفان إلى شخصية متواضعة خاشعة. إيمانه قوي لدرجة أنه حتى عندما علم بالظروف التي أدت إلى محنته، كان يعتقد أنه يستحق ذلك العقاب، لأنه لابد أن يكون إنسانا شريرا. الله لا يعاقب الأخيار البررة.

عندما يعلم من هو الفاعل الحقيقي للجريمة، تثار عنده مشاعر الاستياء المكبوتة. لكنه سرعان ما يكبتها ويغفر لمن ظلمه. يعتقد بذلك أنه قد امتلك نفسه، وأصبح الحاكم لشعوره وعواطفه وحياته.

# أن تقتل طائرا محاكيا



*جريجوري بيك في دور المحامي الإنسان يدافع عن الشاب المظلوم توم روبينسون*

كتبت هاربر لي (1926-2016) رواية "أن تقتل طائرا محاكيا" في وقت متوتر جدا في ولاية ألاباما بسبب العنصرية الشديدة. عندما كان الجنوب يفرق بين البيض والسود. السود مجبرون على استخدام مرافق خاصة بهم غير مرافق البيض في كل أنحاء الولاية.

إلا أن حركة الحقوق المدنية كانت قد بدأت، وبدأ يشتعل أوارها عندما رفضت روزا باركس التخلي عن مقعدها في أوتوبيس في مدينة مونتجومري بولاية ألاباما عام 1955. بعد تحديها الجريء، أصبح مارتن لوثر كينج، الابن، زعيم الحركة، وبدأت قضية التفرقة العنصرية تحظى باهتمام وطني كبير.

لهذا، رواية مثل "أن تقتل طائرا محاكيا"، والتي تعالج الظلم الناتج عن العنصرية وعدم المساواة في الجنوب الأمريكي، قد حظيت باهتمام بالغ من الجميع وقت صدورها.

اختارت المؤلفة أن تكون أحداث الرواية وقت الكساد الكبير في الثلاثينيات. الشخصية الرئيسية في الرواية، هي شخصية سكوت. بنيت على أساس طفولة المؤلفة نفسها.

من خلال وضع زمن أحداث الرواية في ثلاثينيات القرن العشرين، تكون المؤلفة قد قدمت لقرائها خلفية تاريخية للأحداث. بذلك تكشف عن تاريخ عميق الجذور للنضال من أجل الحقوق المدنية في الجنوب.

الرواية تروى على لسان فتاة صغيرة، تدعى سكوت فينش وهي الشخصية الرئيسية. والدها، اتيكوس فينش، محام ذو أخلاق عالية ومبادئ رفيعة. جيم هو شقيقها الأصغر. ديل مجرد طفل صديق لهما. أما بو رادلي، فهو جار عبيط نادرا ما يغادر بيته.

في بعض الأحيان، يحاول الطفلان وصديقهما التسلل إلى منزل بو في الليل والنظر من خلال نوافذه. شقيق بو، ناثان رادلي، الذي يعيش هو الأخر في المنزل، يسمع صوت وقع أقدام، فيطلق النار من مسدسه.

يهرب الأطفال، لكن، يشتبك سروال جيم بسور السك الشائك فيتركه عالقا ويهرب. عندما يعودان في منتصف الليل لاسترجاع السروال، يجداه مغسولا

ومكويا ومطبقا بعناية. حتى القطع بالسروال مكان الاشتباك بالسلك، تم حياكته بعناية.

بالقرب من منزلهما، توجد شجرة بها تجويف. عادة يجد الطفلان به بعض الهدايا متروكة لهم، مثل بعض النقود أو شرائح لبان وتماثيل صغيرة مصنعة من الصابون تشبهما في الشكل. لا يعرف الطفلان من وضع هذه الأشياء. عندما أرادا ترك رسالة لواهب هذه الهدايا، وجدا أن أخا بو رادلي قد ملأ التجويف بالأسمنت.

مع فصل الشتاء التالي لهذا الحدث، جاء البرد والثلوج وكانا على غير المتوقع. منزل الآنسة مودي، الجارة، تشتعل فيه النيران. بينما جيم وسكوت يقفان يرتجفان من البرد وهما يشاهدان الحريق بالقرب منزل رادلي، وضع شخص بطانية حول سكوت دون أن تدرك هي ذلك.

عندما عادا إلى المنزل، سألها والدها اتيكوس من أين جاءت بالبطانية؟ هي لا تدري، إذ ربما بو رادلي هو من وضعها عليها بينما كانت هي منشغلة بمراقبة الحريق.

يحاول الطفلان ترك رسالة لبو على نافذة منزله، لكن يراهما والدهما اتيكوس، ويعتقد أنهما يتلصصان على المنزل، فيقوم بتوبيخهما بحزم، ويمنعهما من السخرية من رجل بائس.

في هذه الأثناء، يقبل اتيكوس فينش، المحامي ووالد الطفلين، الدفاع عن رجل أسود يدعى توم روبنسون. اتهم ظلما باغتصاب امرأة بيضاء فقيرة تدعى مايبلا إيويل، من عائلة لها سمعة سيئة، تعتبر من نفايات المجتمع.

تواجه عائلة فينش انتقادات لاذعة في بلدة مايكومب بولاية ألاباما، شديدة العنصرية، لأنه قد قبل الدفاع عن توم الأسود ضد امرأة بيضاء. لكن، يصر اتيكوس على المضي قدما في القضية، لأن ضميره لا يمكن أن يسمح له بأن يفعل غير ذلك.

إنه متأكد من براءة توم، ويعلم جيدا أنه ليست لديه فرصة للبراءة. لأن هيئة المحلفين المكونة من 12 محلفا أبيض، لن تصدق أبداً الرجل الأسود وتكذب المرأة البيضاء.

بالرغم من ذلك، أراد اتيكوس الكشف عن الحقيقة لمواطنيه من سكان البلدة، وفضح تعصبهم، وحثهم على العدل، وإقناعهم بأن المساواة العرقية ممكنة.

وجد الطفلان، سكوت وجيم، نفسيهما هدفين للهمز واللمز أينما يتوجهان. في حفل عيد الميلاد، تضرب الطفلة سكوت قريبها فرانسيس، عندما اتهم اتيكوس بتدمير اسم العائلة، لأنه قبل الدفاع عن رجل أسود وأصبح معروفا ب "حبيب الزنوج". ويقوم الطفل جيم بقطع زهور جارته العجوز بعد أن سخرت من والده.

يقترب وقت المحاكمة، وتأتي ألكسندرا شقيقة اتيكوس للبقاء مع العائلة. انها من الطراز القديم وتريد تشكيل سكوت على النموذج الأنثوي الجنوبي المتعصب. إلا أنها تلقى مقاومة من سكوت.

يهرب ديل صديق الطفلين من منزله. تبدو والدته وزوجها الجديد غير مهتمين به، ويبقى هو في البلدة إلى حين محاكمة توم في الصيف التالي.

في الليلة التي سبقت المحاكمة، يتم نقل توم المتهم إلى سجن المقاطعة. يقف اتيكوس حارسا خارج باب السجن طوال الليل، خوفا من احتمال قتل توم خارج نطاق القانون.

عندما يغيب اتيكوس عن المنزل، يذهب الطفلان للبحث عنه. ثم تأتي مجموعة من الرجال المتعصبين إلى مبنى السجن وهم على استعداد لاستخدام العنف ضد توم، ويقومون بتهديد اتيكوس في نفس الوقت.

في البداية، وقفت سكوت ومعها جيم وديل جانبا. لكنها عندما شعرت بالخطر الحقيقي، انفصلت عنهما وبدأت في التحدث مع والد أحد زملائها في المدرسة. طفولتها وبراءتها نجحا في إخراج الحشد من عقلية الغوغاء، وجعلتهم يغادرون المكان.

أثناء المحاكمة، تم فحص أدلة الاتهام المقدمة من عائلة إيويل البيضاء، ومقارنتها بأدلة دفاع المتهم توم الأسود، وسماع شهود الطرفين. حسب كلام مايلا المجني عليها، لقد طلبت هي من توم القيام ببعض الأعمال اليدوية في المنزل أثناء غياب والدها في الخارج.

جاء توم إلى المنزل، وبدلا من القيام بالعمل المطلوب منه، قام بضربها قسرا واغتصبها، إلى أن جاء والدها فخاف توم وفر هاربا. أما رواية توم، فهي: لقد دعته مايلا إلى داخل المنزل، ثم احتضنته وألقت بذراعيها حول عنقه وبدأت في تقبيله.

حاول توم دفعها بعيدا عنه. عندما وصل بوب إيويل الأب، استشاط غضبا وقام بضربها، في حين هرب توم وهو في حالة رعب. وفقاً لشهادة الشريف (المأمور)، كدمات مايلا كانت على الجانب الأيمن من وجهها، مما يعني أنها تعرضت على الأرجح للكم باليد اليسرى.

لكن ذراع توم روبنسون الأيسر كان عديم الفائدة بسبب حادث قديم. بينما السيد إيويل الأب، فهو أعسر يستخدم يده اليسرى طول الوقت. هذا يعني أن الأدلة بها شك معقول يسمح بتبرئة توم وإطلاق سراحه.

لكن بعد ساعات من المداولة، أقرت هيئة المحلفين بأن توم مذنب. أثناء المحاكمة، كانت الأطفال سكوت وجيم وديل يجلسون في الشرفة مع الحضور السود الذين ذهلوا من الحكم، لأن الأدلة كانت واضحة لا تقبل الشك في صالح توم.

بالرغم من أن الحكم كان ظالما ومؤسفا، إلا أن اتيكوس شعر ببعض الارتياح، لأن هيئة المحلفين استغرقت وقتا طويلا في اتخاذ القرار. عادة في مثل هذه القضايا، يتم اتخاذ القرار في غضون دقائق، لأن شهادة الرجل الأسود لا يؤخذ بها وليست موضع ثقة.

كان اتيكوس يأمل في الاستئناف، لكن للأسف قام توم بمحاولة الهرب من سجنه، وقُتل بالرصاص أثناء المحاولة. يجد جيم الطفل مشكلة في فهم قرار المحكمة، وتهتز ثقته في وجود الخير بين البشر.

في الوقت نفسه، يهدد إيويل والد الفتاة، اتيكوس المحامي وأشخاص آخرين لهم صلة بالقضية، لأنه شعر بالذل والعار أثناء المحاكمة.

في أحد الليالي، تأتي له الفرصة. بينما سكوت وجيم عائدان من المدرسة إلى المنزل بعد قضاء بعض الوقت في اللعب هناك بمناسبة الهالوين (عيد الرعب)، تبعهم إيويل في الظلام، ثم ركض نحوهم وحاول قتلهم بسكين مطبخ كبير.

جيم يُكسر ذراعه، وسكوت، التي ترتدي قناع الهالوين، لا تستطيع رؤية ما يجري ولا تستطيع الدفاع عن نفسها. في هذه اللحظة، يأتي بو رادلي الجار ويطعن إيويل وينقذ الطفلين.

أخيرا، تأتي فرصة لسكوت لكي تقابل الخجول بو رادلي. في نهاية هذه الليلة المشؤومة، يأتي الشريف ويعلن أن إيويل، قد سقط على سكينه الخاصة فقتل نفسه.  لذا لن يكون بو، بطل الموقف ومنقذ الطفلين، متهما بتهمة القتل.

تمشي سكوت وبو إلى المنزل، وهي تتعجب كيف كان بو يراقبهما هي وجيم كل هذه السنين من داخل منزله ولم يتيسر لهما رؤيته. ثم يذهب بو إلى منزله ويغلق الباب. قالت سكوت أنها لن تراه مرة أخرى.

ملاحظات على الرواية:

رواية "أن تقتل طائرا محاكيا"، هي صرخة ضد العنصرية واستكشافا للأخلاق الإنسانية. تبين الخير والشر المتأصلان في النفس البشرية. اتيكوس فينش، والد سكوت وجيم، يقوم بدور المعلم، لأطفاله وأبناء بلدته، بل للإنسانية جمعاء.

فهو يعتقد أن النفوس البشرية هي مزيج من الخير والشر، لكن النصر يكون دائما للخير. هو يعلم ذلك لأطفاله وللبلدة التي يعيش فيها.

يقوم بالدفاع عن توم روبنسون، الرجل الأسود، البريء الذي اتهم باغتصاب امرأة بيضاء في بلدة مايكومب العنصرية في ولاية ألاباما الأمريكية، وقت الكساد العظيم. وهي مهمة مهولة في ذلك المكان وذلك الزمان.

بالرغم من التحدي المتمثل في قهر العنصرية المتجذرة في البلدة، وإجبار الناس على تغيير عقيدتهم ووجهة نظرهم الاجتماعية، نجد اتيكوس يكافح ويكافح بصبر دون كلل، لأنه يعتقد أنه سيجيئ يوم من الأيام، يسود فيه الخير وينتصر على الشر، وينعم الناس بالمساواة والعدل وكره العنصرية.

في بداية الرواية، ينشأ الطفلان على الإيمان بالخير وبراءة كل الناس. معتقدين أن الجميع يفهمون ويتمسكون بنفس القيم التي يؤمن بها والدهما.

خلال محاكمة توم روبنسون، يشعر الطفلان بخيبة أمل شديدة عندما تدين هيئة المحلفين، التي تتكون من أناس عاديين من سكان البلدة، توم روبنسون البريء بشكل واضح، لمجرد أنه رجل أسود متهم باغتصاب امرأة بيضاء.

إدراك أن هناك شر حقيقي في قلب المجتمع، يهز جيم حتى النخاع. كان يؤمن إيماناً قوياً بطيبة وصلاح كل الناس. لكن بعد هذه التجربة يجب أن يعيد تقييم فهمه لطبيعة النفس البشرية.

إن هذا الصراع الداخلي يسبب له ألماً نفسياً كبيراً، وهو يحاول أن يتصالح مع الحقائق المخيبة للآمال المتمثلة في عدم المساواة والعنصرية والظلم بصفة عامة. سكوت هي أيضا تحاول فهم هذه الأشياء، لكنها، حتى بعد المحاكمة، قادرة على الحفاظ بإيمانها بوجود الخير بين الناس.

في نهاية الرواية، يواجه كلا الطفلين الشر الحقيقي عندما يحاول  إيويل قتلهما. لكن الخير الحقيقي، المتجسد في بو رادلي ينقذهما، ويسود الخير أخيرا.

ومن الواضح أن العنصرية هي الموضوع الرئيسي في الرواية. خلال فترة الكساد، كان السود لا يزالون مقهورين بشدة في المجتمع.  لا يسمح لهم بالاختلاط بالبيض في الأماكن العامة، كما يتضح من الفصل العنصري بين الأعراق في المحكمة وفي المناطق العامة بالبلدة. علاوة على ذلك، كانت

أشياء مثل التزاوج بين البيض والسود، لا يسمح بها أبداً، وينظر إليها باستخفاف شديد.

الشجاعة تأخذ أشكالا عديدة في الرواية. اتيكوس يبدي شجاعة عندما يتطوع للدفاع عن رجل أسود في بلدة متسمة بالعنصرية الشديدة، ولا يخشى مواجهة الانتقادات والتهديدات بالعنف. وعندما يواجه الغوغاء من الرجال خارج السجن.

كما أن اتيكوس يعلم ابنته الشجاعة، بأن تتحكم في نفسها ولا تقوم بالرد على أولئك الذين ينتقدونها هي أو عائلتها. بالنسبة ل اتيكوس، عدم استخدام العنف، هو أعلى مراتب الشجاعة.

اتيكوس محام محترف. تركز الرواية حول دفاعه عن توم روبنسون. بالرغم من خسارة القضية، إلا أنه يعتقد بقوة أن الناس كلها متساوية أمام القانون. هو يبين هذا في دفاعه أمام هيئة المحلفين، وخلال مناقشاته اللاحقة مع طفليه جيم وسكوت.

عندما تلقت سكوت وجيم بندقيتين كهديتي عيد الميلاد، قال لهما اتيكوس الوالد، أنه يفضل التدريب باستخدام علب الصفيح الفارغة. لكن إذا احتاج الأمر إطلاق النار على الكائنات الحية، فيجب ألا تطلق على الطائر المحاكي.

يوضح اتيكوس ويقول، إنه من الخطيئة قتل الطائر المحاكي. لأن الطائر المحاكي، لا يسبب ضررا لأي شخص أو حيوان أو نبات. كل ما يفعله، هو العيش في سلام والتغريد بصوت جميل. لذلك، من الخطيئة قتله لأي سبب. الطائر المحاكي في الرواية يمثل الخير والنقاء الحقيقي.

توم روبنسون، المتهم، هو طائر محاكي في صورة إنسان. عندما يحكموا عليه بالإعدام وهو برئ، هم في الواقع يكونون قد قتلوا طائرا محاكيا. بو رادلي هو

الآخر طائر محاكي. لقد أمضى حياته كلها سجينًا في منزله لأن والده كان مفرطًا في معاقبته على خطأ في طفولته.

بو رادلي يلاحظ العالم حوله من النافذة، ولا يسبب أي ضرر لأحد. بل ينقذ حياة جيم وسكوت عندما يهاجمهما بوب إيويل. الشريف يقرر أن موت إيويل إثر حادث، لكي يجنب بو رادلي المحاكمة.

اتيكوس يوافق، ويريد التأكد من أن ابنته سكوت تفهم لماذا مثل هذه الكذبة البيضاء يجب أن تقال. فتجيبه قائلة بالطبع أنها تفهم. لأن محاكمة بو رادلي، هي بمثابة قتل طائر محاكي، يمثل الخير والبراءة. وهذا ما يجب حمايته دائما.

تم انتاج الرواية كفيلم سينمائي عام 1960. إخراج متألق من روبرت موليجان. الرواية نفسها قد حصلت على جائزة بولتزر. الفيلم يعتبر من أحب الأفلام التي عرضت على الشاشة.

بطولة الفيلم قام بها جريجوري بيك في دور اتيكوس فينش، وهو دور لا ينسى. فاز بسببه بجائزة الأوسكار عام 1963 لأفضل ممثل. كما أن معهد الفيلم الأمريكي، قام بتكريمه عام 2003. خطابه الختامي لمدة 9 دقائق، هو أحد المشاهد الأكثر تأثيرا في تاريخ السينما الأمريكية.

# أوديسة الفضاء، 2001



*بومان يصارع العقل الإلكتروني*

الإنسان الأول الذي كان يعيش في أحراش أفريقيا، أوشك على الانقراض. لم تمنحه الطبيعة المخالب القوية أو الأنياب الحادة أو الأقدام السريعة. لكن عيناه كانتا تومضان ببريق من الوعي، جذب انتباه حضارة كونية متقدمة، أرادت أن تعرف كنه هذا الوعي، وتساعده على التقدم.

في أحد الأيام، وجد الإنسان الأول جسما منتصبا في شكل مستطيل. الجسم غير عادي، يطلق أصواتا غريبة تجذبه إليه مثل المغناطيس. وعندما يحل

الظلام ويرخي سدوله، يتوهج هذا الجسم وتظهر عليه رسوم وأشكال غريبة. الإنسان الأول مذهول، لا يعرف أن هذا الجسم الغريب يستكشف قدراته العقلية ويقيس احتمالات تطوره المستقبلية.

ثم يكتشف الإنسان الأول أنه بدأ يفعل أشياء جديدة مثل استخدام الأدوات البسيطة ومطاردة الحيوانات الكبيرة. بذلك، أمكنه الانتصار على الجوع الذي لا نهاية له والخوف من الحيوانات المفترسة. مما أتاح له الفرصة لكي يفكر ويتخيل ويبتكر.

ثم يكتشف العلماء في القرن الواحد والعشرين أول دليل على سطح القمر لا يمكن دحضه يثبت وجود حضارات خارج الكرة الأرضية. وهو وجود طاقة موجة في شكل نبضات صادرة من جسم مدفون تحت سطح القمر على عمق 40 قدما، موجهة إلى كوكب المشتري.

هذه المعلومات قد تسبب صدمة للناس لا يمكن التنبؤ بحجمها. لذلك بقيت هذه الأنباء محصورة في دائرة صغيرة من المسؤولين. في نفس الوقت تم التحضير لسفينة فضاء استكشافية يقودها خمسة من رواد الفضاء والعلماء.

اثنان من طاقم الرحلة، هما "فرانك بول" و"ديفيد بومان"، من واجبهم أداء الواجبات اليومية داخل سفينة الفضاء، بينما الثلاثة الآخرون محفوظون في توابيت زجاجية في حالة بيات شتوي اصطناعي، لن يفيقوا منه إلا عندما تدور المركبة حول كوكب المشتري.

هؤلاء الثلاثة، هم فقط الذين يعلمون الهدف الحقيقي لهذه الرحلة. وهو الاتصال المحتمل بحضارة أخرى خارج الكرة الأرضية، قد تكون أكثر تقدما وأفضل أخلاقيا. أما بول وبومان، فلا يعلمان الغرض الحقيقي من الرحلة، غير أنها مجرد رحلة فضاء عادية.

في الواقع، من يقوم بقيادة سفينة الفضاء والتحكم في كل شيء فيها، هو عضو سادس من طاقمها، "هال 9000"، العقل الالكتروني والجهاز العصبي

للمركبة. لقد تم تصميم "هال 9000" حتى يكون كاملا ومعصوما من الخطأ، من خلال عمليات مماثلة لتطور العقل البشري. الآن هو قادر على ممارسة التفكير الحقيقي والتحدث مع البشر بلغتهم وانفعالاتهم، والعناية بمركبة الفضاء وروادها الخمسة.

لكن حجب أهداف الرحلة والغرض من القيام بها عن هال وبعض أعضاء الرحلة، تسبب في تدميرها نفسها. هنا يبدأ هال في ارتكاب أخطاء مقصودة. ثم تأتي الأزمة عندما يقرأ هال حركة الشفاه من خلف شباك زجاجي ويعلم أن بول وبومان يتآمران للتخلص منه كلية بسبب أخطائه.

هنا يأخذ هال الحل الوحيد. لقد تمت برمجته لحماية نفسه من أي خطر يتسبب في إيقافه عن العمل. فيقوم بمحاولة التخلص من أعضاء البعثة كلهم وإنهائها في حد ذاتها.

يقوم هال بقتل الرواد الثلاثة النائمين نوما اصطناعيا في توابيتهم بقطع الأكسجين عنهم. ويقوم أيضا بقطع حبل الأوكسجين عن فرانك بول عندما خرج في كبسولة لإصلاح عطل مفاجئ، ويتركه يهوي في الفضاء اللانهائي.

يرى ديفيد بومان وهو مذهول ذلك على الشاشة، ويفشل في إنقاذ رفيقه الوحيد الباقي على قيد الحياة. ثم يسمع بومان صوت تفريغ هواء المركبة وهو يتسرب مندفعا من فتحة إلى خارج السفينة، لكنه يتمكن من الهرب عن طريق غرفة طوارئ.

ينجح بومان في الوصول إلى مراكز التفكير والذاكرة الإلكترونية ل "هال 9000". فيقوم بإبطالها. لكن جميع المحركات وأجهزت الملاحة في السفينة لاتزال تعمل في حالات جيدة. كمية الأوكسجين المتبقية، ستكون كافية له لعدة أشهر.

وتستمر مركبة الفضاء في سيرها. عندما تدخل مدار كوكب المشتري، يجد بومان نفسه يسقط في فجوة عميقة، متجها نحو أضواء ذات ألوان براقة

متعددة، كأنه يسافر في نفق عبر الزمان والمكان، إلى عالم آخر، خارج عالمنا هذا.

أخيرا تهبط المركبة أو ربما كبسولة فضاء وبها بومان على أحد أقمار كوكب المريخ. فيجد نفسه داخل قصر أو فندق. لكنه قد هرم وأصبح رجلا عجوزا، يأكل وينام في عرفة نوم فاخرة. أرضها مضاءة بالنور وحيطانها مزينة باللوحات الزيتية والتماثيل.

بومان، الرجل الذي تغلب على العقل الإلكتروني بذكائه، وقام بإبطاله، يرى لحظاته الأخيرة وقد شارف على الموت. لكنه، مثل القرد كثيف الشعر الذي تطور وقفز قفزة هائلة إلى الأمام في سلم التطور، عندما لامس الجسم الغريب منذ ملايين السنين.

يمد بومان يده وهو على فراش الموت نحو جسم المراقبة الثالث الذي ظهر أمامه فجأة في الغرفة. وهو جسم شبيه بالجسم الذي ظهر للإنسان الأول والجسم المدفون تحت سطح القمر. لعل الانسان الحالي يتطور هو الآخر إلى شيء أفضل.

ثم نرى في نهاية الفيلم وعلى أنغام موسيقى شتراوس، جنين آدمي على وشك الولادة، وأمل مشرق في مستقبل واعد للبشرية.

ماذا يقول الفيلم؟
أولا، خطر التكنولوجيا:

خطر التكنولوجيا يظهر هنا مع سلوك العقل الإلكتروني "هال 9000". يتم تصميم هال كعقل معصوم من الخطأ، ويعمل بشكل مثالي بعض الوقت، لكن ينقلب ذكاؤه الصناعي على الإنسان في مشهد شهير لا ينسى في عالم السينما. عندما ذهب ديفيد بومان لكي يوقفه عن العمل، فأخذ هال يرجوه قائلا: "ديف لا، توقف ديف."

هذا تحذير مبكر جاء مع الفيل منذ أكثر من نصف قرن. يجب أن ننتبه لخطر التكنولوجيا. الذكاء الصناعي للآلة لا ندري ماذا يفعل بنا.

كذلك خطر المفاعلات والأسلحة النووية الذي لا يزال قائما والكفيل بفناء البشرية إذا قامت حرب نووية عن طريق الخطأ أو سوء الحسابات والتقدير.

كما أن هندسة الجينات وفيروس كورونا المستجد، واحتمال أنه قد خرج من المعامل كما تقول بعض النظريات، هو خير دليل على ما يمكن أن ينتج إذا انقلب السحر على الساحر. إذا قامت حرب استخدمت فيها الميكروبات أو الأسلحة الكيماوية وأسلحة الدمار الشامل في المستقبل.

لا يعني هذا أننا يجب أن نتخلص من التكنولوجيا برمتها، ولكن يجب الحذر من التعامل معها بأسلوب عشوائي نفعي أناني، بدون قلب وضمير ومسؤولية وأخلاق.

ثانيا، التطور:
الفيلم يتوقع تطور الإنسان في المستقبل. حتى يتجاوز الحاضر بآلامه وظلمه وحروبه وحكامه، غير الأكفاء والمعاقين ذهنيا وأخلاقيا. ويتنبأ بإنسان نيتشه السوبرمان. وكما أن الإنسان الأول قد تطور مع بداية استخدامه للأدوات، سوف يتطور الإنسان الحالي مستقبلا عن طريق الثقافة والعلوم والفنون والأخلاق.

فيلم أوديسة الفضاء 2001، يعتبر أحد أعظم الأفلام التي ظهرت في تاريخ السينما الحديث. هو أحسن فيلم أنتج في الستينيات، وبالنسبة لبعض النقاد، هو أفضلها على الإطلاق.

لكن البعض، لا يتفق مع هذا الرأي. لماذا؟ لأن الفيلم يفتقر إلى ما قد وضعته هوليوود من قواعد. يفتقر لعناصر القصة والرواية. ليس هناك عنصر نسائي أو جنس أو حبكة أو إشراك للشخصيات في الحوار. تقريبا فيلم بدون كلام. مناظر رائعة ومشاهد لا تنسى، لكن بدون حوار.

من يبحث عن قصة، سيجدها في الرواية، لا الفيلم. القصة ستجيب على الكثير من الأسئلة التي تركت لمشاهد الفيلم لكي يبحث عن إجابتها بنفسه. وهذا هو سر عظمة هذا الفيلم.

ربما يكون فيلم أوديسة الفضاء 2001، هو الوحيد الذي نجد مشاهدته على الشاشة أفضل من قراءة قصته. متعة مشاهدة الفيل تقع في غموض ما يعنيه. غموض الفيلم يظهر منذ البداية.

فمثلا، عندما يرمي القرد بعظمة إلى السماء، فتتحول إلى سفينة فضاء. هذا مشهد غير مفهوم لكثير من المشاهدين، لكنه واضح لقراء الرواية. كما أن الجسم الغريب المدفون تحت سطح القمر والذي تتجه موجاته إلى كوكب المريخ، غير واضح في الفيلم بعكس الرواية.

النهر في الرواية يمثل الأفكار، في الفيلم بركة ماء. يفصل القردة المتقدمة عن الأقل تقدما. فليست كل الشعوب تتطور بنفس الطريقة.

لكن الجسم الغريب، الذي ظهر فجأة على شكل مستطيل، هو بمثابة عهد جديد ودافع لتطور الإنسان الأول حتى تمكن من الوصول إلى تكنولوجيا عالية جعلته يرسل مركبة استكشافية في الفضاء.

ثقة الإنسان المطلقة في التكنولوجيا وجعل "هال 9000" هو الحاكم بأمره والمسيطر على كل أجهزة مركبة الفضاء وقراراتها وحده، يبين لنا خطورة حكم الفرد المستبد.

مجرد حجب هدف الرحلة عنه، جعله يحاول إفسادها. وعندما تقرر عزله وإبعاده عن التحكم في مصير المركبة، نجح في قتل أربعة من طاقمها، ونجا العضو الخامس بومان بأعجوبة. الدكتاتور المستبد يفعل نفس الشيء.

الفيلم من إنتاج شركة مترو جولدين ماير،

مؤلف قصة الفيلم: آرثر سي كلارك
إخراج: ستانلي كوبريك
تمثيل: كير دوللي في دور ديفيد بومان،
جاري لكوود في دور فرانك بوول

# أنا كلاوديوس



*أوغسطس وزوجته ليفيا*

كتب روبرت جريفز رواية "أنا، كلاوديوس" عام 1934. الرواية هي سيرة ذاتية لتيبيريوس كلاوديوس دروسوس نيرو جيرمانيكوس، أو باختصار "كلاوديوس"، الإمبراطور الروماني من 44 إلى 51 م.

من أجل الحفاظ على هذا المفهوم، يكتب جريفز روايته على لسان الشخص الأول، كاملة مع تعبيرات منمقة ومفردات تاريخية، كما لو كان كلاوديوس يكتبها بالفعل.

بالرغم من أن التركيز التقني للحبكة يركز على كلاوديوس كبطل للرواية، فإن ملاحظات كلاوديوس المستمرة لمن حوله في "سيرته الذاتية" تعني أن الرواية تحتوي أيضا على معلومات مفصلة عن جميع شخصيات عائلة كلاوديان تقريبا.

موضوع الرواية ليس من المستغرب بشكل خاص، بالنظر إلى ميل جريفز للتاريخ الكلاسيكي والأساطير. قبل أن ينضم إلى الجيش للقتال في الحرب العالمية الأولى، كان جريفز ينوي دراسة الكلاسيكيات في جامعة أكسفورد، ولديه خلفية قوية في هذا المجال من دراسته السابقة.

أظهر جريفز اهتماما أكثر وضوحا بهذا المجال في السنوات اللاحقة، عندما كان يترجم ويحرر العديد من الأعمال الكلاسيكية، بما في ذلك "الأساطير اليونانية" و "الأساطير العبرية" و "رباعيات عمر الخيام" و"الحمار الذهبي".

اعتمد جريفز بشكل كبير على الحقائق والروايات التاريخية، عند صياغة شخصيات وأحداث الرواية. كلاوديوس التاريخي كان معروفا بأنه يعاني من العديد من الإعاقات الجسدية، على غرار كلاوديوس في الرواية، كما تم تجاهله إلى حد كبير من قبل بقية أفراد عائلته حتى أصبح إمبراطورا في سن 49 عاما.

كان من المعروف أيضا أن كلاوديوس التاريخي هو مؤرخ متعطش لكتابة التاريخ، كتب سيرته الذاتية الخاصة في 8 مجلدات، والتي، للأسف، فقدت الآن. كما اعتمد جريفز على مؤرخين مثل سويتونيوس، بلوتارخ، وتاكيتوس كمراجع تاريخية.

رواية "أنا، كلاوديوس" وتتمتها، "كلاوديوس الإله"، تم استقبالها استقبالا جيدا للغاية عندما نشرت لأول مرة، ومنحت جائزة جيمس تاجت للرواية عام 1936. وظلت مشهورة في المجتمع الأدبي إلى اليوم.

ثم أنتجتها ال بي بي سي، مسلسلا من 13 حلقة، غاية في الروعة والإتقان. حصل المسلسل على جائزة عام 1976م، بطولة ديريك جاكوبي في دور كلاوديوس المتلعثم، سين فيليبس في دور ليفيا، براين بليسيد في دور أوغسطس.

من المفارقات أن جريفز يعترف بأنه كتب الرواية بدافع الحاجة المالية، فقط لا غير. لقد شاهدت هذا المسلسل أربع مرات منذ إنتاجه. كل مرة أجده أحسن من المرة السابقة. القصة والإخراج وإتقان التمثيل من المدرسة الشكسبيرية الإنجليزية شيء لا يمكن تصديقه، وخصوصا سين فيليبس في دور ليفيا الشريرة. المسلسل موجود على النت يمكن تنزيله ومشاهدته.

الإطار العام للرواية في "أنا، كلاوديوس" هو نبوءة قدمتها العرافة في البداية. وفقا للنبوءة، كلاوديوس سوف يصبح إمبراطورا، هو قبل الأخير في خط عائلة جوليو كلاوديان، أو القيصر السادس.

كما توجه النبوءة كلاوديوس لكتابة سيرة ذاتية لحياته لصالح الأجيال القادمة. الكاهنة تبلغه أنه في النهاية سوف يتحدث بوضوح، من خلال كتاباته بعد 1900 سنة. يستخدم جريفز هذه النبوءة لتحديد الدافع وراء كتابة السيرة الذاتية لكلاوديوس.

بالرغم من أن الرواية تهدف إلى تصوير أفكار كلاوديوس وتجاربه الحياتية، إلا أنها تقدم منظورا فريدا لهذا الوقت التاريخي الذي يجعل الماضي يبدو كأنه ينبض بالحياة.

وتبين ما كان يدور في القصور وفي أجنحة الحريم وخلف كواليس الأباطرة والملوك، والصراع الدامي المميت على السلطة، الذي يجعل الأب يقتل

أبناءه، والأم تقتل أولادها في سبيل الحفاظ عليها. لكن السلطة مفسدة، والسلطة المطلقة فساد مطلق.

تبدأ الرواية عندما يقوم كلاوديوس بتقديم نفسه للقراء. وهو يحدد الفترة الزمنية للرواية، واصفا إياها بأنها سرد واقعي لحياته من ذكرياته الأولى في عام 41 م، إلى عام 51م، عام وفاته.

كمؤرخ، ينوي كلاوديوس أن تتجاوز روايته المؤامرات السياسية في عصره، وتسمح للأجيال القادمة بفهم حقيقة ما حدث بالفعل لفرع جوليو كلاوديان، عائلته.

يؤكد كلاوديوس للقارئ أنه مؤرخ متمرس يكتب المذكرات بطريقة سرية للغاية. كما يشرح كلاوديوس قراره بكتابة هذا النص على أنه تحقيق لنبوءة العرافة، في كومي.

أبلغته العرافة أنه، في نهاية المطاف، سوف يصبح إمبراطور روما، والأهم من ذلك، وعدته بأنه "سيتحدث بوضوح" في 1900 سنة. يأخذ كلاوديوس الجزء الأخير من النبوءة كعلامة على أنه يقصد به كتابة سيرة ذاتية. فقط من خلال كتاباته سوف تكون في النهاية خالية من التلعثم الذي أصابه في حياته.

في الفصل الثاني، يبدأ كلاوديوس في وصف شجرة عائلته، موضحا أن خط كلاوديان أنتج دائما نوعين من الفاكهة: التفاح الجيد والتفاح الرديء. واحدة من أسوأ التفاح الرديء في عائلة كلاوديوس، هي جدته ليفيا. امرأة، مؤامراتها وتخطيطها، سوف يهيمنان على النصف الأول من السيرة الذاتية لكلاوديوس.

في البداية، ليفيا كانت متزوجة من جد كلاوديوس، الرجل الذي يصفه كلاوديوس بأنه واحد من أفضل أفراد الكلاوديين. حاولت ليفيا، المتآمرة والطموحة للغاية، إقناع جد كلاوديوس بالاستيلاء على السلطة وتحويلها إلى مملكة، لكنه رفض الانصياع لرغباتها الشريرة المعادية للجمهوريين.

عندما وجدت ليفيا أن زوجها أصبح عقبة في سبيل تحقيق رغباتها، لذلك قررت أن تأخذ الأمر بيدها، وبحثت عن زوج تستطيع السيطرة عليه. فوقع اختيار ليفيا على أوغسطس. الرجل المناسب لتحقيق خططها ومؤامراتها. وزعمت أنها كانت حاملا منه. حتى تجبر زوجها، جد كلاوديوس، على طلاقها.

ليفيا كانت في الواقع حاملا من زوجها الأول، لكنها كذبت من أجل إجباره على طلاقها والسماح لها بالزواج من أوغسطس. عندما ولد الطفل، والد كلاوديوس، تم إرساله إلى بيت والده الطبيعي ليربيه مع أخيه تيبيريوس.

بعد أن اكتشفت ليفيا أن زوجها السابق، يقوم بتعليم الأولاد معتقداته عن النظام الجمهوري، نجده يموت فجأة أثناء تناول الطعام مع الأصدقاء. هذا أول الغيث، والأولى من العديد من جرائم القتل التي سيربطها كلاوديوس في نهاية المطاف بجدته ليفيا.

باتت ليفيا قادرة على التحكم في أوغسطس، تماما كما كانت تريد، وأصبح مثل الخاتم في إصبعها، وذلك باستخدام اقتراحاتها ومشوراتها الذكية، بالإضافة إلى إرادتها الحديدية، التي لا تعرف الكلل أو الملل، كي تعده وتشكله ملكا لروما. فهي تريد أن يحكم أوغسطس العالم بعد أن يحكم روما، وتحكم هي أوغسطس.

من خلال توجيهاتها، أصبح أوغسطس قنصلا لروما، ثم صار حاكم مقاطعة وقائد جيش. بعد ذلك، قام بالسيطرة على أعضاء مجلس الشيوخ والفرسان والخزانة العامة، وأخيرا تولى دور الحبر الأعظم، الذي يسمح له بالسيطرة الكاملة على النظام الديني بأكمله. قبل مضي فترة طويلة، أصبح أوغسطس هو الملك في كل شيء ما عدا الاسم، وحتى الأضرحة الدينية، بنيت تكريما له.

تتفاقم قدرة ليفيا على التلاعب بزوجها الجديد بسبب عجزه الواضح عن ممارسة دوره كزوج. لكن ليفيا تستخدم عجزه هذا لمصلحتها الخاصة، وتقوم بتذكيره على الدوام بفشله كزوج عن طريق إرسال الجواري والسرايا الجميلات، لكي تأخذن مكانها في غرفة نومه.

بمجرد أن جمع أوغسطس كل عناصر القوة في يده، بدأت ليفيا في التخطيط والبحث عن وريث، يسير على خطاه، بشرط أن يكون من عائلة كلاوديان.

بالنسبة ل أوغسطس، الوريث المفضل هو مارسيلوس، زوج ابنته جوليا، وابن أوكتافيا، المنافسة والعدوة اللدود ل ليفيا. غيرة ليفيا من كل من جوليا وأوكتافيا جعلتها مصممة على أن يختار أوغسطس أجريبا كوريث، وهو صديق قديم وجندي ممتاز من ذوي الخبرة.

ثم توقع ليفيا بين مارسيلوس وأجريبا ضد بعضهما البعض، وتقوم بوضع السم سرا ل أوغسطس لكي تمرضه بما فيه الكفاية، حتى يخاف الموت ويسرع في تسمية أجريبا وريثا له. لكن أجريبا لا يرغب في أن يدخل وسط الصراع السياسي، فيغادر روما ويذهب إلى منفى اختياري في سوريا.

بالرغم من أنه لم يتم تعيينه وريثا، إلا أن مارسيلوس ما يزال له نفوذ سياسي كبير، ولا تزال والدته أوكتافيا تثير غضب وغيرة ليفيا. بعد وقت قصير من انتخابه للقضاء في المدينة، يمرض مارسيلوس في ظروف غامضة ويموت، وهي الوفاة التي سيربطها كلاوديوس مباشرة ب ليفيا.

مع وفاة مارسيلوس، تعتزم ليفيا أن تزوج جوليا ابنة أوغسطس من ابنها تيبيريوس، وبالتالي تضيف ثقلا إضافيا لمطالبته بالعرش. لسوء الحظ، يقرر أوغسطس أن يزوج جوليا من أجريبا بدلا من ذلك، مستخدما ابنته كرشوة مغرية من أجل جعل أجريبا يعود من سوريا.

ليفيا مستاءة للغاية من قرار أوغسطس، لكنها غير قادرة على فعل أي شيء، لأن أجريبا حاسم للغاية، بالنسبة لما يدور في الإطار السياسي لروما.

عندما تأكدت ليفيا من أن وجود أجريبا غير ضروري في روما، رتبت قتله. ثم عملت على تزويج جوليا ابنة أوغسطس، التي ترملت مرتين الآن، إلى تيبيريوس ابنها من زواج سابق. وهو الرجل الذي يعترف كلاوديوس بأنه واحد من أسوأ الكلاوديين.

في غضون ذلك، أصبح والد كلاوديوس، الذي يوصف بشكل خاص بأنه من أفضل الكلاوديين، جنديا ناجحا واستراتيجيا عسكريا عظيما. تزوج من أنطونيا، والدة كلاوديوس.

لا يزال والد كلاوديوس يؤمن بتعاليم الجد حول الجمهورية، ويختلف مع الطريقة التي تدار بها روما من قبل أوغسطس وليفيا.

بينما كان متمركزا في مخيم في ألمانيا، كتب والد كلاوديوس رسالة إلى تيبيريوس يحدد فيها كل العيوب الكامنة وراء النظام الحالي للحكومة ويعبر عن آرائه السلبية حول ليفيا والدته. علمت ليفيا بالرسالة التي أغضبتها بشدة.

بعد أن سقط من على جواده وأصيب في أحد المعارك على الجبهة الألمانية، أرسلت ليفيا طبيبها الخاص إلى المخيم "لعلاج" ابنها والد كلاوديوس. بعد ذلك بوقت قصير، يحضر تيبيريوس، لرؤية شقيقه وهو يحتضر. فهل هي مصادفة.

يبدأ الفصل الخامس بوصف كلاوديوس لطفولته المبكرة. وكان كلاوديوس، آخر الأطفال الذين ولدوا قبل وفاة والده، مريضا بشكل ملحوظ. عندما كان رضيعا، أصيب بالعديد من الأمراض، منها الملاريا والحصبة والتهاب القولون.

نتيجة لهذا، أصيب بالصمم في أذن واحدة، وكان يعرج دائما من شلل الأطفال، وعانى من التشنجات اللاإرادية والتلعثم في الكلام. بالرغم من كونه أصغر طفل، أنطونيا، والدته، كان لديها كره شديد له. تنظر إليه، هي وباقي

العائلة، على أنه لا شيء أكثر من أحمق لا قيمة له.

عندما كان كلاوديوس في الثامنة من عمره، بينما كان يلعب هو وأشقائه في الحديقة، كانت مجموعة من النسور تتقاتل في الجو، وإذا بشبل ذئب جريح يسقط بين ذراعي كلاوديوس. علمت أم كلاوديوس أن ابنها سيكون له شأن في مستقبل روما، لأن شبل الذئب هو رمز من رموز روما.

أصدقاء كلاوديوس الأساسيين خلال شبابه هم شقيقه، جيرمانيكوس، وابن جوليا، بوستوموس. كلاهما يحبان كلاوديوس، ويسعيان جاهدين لحمايته من سوء المعاملة من بقية أفراد الأسرة.

صديق آخر ل كلاوديوس، هو أثينودوروس، الفيلسوف ومعلم كلاوديوس. من خلال توجيهات أثينودوروس، تعلم كلاوديوس كيف يصبح مؤرخا، وكيف يتحكم في تلعثمه في الكلام.

بداية من الفصل السادس، يستطرد كلاوديوس في وصف ما حدث لتيبيريوس، بعد زواجه من جوليا ابنة أوغسطس. كان تيبيريوس غير راغب في الزواج من جوليا، لأن هذا الزواج يجبره على طلاق زوجته الحالية التي يحبها حبا جما.

نتج عن زواج تيبيريوس من جوليا مشاعر تتسم بالبرودة الشديدة تجاه زوجته الجديدة، بالرغم من أن جوليا، في البداية، كانت تحبه. ثم تظهر ليفيا لزوجة ابنها الود، وتعطيها شرابا يساعها في علاقتها الفاترة مع ابنها تيبيريوس. لكنها قد أعطتها في الواقع، شرابا مثيرا للشهوة، جعلها مشوشة جنسيا.

علاقة تيبيريوس مع أبناء زوجته الجديدة متوترة. في نهاية المطاف، تسمح ليفيا لتيبيريوس، بقضاء بعض الوقت بعيدا عن كل من روما وجوليا.

بعد أن غادر تيبيريوس روما، نجد جوليا لا تشبع جنسيا في مناخ مثير للشهوة. وأصبحت تمارس الجنس بإدمان وتهور مع أي شخص تستطيع أن تصل إليه.

هنا يتأكد أوغسطس من سلوك جوليا، فيغضب غضبا شديدا، ويطلب من ليفيا نفيها مدى الحياة، وأنه لا يريد الحديث عنها مرة أخرى. ليفيا تغتنم هذه الفرصة للانتقام من جوليا وتنفيها في إلى جزيرة صغيرة دون رفاق أو الكماليات من أي نوع.

خلال غياب تيبيريوس، يظهر أوغسطس المودة لأبناء جوليا، جايوس ولوسيوس، ويمنحهما العديد من الأوسمة السياسية، ويبدو أنه يصالحهم كورثة جدد لمنصبه.

بعد بضعة أشهر، يموت كل من لوسيوس وجيوس في ظروف غامضة. ثم يطلب أوغسطس أن يعود تيبيريوس إلى روما لتولي منصبه السابق، ويقرر أن يكون كل من تيبيريوس، ابن ليفيا، وبوستوموس حفيده وابن جوليا الأصغر، هما ورثته.

في الفصل السابع، يعود كلاوديوس إلى وصف شبابه ويروي قصة زواجه الأول في سن الثالثة عشرة. وكان جرمانيكوس قد تزوج بالفعل في هذا الوقت. لقد اعتزمت ليفيا على زواج كلاوديوس من أيميليا، حفيدة جوليا وأجريبا.

لكن أوغسطس كان غير راض عن ذلك بسبب عيبه الخلقي وتلعثمه في الكلام، وكان يفضل زواج كلاوديوس من ميدولينا، حفيدة أحد جنرالات أوغسطس القدامى.

عندما يلتقي كلاوديوس ب ميدولينا كاميلا، قال انه أحبها، ويبدو كما لو أنهما قد خلقا لكي يكونا لبعض.

ليفيا كانت مستاءة من استقلالية أوغسطس في هذه المسألة، وفي يوم زواج كاميلا من كلاوديوس، يتم وخز الفتاة بإبرة مسمومة وتموت، تاركة كلاوديوس حرا، لكي يتزوج من أميليا، حتى تتحقق رغبتها الأولى.

الآن تشتبه ليفيا في والدي أميليا. إذ ربما يكونا عقبتين أمام تصميمها لجعل تيبيريوس ابنها الوريث الوحيد لأوغسطس. فاتهمت الزوجين بالخيانة وفسخت خطوبة كلاوديوس إلى أميليا.

ليفيا لا تزال تريد زواج كلاوديوس من فتاة توافق مصلحتها الخاصة. ويستقر الأمر في نهاية المطاف، على ابنة صديقتها المقربة، أورجولانيا.

أورجولانيا هو الصديقة المقربة الوحيدة ل ليفيا. وكما يكتشف كلاوديوس في نهاية الرواية، قالت انها غالبا ما تكون شريكة ليفيا في القتل.

ابنة أورجولانيا، اسمها أورجونيللا. غير جميلة أو جذابة. تزيد عن 6 أقدام في الطول، ليست لها أية موهبة أو صفة محببة. يضطر كلاوديوس من خطبة أورجونيللا وتقبيلها في الحفل. بينما ليفيا وأورجولانيا، تشاهدان ولا تكفان علن الضحك والسخرية منهما.

في الفصل 9، يترك كلاوديوس أحداث روايته مرة أخرى، لكي يصف لنا تفاعله مع ليفي وبوليو، وهما من أهم المؤرخين في ذلك الوقت.

كمؤرخ طموح، شعر كلاوديوس بسعادة غامرة لاحتمال لقاء مثل هؤلاء المؤرخين المهمين، خاصة عندما طلب منه بوليو تحليل العيوب في كل أسلوب من أساليبهما في الكتابة.

يعترف كلاوديوس في نهاية المطاف بأنه، على الرغم من اهتمامه بأسلوب ليفي الأدبي، إلا أنه يفضل التزام بوليو بالدقة. ويندهش بوليو من أن كلاوديوس يوصف بأنه عبيط.

ثم يحثه على المبالغة في عرجه وتلعثمه، والاستمرار في لعب دور الأحمق، حتى يبقى على قيد الحياة في هذا الجو المسموم والمشحون بالمؤامرات والدسائس والقتل. يخبر بوليو كلاوديوس أن والده قد قتل مسموما، ويشجعه على اكتشاف الحقيقة إن استطاع ذلك.

في الفصل 10، يستأنف كلاوديوس سرده ويصف زواجه من أورجولانيلا. بالرغم من أن الزوجين مختلفان بشكل سيئ، إلا أن الزواج يعتبر ناجح نسبيا، بسبب تجاهل كل منهما الآخر. بعد وقت قصير من حفل الزفاف، تلد أورجولانيلا ابنا يدعى دروسيليوس.

بالرغم من أن كلاوديوس لا يزال يتم تجاهله من قبل ليفيا وبقية عائلته، يشعر أوغسطس بالذنب لمعاملته السيئة لكلوديوس، ويقرر تعيينه في الخدمة العامة كاهن إله الحرب.

ليفيا ليست راضية عن هذا التعيين، بسبب نفورها الشخصي من كلاوديوس، لكنها مشغولة بمشكلة أكبر، وهي مشكلة خلافة بوستوموس. فلا يزال بوستوموس ابن جوليا في وضع حفيد أوغسطس ووريثه، إلى جانب تيبيريوس ابنها، لذلك تبدأ ليفيا في وضع استراتيجية لإزالة بوستوموس من الطريق.

في حين أن ليفيا قد استبعدت كلاوديوس كوريث في المقام الأول كأحمق، إلا أنها تكتشف أنه يحقق في وفاة والده وجده كما اقترح بوليو. فتأمره بالتوقف عن فعل ذلك فورا، وبالتالي تبدأ شكوك كلاوديوس في جدته ليفيا، ودورها في اغتيال والده وجده.

في أحد الليالي، بينما كان كلاوديوس نائما، استيقظ على صوت يأتي من الخارج، ويرى بوستوموس يتسلق ويدخل سرا من شرفته. يعترف بوستوموس لكلوديوس أنه قد نفي، لأنه اتهم باغتصاب ليفيلا، شقيقة كلاوديوس.

وفقا لما ذكره بوستوموس، طلبت ليفيلا مقابلته سرا في تلك الليلة، وبعد ذلك، عندما حاول احتضانها، بدأت تصرخ كما لو كان يغتصبها. وعندما واجهته ليفيا وأوغسطس، حاول الحراس القبض عليه، فهرب وجاء ليخبر كلاوديوس بالحقيقة.

بعد هروب بوستوموس، يكون تيبيريوس هو الوريث الوحيد الباقي لأوغسطس. في نهاية المطاف، يتم القبض على بوستوموس ونفيه إلى جزيرة صغيرة في البحر الأبيض المتوسط.

بعد نفي بوستوموس، وذهاب جرمانيكوس لقيادة الجيوش في ألمانيا، وعودة أثينودوروس إلى تارسوس، لم يبق لكلاوديوس إلا عمله التاريخي لكي يكمله.

يحاول أن يبدأ سيرة جده، ولكن مرة أخرى يوقف من قبل ليفيا، التي تقترح عليه كتابة رواية تاريخية لإعادة تنظيم الدين في روما منذ عهد أوغسطس، بدلا كتابة تاريخ الأسرة.

في هذه الأثناء، كانت الحرب في ألمانيا تؤثر بشكل كبير على الازدهار المالي لروما. بالرغم من أن كلاوديوس كان يطلب من أوغسطس السماح له بالقتال كجندي، لكنه لم يوافق. وكان كلاوديوس يعرف أخبار الحرب من خلال الرسائل التي يتلقاها من جرمانيكوس.

لم يبق سوى تيبيريوس وريثا أساسا لأوغسطس. إلا أن أوغسطس نفسه لم يكن راضيا عن تيبيريوس كوريث. ومع ذلك، كان يبدد مخاوفه ويطمئن نفسه، بأن تيبيريوس ليست له شعبية، وأن جيرمانيكوس محبوب وبطل، وسوف يكون هو الوريث الطبيعي لتيبيريوس.

بلغ أوغسطس سن السبعين، وأصبح عصبي المزاج، يصعب على ليفيا السيطرة عليه. بناء على إلحاح كلاوديوس، يخبر جيرمانيكوس أوغسطس بالقصة المختلقة لاغتصاب بوستوموس ل ليفيلا.

سرعان ما يعود أوغسطس إلى رأيه الأصلي بالنسبة ل بوستوموس، ويزوره سرا في سجنه في الجزيرة النائية. على الرغم من أن ليفيا تشك في أن رحلة أوغسطس السرية، لم تكن بريئة تماما، إلا أنها لا تدرك أن أوغسطس قد أخرج بوستوموس من الجزيرة ووضع عبدا مكانه.

عندما تكتشف ليفيا أن أوغسطس قد أخذ عبدا معه يشبه بوستوموس تماما، تدرك أن أوغسطس قد يعيد بوستوموس كوريث ويجعله مفضلا عن تيبيريوس.

بعد ذلك بوقت قصير، يمرض أوغسطس. وبما أن ليفيا تعشق استخدام السم كسلاح لتحقيق أغراضها، لذلك رفض أوغسطس السماح لها بتمريضه.

بدلا من تناول أي شيء تطبخه ليفيا له، اقتصر نظام أوغسطس الغذائي على ثمار التين الذي يلتقطه من الشجرة بنفسه. بالرغم من قصارى جهده لتجنب سم ليفيا، إلا أن الماكرة، دهنت كل ثمار التين بالحديقة بالسم. لموت أوغسطس كما أرادت ليفيا.

بعد وفاة أوغسطس، تواجه روما صعوبة في التكيف مع احتمال أن يأخذ تيبيريوس مكانه. بالرغم من أنه يمتلك من الناحية الفنية جميع الألقاب السياسية التي كانت لأوغسطس، لا يزال يتعين على تيبيريوس الحصول على دعم مجلس الشيوخ من أجل استمرار النظام الملكي.

من خلال تأثير ليفيا، وحيازتها للعديد من رسائل الخيانة التي كانت تحفظها لبعض أعضاء مجلس الشيوخ، يتم التصويت ببطء لكي يحصل تيبيريوس غلى جميع السلطات الإضافية اللازمة لكي يكون إمبراطورا. يشعر جيرمانيكوس بالحزن لوفاة أوغسطس، لكنه ملزم بتقديم دعمه الكامل

لتيبيريوس.

بعد وقت قصير من وفاة أوغسطس، تبدأ الجنود الرومانية المتمركزة في ألمانيا في التمرد، احتجاجا على الأجور الضئيلة التي تلقتها من أوغسطس. وكانت أسوأ مراكز التمرد في نهر الراين، حيث ثار الجنود وقاموا بذبح عشرين من ضباطهم، قبل وصول جيرمانيكوس ويقوم بتهدئتهم.

كمحاولة لقمع التمرد، وكسب شعبية لتيبيريوس، يصوغ جيرمانيكوس رسالة رسمية تعد بمضاعفة الأجور للقوات، بإمضاء تيبيريوس. في نفس الوقت، يطلب جيرمانيكوس من كلاوديوس منحه الأموال الموعودة هناك لكي يقوم بتوزيعها على الجنود باسم تيبيريوس.

بالرغم من جهود جيرمانيكوس للتهدئة، تواصل القوات تمردها، وخوفا على سلامة أسرته، يرسل جرمانيكوس أجريبينا وأطفالها بعيدا. وكانت القوات تميل بشكل خاص إلى كاليجولا، الابن الأصغر ل جرمانيكوس. وتعد بإنهاء التذمر إذا أعاد جيرمانيكوس كاليجولا إلى معسكرهم.

بالرغم من أن تيبيريوس يقدر محاولات جيرمانكوس لاستعادة النظام في نهر الراين، إلا أنه يشكك في الدوافع الحقيقية ل جرمانيكوس. ثم يقنع نفسه بأن أي شخص يقلد توقيعه على وثيقة رسمية، لا يمكن الوثوق به.

إلا أن جيرمانيكوس، كما يؤكد كلاوديوس، لم يكن لديه سوى النية الحسنة لإنهاء الإضراب. في نفس الوقت، لم يتخذ تيبيريوس أي إجراء فوري ضد جرمانيكوس. لكنه أصبح قلقا بشأن تزايد شعبية ابن أخيه المتنامية باستمرار في روما.

سيطر تيبيريوس أخيرا على مجلس الشيوخ، لكنه لا يزال غير قادر على تقليل تأثير ليفيا عليه. ويعترف كلاوديوس بأن ليفيا هي التي اتخذت جميع تعيينات وقرارات تيبيريوس تقريبا. انها تحكم من خلاله بنفس السهولة التي حكمت بها من خلال أوغسطس.

ثم يصبح سيجانوس، قائد الحرس، ذراع تيبيريوس اليمنى، ويبدأ في تسميم عقل تيبيريوس ضد جرمانيكوس. من الواضح أن سيجانوس لديه دافعه الخاص لسلوكه هذا، ولكن كلاوديوس غير متأكد من نواياه. كل ما يعرفه هو أن لديه كره كبير ل سيجانوس، ويحاول تجنبه بقدر المستطاع.

مع ذلك، ومع كل هذه الاضطرابات السياسية، حاول كلاوديوس أن يكون من الأقارب المنسيين، بالرغم من أنه لا يزال متزوجا رسميا من أورجلانيلا، التي نادرا ما يراها. أنطونيا، والدته، تقوم برعاية دروسيلوس ابنة جيرمانيكوس.

بسبب انتقادات أنطونيا المستمرة له، ينتقل كلاوديوس إلى خارج المدينة للعيش في كابوا والعمل على تاريخها في سلام. ثم يبدأ علاقة مع كالبورنيا، وهي عاهرة طيبة القلب، وتصبح رفيقته وصديقته الحقيقية لعدة سنوات قادمة.

بعد ظهر أحد الأيام، بينما كان يجلس كلوديوس في حديقة فيلته، يأتي متسول برسالة سرية من بوستوموس. لم ير كلاوديوس أو يسمع من بوستوموس منذ عدة سنوات، وافترض أن ليفيا قد قتلته بعد وفاة أوغسطس.

إلا أنه قد هرب بطريقة أو بأخرى من غضب ليفيا. لقد سر كلوديوس لسماع أخبار صديقه القديم، ويرسل له بعض الملابس والعديد من القطع الذهبية.

كما يكتب إلى جيرمانيكوس، ليخبره أن بوستوموس لا يزال على قيد الحياة، لكنه لا يتلقى ردا على أية رسالة منه. بعد ذلك بوقت قصير، يعلم تيبيريوس أن بوستوموس في روما، يحاول كسب الدعم ضده وضد ليفيا.

بعد ذلك، يقوم حرس سيجانوس بنصب كمينا ل بوستوموس ومؤيديه، ويقوم تيبيريوس بقطع رأسه هو ورفاقه.

يتلقى كلوديوس في نهاية المطاف رسالة من جرمانيكوس، ليس بها ذكر عن بوستوموس. يدرك كلاوديوس أن رسائله السابقة قد تم اعتراضها من قبل تيبيريوس وليفيا. فيبدأ في الخوف على حياته.

يشتد قلقه لدرجة أن تلعثمه يعود، ويصبح غير قادر على التركيز ككاهن لأوغسطس. أخيرا، يكتب إلى تيبيريوس ويطلب إعفاءه من جميع واجباته الدينية بسبب اعتلال صحته.

يبدأ جيرمانيكوس سنته الثالثة من الحرب ضد الألمان، بحملة أكثر نجاحا من سابقاتها. جيرمانيكوس يكتب لكلاوديوس نادرا.

في الربيع، يعود جيرمانيكوس إلى روما للاحتفال بانتصار كامل على الألمان. ومع ذلك، قبل أن يتمكن كلاوديوس من إخبار جيرمانيكوس بجميع المؤامرات الجديدة لليفيا وتيبيريوس، ترسله ليفيا إلى قرطاج، ولا تسمح له بالعودة حتى يغادر جيرمانيكوس.

بالرغم من غياب كلاوديوس، لا يزال جيرمانيكوس يأخذ على عاتقه الذهاب إلى تيبيريوس وإخباره بكل ما يعرفه عن مؤامرات ليفيا. يتظاهر تيبيريوس بأنه مصدوم ويعد بتحجيم سلطة ليفيا، لكنه يخبرها سرا بكل ما قاله جيرمانيكوس.

يقترح تيبيريوس على ليفيا اقناع جيرمانيكوس ببراءتها، والحذر من شعبية جيرمانيكوس، التي أصبحت خطيرة جدا لكليهما. ثم يرسل تيبيريوس جرمانيكوس إلى الشرق، ويعين بيسو حاكما لسوريا حتى يتمكن من التجسس على جرمانيكوس.

جيرمانيكوس وبيسو على خلاف في الحكومة السورية. يسبب بيسو أكبر عدد ممكن من المشاكل. ترقية الجنود غير المؤهلين إلى موقع السلطة، وقبول الرشاوى الشخصية، وعصيان أوامر جيرمانيكوس بشكل صارخ.

لا تزال تقارير بيسو إلى تيبيريوس تلقي بظلالها على رأي تيبيريوس في جرمانيكوس، في حين يحاول سيجانوس في روما أن يفعل الشيء نفسه. تيبيريوس يصبح مقتنعا بأن جرمانيكوس ينوي الإطاحة به من سوريا.

فجأة يمرض جرمانيكوس ويقتنع بأن مرضه هو نتيجة للسحر. يتشاءم من كل شيء، الرقم 25، وصيحات الديكة في منتصف الليل. الشيء الوحيد الذي يحفظه هي تعويذة خضراء للإلهة هيكاتي، التي يحتفظ بها تحت وسادته.

حالات التشاؤم تزداد سوءا. ويتم العثور على طفل ميت تحت بلاط في المنزل، والعثور على ريش ديك مخضب بالدماء تحت الوسادة، والرقم 25 يظهر مكتوبا في جميع أنحاء المنزل. يبحث جرمانيكوس عن التعويذة الخضراء للإلهة هيكاتي، فيجد أنها قد اختفت. بعد ذلك، يموت في ظروف غامضة.

باستثناء ليفيا وتيبيريوس، صدم موت جيرمانيكوس، أخو كلاوديوس الأكبر، شعب روما وأصابه باليأس. ليفيا وتيبيريوس يتظاهران بالحداد، لكن روما سوف تتعافى قريبا من خسارتها.

بسبب حث أجريبينا، ابنة جيرمانيكوس، يأخذ كاستور ابن تيبيريوس على عاتقه الانتقام لمقتل جيرمانيكوس، ويتهم بيسو حاكم سوريا الروماني بقتله.

يتم تقديم بيسو للمحاكمة، ولكن قلة من الناس يتوقعون أن العدالة سوف تتحقق بالفعل، لأن تيبيريوس هو القاضي، وعلاقته مع بيسو معروفة من قبل الجميع.

بالرغم من براءة بيسو المؤكدة، إلا أن زوجته بلانكينا كانت خائفة على حياتها من غضب الجماهير. لذلك، قررت طلب المساعدة من ليفيا. فقامتا بالتآمر على قتل بيسو، على أن يظهر الأمر على أنه مجرد حادث انتحار.

ثم تحاكم بلانكينا بتهمة الاشتراك مع زوجها بيسو في قتل جيرمانيكوس،

ويتبين أنها بريئة. لكن الجمهور كان غاضبا من نتيجة المحاكمة، ويفترض أن ليفيا لها علاقة بذلك.

كان تيبيريوس سعيدا بعدم شعبية أمه ليفيا، لكنه لا يزال يشعر بعدم الأمان في منصبه الجديد في السلطة. يستمر سيجانوس، رئيس الحرس، في تسميم رأي تيبيريوس في المحيطين به، وخاصة أولاد جيرمانيكوس.

مع وفاة فيسبانيا، زوجته الأولي والتي كان يحبها جدا، لم يعد تيبيريوس يشعر بالحاجة إلى إخفاء فساده الجنسي، وطباعه المنحرفة، التي جعلته شخصية أكثر خسة في نظر الجمهور.

مع وفاة جيرمانيكوس، يقرر سيجانوس أن يغتنم الفرصة لزيادة نفوذه والحصول على سلطة أكبر في الحكومة. يقترح زواج ابنته من ابن كلاوديوس، دروسيلوس.

كلاوديوس لا يشعر بسعادة بهذا الارتباط، لكنه يخشى غضب سيجانوس إذا رفض. كما أن ليفيا، كانت تشعر بقلق بالغ إزاء إمكانية أن يصبح سيجانوس جزءا من العائلة الامبراطورية، وتأمر على الفور بخنق دروسيلوس.

يقوم تيبيريوس بتعيين ابنه كاستور حاميا للشعب، وهو المنصب الذي يسمح بتعيينه وريثا له. من قبل، اقترح سيجانوس تعيين كاستور، كمحاولة لإخفاء عدائه له.

ثم يقوم سيجانوس بإقناع تيبيريوس بخيانة كاستور له، وتآمره مع بعض أعضاء مجلس الشيوخ للوصول للسلطة. فيقوم تيبيريوس بالقبض عليه وسجن جميع أعضاء مجلس الشيوخ الذين كانوا يدعمون كاستور.

لكن يموت كاستور من مرض يشبه السل، ويترك سيجانوس حرا في الكشف عن علاقته السرية بليفيلا.

ثم يبدأ سيجانوس وليفيلا العمل على تحقيق طموحاتهما في أن يصبحا إمبراطورا وإمبراطورة. ويقوما بالتخطيط لقتل أبناء جرمانيكوس، نيرو، دروزوس، وكاليجولا. حيث كان كل منهم يصلح وريثا محتملا لتيبيريوس.

يبدأ سيجانوس وليفيا بإلقاء ظلال من الشك على ولاء أجريبينا وأطفالها وأي أصدقاء للعائلة، واتهامهم بأنهم خونة. في خضم هذه المحاولات لتقويض أجريبينا وأولادها، يواصل سيجانوس محاولة انتمائه للأسرة الامبراطورية، عن طريق الزواج.

ويقترح سيجانوس أن يقوم كلوديوس بطلاق زوجته أورجولانيلا، والزواج من شقيقة سيجانوس بالتبني، إيليا. فيوافق كلاوديوس بالرغم من عدم شعوره بسعادة من زواجه من إيليا.

العلاقة بين ليفيا وابنها تيبيريوس تزداد سوءا، وينفصل كل منهما عن الآخر. ثم تدعو ليفيا جميع زوجات أعضاء مجلس الشيوخ إلى الترفيه طوال اليوم ، وتغتنم الفرصة لقراءة العديد من الرسائل الخاصة التي كتبها أوغسطس، والتي يتم فيها التشكيك في شخصية تيبيريوس إلى أقصى حد.

ردا على أفعال ليفيا، يزيل تيبيريوس اسم ليفيا من جميع الوثائق والقواعد العامة. ويقرر بأن أي عضو في مجلس الشيوخ، يقوم بمدحها، سيكون مذنبا متهما بالخيانة.

لا يزال يشعر تيبيريوس بالمهانة بسبب تعرض ليفيا له، فيقرر الانتقال إلى كابري والسماح ل سيجانوس بالحكم بدلا منه.

بمناسبة عيد ميلادها، تدعو ليفيا كلاوديوس لتناول العشاء معه. يفاجأ كلوديوس ويصدم بدعوتها له، بعد أن تم تجاهله وتشويه سمعته من قبل جدته طوال حياته.

أثناء العشاء، يشرب كلوديوس قدرا كبيرا من النبيذ، جعله قادرا على التغلب على خوفه من ليفيا للمرة الأولى في حياته. الحديث معها كان صريحا جدا.

تكشف ليفيا عن نبوءة تتوقع أن كاليجولا سيصبح الامبراطور القادم، وأن كلوديوس سوف يقوم بالانتقام لوفاته. ثم تتوسل ليفيا لكلاوديوس لكي يعد بأنه سوف يجعلها إلهة عندما يصبح امبراطورا، حتى لا تعذب بذنوبها عذابا أبديا.

لقد وعد كاليجولا جدته بالقيام بذلك، لكنها لا تثق في كلمته. ووعد كلوديوس جدته ليفيا بتحقيق طلبها، بشرط أن تصارحه بالحقيقة حول كل ما فعلته من آثام وقتل ودسائس. توافق ليفيا، وتقضي الساعات الأربع القادمة تخبر كلاوديوس بجميع جرائم القتل والاغتيالات التي ارتكبتها في حياتها.

في بداية الفصل 26، يحاول سيجانوس إقناع تيبيريوس بالسماح له بالزواج من ليفيلا. على الرغم من أنه مرتبط بالفعل بالعائلة الامبراطورية من خلال زواج كلاوديوس من إيليا. إنه يأمل في علاقة أوثق.

يشعر تيبيريوس بالإهانة من طلب سيجانوس، ويرفض. ومع ذلك، يبقي عليه في وظيفة مأمور المدينة، في حين يعيش هو في كابري. ويستمر سيجانوس في تضخيم وإثارة غيرة تيبيريوس قبل عائلة جيرمانيكوس.

يستدعى كلوديوس إلى فراش موت ليفيا، حيث يعد مرة أخرى بالوفاء بقسمه لجعلها إلهة، عندما يصبح الامبراطور. ليفيا مرتاحة من إخلاصه وتعتذر له لنعتها إياه بالأحمق. بعد وفاة ليفيا، يفاجأ كلاوديوس بفقدها ومدي حاجته لها. ويدرك أن وجود ليفيا كان له تأثير أكبر بكثير على تيبيريوس من أي شخص آخر. مع وفاتها، يظهر مدى خبث وفساد تيبيريوس الشخصي.

في غضون أيام قليلة من وفاة ليفيا، يغتنم تيبيريوس الفرصة للتخلص من نيرو وأجريبينا، وبعد اتهامهما بالأذى وارتكاب الفاحشة، ينفيهما إلى جزر صغيرة في البحر الأبيض المتوسط. ثم يتهم تيبيريوس درسوس، الابن الأصغر ل جرمانيكوس، وجالوس بالتآمر ضده ويسجنهما معا.

تكتشف أنطونيا حقيقة تورط ليفيلا مع سيجانوس، ومؤامرة الإطاحة ب تيبيريوس، وترسل أدلة على الخيانة مباشرة له. مع هذه المعلومات الجديدة حول أقرب المقربين له، يعلن تيبيريوس أن كاليجولا هو وريثه.

لكنه لا يزال يكرم سيجانوس بالمناصب السياسية العليا. يسر سيجانوس بتعيينه قنصلا، لكن كلاوديوس يدرك أن القناصل الخمسة السابقين قد قتلوا جميعا لأسباب سياسية.

ثم يبدأ تيبيريوس بإرسال رسائل مربكة إلى مجلس الشيوخ بشأن سيجانوس. يشيد به أحيانا، وأحيانا يوبخه. فيفترض سيجانوس أن تيبيريوس قد أصابه الخرف، لكنه غير متأكد من الوقت المناسب للإطاحة به.

يرسل تيبيريوس ماكرو إلى مجلس الشيوخ لقراءة رسالة أخيرة عن سيجانوس. ويقال ل سيجانوس إن الرسالة تبين نية تيبيريوس تعيينه حاميا للشعب، وهو تعيين يعني أنه سيصبح وريث تيبيريوس. عندما يقرأ ماكرو الرسالة أمام مجلس الشيوخ، يدرك سيجانوس أنه قد خدع. بدلا من إعلانه وريثا، يأمر تيبيريوس بإعدام سيجانوس.

تعقب وفاة سيجانوس، وفاة وسجن أصدقائه وأسرته. كلوديوس يغتنم هذه الفرصة لطلاق إيليا، ويأخذ ابنتهما بعيدا عنها ويعطيها لأنطونيا والدته. ويتبين أن كاستور لم يمت بالوسائل الطبيعية، بل تم تسميمه من قبل ليفيلا.

بناء على طلب أنطونيا، يسمح تيبيريوس لأنطونيا بتحديد عقوبة ليفيلا، فتأمر أنطونيا بحبس ليفيلا في غرفتها حتى تموت جوعا. ثم يأخذ تيبيريوس على عاتقه إعدام أي شخص يعلن أنه في حداد على سيجانوس أو أي فرد من أفراد أسرته.

على مدى السنوات الخمس التالية من حكمه، لا يزال تيبيريوس في نفس السياق من جنون العظمة والإعدام العشوائي. نيرو، أجريبينا، دروسوس، وجالوس يموتون جميعا أثناء سجنهم.

كاليجولا يصبح أقرب صديق لتيبيريوس، ويقضي معظم وقته في كابري، مهتما ومتابعا لأحدث الرذائل الجنسية والفساد. كما يعين تيبيريوس كاليجولا للإشراف على ماكرو والتأكد من أنه لن يحاول الاستيلاء على السلطة مثل سيجانوس.

في الثامنة والسبعين من عمره، يصبح تيبيريوس ضعيفا بشكل ملحوظ، لكنه لا يعترف بأنه في حالة صحية سيئة. ثم يقع تيبيريوس في حالة غيبوبة بعد مأدبة طوال الليل، ويفترض كل من في روما أنه على وشك الموت.

كاليجولا وماكرو يقومان بسرعة بإرسال رسائل إلى أفواج مختلفة، يخبرانها بأن تيبيريوس يحتضر، وأنه قد عين كاليجولا خليفة له. وعندما يغرق تيبيريوس بعمق في غيبوبته، يأخذ كاليجولا خاتم التوقيع من إصبعه، ويبدأ في تقديم نفسه على أنه الامبراطور الجديد.

عندما يستيقظ تيبيريوس بعد فترة وجيزة، ويطالب بعودة خاتمه، يشعر كاليجولا بالرعب. وقبل أن يعرف أي شخص أنه لا يزال على قيد الحياة، يأمر كاليجولا ماكرو بالذهاب إلى غرفة نوم تيبيريوس وخنقه.

عهد كاليجولا كإمبراطور يبدأ بسلاسة نسبيا. بسبب قرارات ليفيا الدقيقة خلال عهد أوغسطس وعهد تيبيريوس، كان لدى كاليجولا جيوش رومانية مدربة تدريبا جيدا، والخزانة تفيض بالأموال، وحكومة ناجحة إلى حد كبير.

بالإضافة إلى ذلك، الشعب الروماني كان متحمسا للغاية ل كاليجولا، لأنهم كانوا ينظرون إليه على أنه نسخة أخرى من جرمانيكوس. في البداية، بدا أن كاليجولا كان يحقق توقعات شعبه.

سدد ديون تيبيريوس، وضاعف أجور الجنود، وأطلق سراح جميع السجناء السياسيين، وصك ملايين القطع الذهبية للتداول بين عامة السكان. بعد فترة وجيزة من هذه البداية الطيبة، يمرض كاليجولا ب "حمى الدماغ"، ويخشى أن يكون على وشك الموت.

ينجو كاليجولا من الحمى، لكن المرض يتركه وقد أصابه مس من الجنون. وبدأ يعتقد بأنه يمر بتحول جسدي لكي يصبح إلها. عندما يتم استدعاء كلاوديوس لزيارة كاليجولا في حالته الجديدة، يعرف كلاوديوس على الفور أنه مجنون. فيحاول عن طريق الفكاهة إنقاذ نفسه من القتل.

كلوديوس غير قادر على فهم لماذا يتم قبول ألوهية كاليجولا بسهولة من الناس. بعد تحول كاليجولا كإله، يصبح من الصعب التنبؤ بما يفعله. ويبدأ في قتل الناس عشوائيا، بدءا من ابنه، جيميلوس. أنطونيا تصاب بالذعر من سلوك كاليجولا، وبعد مواجهته حول مقتله لجيميلوس ابنه، تقتل نفسها.

يتذكر كاليجولا دور ماكرو في خنق تيبيريوس، فيخاف على نفسه. فيدعي بأنه قام بتعيينه حاكما على مصر، ثم يقوم بالقبض عليه وهو على وشك الصعود إلى متن السفينة.

يتهم كاليجولا ماكرو وزوجته بالخيانة، فيضطر ماكرو وزوجته لقتل أنفسهما. بعد ذلك، يعين كاسيوس ليحل محل ماكرو كقائد للحرس.

بالإضافة إلى قتل أفراد الأسرة والأصدقاء في نوبات جنونه، يتزوج كاليجولا زوجات رجال آخرين، ويحكم على الناس بالإعدام لبيعهم الماء الساخن، وشفرات الحلاقة في الطرقات.

شعب روما لا يدرك مدى جنون كاليجولا، ويستمر في الحماس لحكمه. يرتب كاليجولا لمجموعة لا نهاية لها من سباقات العربات والعروض المسرحية والترفيهية، للحفاظ على هذا الحماس، وبعد بضعة أشهر، تصبح خزانة الدولة فارغة تماما.

إدراكا منه أنه يحتاج إلى أموال، يبدأ كاليجولا في اتخاذ خطوات جذرية، مثل بيع الكهنوت لأعلى مزايد، وإدانة الرجال الأثرياء في جرائم وهمية، من أجل إعدامهم وأخذ ثرواتهم.

تبدأ شعبية كاليجولا في الانخفاض، كما أن شعب روما قد مل أسلوب الترفيه المكلف وسلوك كاليجولا الغريب. ثم تموت دروسيلا، ويشك كلاوديوس في أن كاليجولا هو الذي قتلها، لكن ليس لديه دليل.

يقوم كاليجولا بنفي أيضا ليسبيا وأجريبينيلا بتهمة الزنا، بعد أن بنى بيت دعارة في القصر، يبيع فيه الخدمات الجنسية من ليسبيا وأجريبينيلا للمساعدة في مشاكله المالية. ثم يعلن كاليجولا الحرب على إله البحار، نبتون، ويقوم بالشروع في معركة ضده، جمع فيها آلاف الأصداف البحرية كغنائم حرب.

طوال مدة جنون كاليجولا، كان كلوديوس قادرا على البقاء على قيد الحياة من خلال التظاهر بأنه أحمق. ومع ذلك، يضطر كلاوديوس لإعطاء كل أمواله لكاليجولا ويعيش في فقر مدقع مع كالبورنيا.

في وقت متأخر من أحد الليالي، يتم استدعاؤه لرؤية كاليجولا في القصر، ويفترض أنه في النهاية هالك لا محالة. لكنه وجد أن كاليجولا يريد منه رؤية مسرحيته الأخيرة، التي يلعب فيها كاليجولا دور الإلهة "الوردية الأصابع" داون. بعد المسرحية، كاليجولا يصر على أن يتزوج كلوديوس من ميسالينا.

يستمر جنون كاليجولا في التصاعد مع مرور كل يوم. في نهاية المطاف، اغتيل كاليجولا من قبل كاسيوس رئيس الحرس والعديد من الجنود الآخرين أثناء مهرجان بالاتين.

قام القتلة أيضا، بقتل زوجة كاليجولا الأخيرة، كايسونيا، وابنتهما الصغيرة، دروسيلا. كلوديوس يحاول الاختباء في خضم أعمال الشغب ولكن تم اكتشافه من قبل مجموعة من الجنود.

بدلا من قتله، كما كان يتوقع كلاوديوس، يعلنه الجنود إمبراطورا. كلوديوس يرفض في البداية أن يكون الامبراطور، بحجة أنه يفضل الحكم الجمهوري، ولكن الجنود تتجاهله، وتطوف به في موكب حول القصر، حتى يعرف الجميع أنه الامبراطور الجديد. يدرك كلاوديوس الآن صحة نبوءة العرافة، وفأل شبل الذئب الذي سقط بين ذراعيه منذ حين.

# باثر بانشالي (أغنية الطريق)



*الطفل ابو*

هو فيلم هندي من إخراج وإنتاج "ساتياجيت راي" عام 1955م. أثناء زيارته لمدينة لندن، شاهد الفيلم الإيطالي "سارق الدراجة" من إخراج فيتوريو دي سيكا، والذي يمثل الواقعية الجديدة، فأعجب بواقعيته وموضوعه. لذلك قرر راي أن يكون مخرجا، وبدأ بفيلم "باثر بانشالي" على هذا النمط.

أخذ راي رواية الأديب البنغالي "بيبهوتيهوهان بانديوباديهاياي" التي كتبها عام 1928م، لعمل الفيلم. تكاليف الإنتاج كانت مشكلة طول الوقت. المساعدة جاءته من متحف الفن الحديث بمدينة نيويورك عندما أعجب مسؤول المتحف ببعض لقطات الفيلم التحضيرية.

هو أول أفلام المخرج راي وأشهرها. عند أول عرض في الهند وفي متحف الفن الحديث بنيويورك، قوبل الفيلم بحماس وإعجاب شديدين. جواهرلال نهرو، رئيس وزراء الهند في ذلك الوقت، كان من أشد المتحمسين للفيلم، بالرغم من تحفظ باقي أفراد الحكومة، بسبب عرض الفيلم لمشاهد الفقر المدقع في الهند.

فاز الفيلم ب 11 جائزة عالمية، وعندما عرض في مهرجان كان عام 1965م، فاز بجائزة أفضل الأفلام الإنسانية.

فيلم، "باثر بانشالي" أو "أغنية الطريق"، هو الأول في ثلاثية "ابو"، أو "أوبو". وهي قصة حياة الطفل ابو، الذي نشأ في قرية فقيرة بالبنغال بالهند. الأب فقير دقه، يحلم بأن يكون كاتبا أو شاعرا. يكسب قوت يومه بالكاد.

يعيش الطفل ابو مع: الأب "هاريهار"، الأم "سارباهايا"، الأخت "دورجا"، أو "دوجا"، وابنة عم الأب طاعنة السن "أندير". وجود أندير في الرواية يخلق توترا عالي المستوى بسبب ما تلقاه من معاملة سيئة واستياء من الأم. أندير امرأة عاجزة طاعنة في السن، تمشي بعكاز منحنية كالرقم ستة. تحتاج لمن يعولها كطفل.

عندما سرقت دورجا حبة مانجو لكي تطعم بها أندير، غضبت الأم غضبا شديدا، واتهمت العجوز بأنها تشجع ابنتها على السرقة، ثم قامت بطردها من المنزل. الأم تريد تربية ابنتها على الفضيلة.

عادت أندير بعد يوم واحد قضته في بيت أحد الأقارب. يزداد التوتر بين الأم وأندير، عندما تأتي أحد الأقارب لتتهم الابنة دورجا بسرقة عقد (قلادة) من بيتها. فتنكر الأم بشدة.

دورجا وأخوها ابو، يقومان باللعب خارج المنزل. يراقبان القطار وهو يمر ومحطة الكهرباء من بعيد. في نفس الوقت، الأم تقوم بطرد أندير للمرة الثانية. في الطريق إلى المنزل، يجد الطفلان أندير ميته وسط الغابة.

الأب هاري يغادر المنزل للبحث عن دخل يقيم أود الأسرة، تاركا زوجته بدون نقود. أثناء غياب الأب، تصاب دورجا بالتهاب رئوي بعد لعبها مدة طويلة في المطر خارج المنزل. ثم تستسلم للمرض وتموت.

عندما عاد الأب متفائلا بعد طول غياب، لكي يخبر عائلته بحصوله على بعض المال ومعه هدايا لأفراد أسرته، وساري (فستان) جميل لابنته دورجا، علم بموتها المفاجئ.

الموسيقى التصويرية للفيلم رائعة، لكن الموسيقى الخاصة بهذه اللقطة، لن تجد مثلها في قوة التعبير في أي فيلم آخر. الموسيقى من تأليف الموسيقار الهندي العظيم رافي شانكار.

صوت الناي الحزين وآلة السيتار والطبلة، ولا شيء آخر. لكن موسيقى الفيلم سيمفونية رائعة، غذاء للروح والبدن لمن يحب الموسيقى الأصيلة، ويريد شيئا أفضل من "بوس الواوا".

التصوير على الطبيعة في أحراش البنغال حيث تعيش الأسرة. بالرغم من أن التصوير أبيض وأسود، إلا أن المناظر الطبيعية أكثر من رائعة. كل لقطة، لوحة فنية فريدة في حد ذاتها، تصلح وضعها على حائط الصالون. الفيلم يخلو من "الآكشن"، لكنه ملحمة إنسانية بكل المقاييس.

هنا يقرر الأب الانتقال بالأسرة إلى مكان قريب من النهر حيث تتوافر فرص أحسن للعمل. بينما هم يجمعون متاعهم وأشياءهم، يجد ابو العقد الذي أنكرت دورجا سرقته من قبل، مخبوءا في إناء طول الوقت.

يتسلل ابو ومعه العقد، لكي يلقي به في بركة مجاورة. وقف ساهما يراقب النباتات الطافية على سطح البركة وهي تتجمع مرة ثانية مكان سقوط العقد لكي تعود لمكانها الأصلي، كأنها تريد أن لا يعرف أحد مكانه. لقطة إنسانية من الروائع.

يعود ابو لأسرته دون أن يخبر أحدا بعثوره على العقد، ليلحق بالأسرة التي تتجمع وتستعد لمغادرة المكان على عربة كارو تجرها الثيران.

بعض الملاحظات على شخصيات الفيلم:

الزوجة سارباجايا، شابة جميلة هي مركز العائلة. تعيش في فقر مدقع، لكنها قوية مكافحة كما يجب أن تكون عليه المرأة الريفية. لم تستسلم للفقر وترفع الراية البيضة.

تحاول الاستمرار والبقاء على قيد الحياة هي وأولادها في هذه الظروف القاسية. تخلت عن أحلامها من زمان. هي الآن تعيش لهدف واحد. حماية أطفالها بقدر الامكان. زوجها متعلم، لكنه فقير دقة، قليل البخت والدخل، يعمل في وظائف مؤقتة إن وجدت.

على الزوجة الاستمرار في هذه الحياة، وخصوصا بعد فقدها المفاجئ لابنتها. رحلتها بعد الفاجعة أصبحت مملة. نجدها دائما حزينة قلقة. نادرا ما تبتسم. تفرغ همها وغضبها في المسكينة أندير العجوز قريبة زوجها، وعلى ابنتها دورجا قبل وفاتها.

هاريهار الأب، رجل متدين راضي بقليله وبالمقسوم والمقدر. يحاول أن يكون كاتبا أو شاعرا. يقبل أية وظيفة يمكنها أن تغطي احتياجات أسرته. يصبر على عدم حصوله على أجر لمدة ثلاث شهور ولا يعترض خوفا من فقد وظيفته. منتهى الذل والاستكانة والضعف.

يذهب للمدينة ويغيب مدة طويلة للعمل والحصول على بعض النقود. عندما يرسل خطابا بقرب عودته، يفرح اطفاله وتبتهج زوجته، ونسمع من الموسيقار راجي شنكار وهو يصف الحالة، موسيقى أرق مايمكن، مثل النسيم العليل.

لكنه عندما يعود، يجد ابنته الحبيبة دورجا قد ماتت. بعد ذلك ينتقل هو وأسرته من البيت الذي ورثه عن العائلة، محاولا تغيير عمله وسداد ديونه الكثيرة والهرب من الظروف التي لم تنصفه يوما ما. هو بعكس زوجته، متفائل يحلم. يعتقد أن الأمور سوف تتحسن في المستقبل. وأن الرب له حكمته في ذلك.

دورجا الابنة، طفلة حنونة عطوفة على عمتها أندير وقريبة منها. تسرق الفاكهة من حدائق الجيران لتطعمها. أثناء هطول الأمطار الموسمية، تمرض وتموت.

موتها تسبب في ترك العائلة للمنزل الذي عاشوا فيه. هي أيضا حالمة تريد أن تعيش وتكبر وتتزوج كأي بنت. ليست متفانية في أعمال البيت مثل أمها، أو كما تريدها أن تكون. تسعدها أشياء صغيرة بسيطة تافهة. قريبة من أخيها الصغير ابو. تلعب معه طول الوقت.

ابو، هو الطفل الأصغر في العائلة. يشاهد موت عمته أندير وأخته الحبيبة ولا يفهم معنى الموت ولا يدري سبب الفراق. مرهف الحس واسع الخيال. كريم النفس، تخلص من العقد المسروق وأخفى الخبر عن أمه وأبيه حتى لا تتلوث صورة أخته عندهما.

أندير، العمة العجوز. طاعنة في السن منحنية الظهر، فاقدة الأسنان، نحيفة تمشي بعكاز. كل ما تملكه في هذه الحياة، صرة أو بقجة ممزقة ليس بها شيء. ليس لها أحد يعطف عليها غير الطفلة دورجا.

تقبل الفاكهة من دورجا، بالرغم من معارضة الأم التي تتهمها بإفساد ابنتها وحثها على السرقة. أندير لا تعرف إلى أين تذهب أو بمن تستجير وهي في هذه السن الطاعنة. تعاني من الفقر أو ما هو تحت الفقر وكبر السن.

تموت وحيدة في الغابة كما تموت الحيوانات، منتهى القسوة، بعد أن طردتها الأم من بيت العائلة خوفا على ابنتها. ونحن نتساءل مع الفيلم، ماذا يفعل كبار السن، الذين لا حيلة لهم، عندما يصابون بالفقر والشيخوخة وجحود الأقارب؟

الفقر هو موضوع الفيلم. العائلة ليس لديها كهرباء أو ماء جارية. الماء يحصلون عليه من البئر بعناء. يكافحون للخروج من دائرة الفقر المحكمة حول رقابهم. الفيلم يصور لنا بصدق صعوبة الحياة وقسوة الفقر وعمق الألم الذي يسببه للغلابة والناس الطيبين.

الإخراج والإنتاج: ساتياجيت راي
بطولة:
كانو بانيرجي في دور هاريهار
كارونا بانيرجي في دور سارباجايا
شونيبالا ديفي في دور أندير
أوما داس جوبتا في دور دورجا
سوبير بانرجي في دور ابو

موسيقى رافي شانكار

# بعيدا عن الزحام المجنون



*باتشيبا وكابتن تروي*

توماس هاردي 1840 –1928، روائي وشاعر إنجليزي رومانسي. ولد في قرية بوكهامبتون، التي تقع جنوب غرب إنجلترا. والده كان عازف كمان ويعمل بحجارة البناء. والدته كانت تقوم بإعادة كتابة الأغاني والأساطير الشعبية.

في عام 1862، تم إرسال هاردي إلى لندن للعمل مع المهندس المعماري آرثر بلومفيلد. خلال السنوات الخمس التي قضاها في لندن، كان على اتصال بالثقافة من خلال زيارة المتاحف والمسارح، ودراسة الأدب الكلاسيكي. حتى أنه بدأ يكتب شعره الخاص.

من عائلته، اكتسب هاردي الاهتمامات التي من شأنها أن تؤثر على حياته وتظهر في رواياته: الهندسة المعمارية والموسيقى، وأنماط حياة سكان البلاد، والأدب نفسه. العديد من رواياته تتعلق بشخصيات مأساوية تكافح ضد عواطفهم وظروفهم الاجتماعية.

نشرت رواية "بعيدا عن الزحام المجنون"، أو "بعيدا عن الناس"، أول مرة عام 1874. هي الرواية الرابعة من روايات توماس هاردي. كانت بمثابة نقطة تحول في حياته المهنية، وأول نجاح كبير له.

احتفل على نطاق واسع بالرواية كقصة حب. تعتبر من أعظم 10 قصص حب في كل العصور، حسب توصيف الجارديان عام 2007. كما تم انتاج الرواية فيلما سينمائيا عدة مرات، مع تعديلات ملحوظة، بما في ذلك إنتاج عام 1967، بطولة جولي كريستي، وانتاج 2015 بطولة كاري مولجان.

تبدأ الرواية بلقاء عن طريق الصدفة بين جابرييل أوك وباتشيبا إيفردين خارج بلدة كاستربريدج مباشرة. جابرييل راعي أغنام من أصول متواضعة، استأجر مزرعته الخاصة مؤخرا.

من أول نظرة، سُحر جابرييل بجمال باتشيبا الأخاذ، وتملك حبها شغاف قلبه. لكنه أدرك أنها فتاة مثقفة، عنيدة، فخورة بنفسها. بالرغم من مرورها بظروف صعبة، إلا أنها الآن مكلفة بمساعدة عمتها في العناية بمزرعتها. قرب مزرعة جابرييل من مزرعة العمة، قد أتاح لهما عدة لقاءات، بما في ذلك الحادث الذي أنقذت فيه باتشيبا حياة جابرييل.

بعد تعارفهما بفترة قصيرة، يبيح جابرييل بحبه لباتشيبا ويطلب يدها للزواج. لكنها تفاجئه بالرفض، بحجة أنها لا تحبه ولا تريد التخلي عن استقلاليتها.

بعد ذلك بفترة وجيزة، تنتقل باتشيبا بعيدا إلى بلدة ويذربري. ثم يصاب جابرييل بنكسة أخرى، عندما يفقد غالبية أغنامه في حادث كارثي. فقده لكل أمواله، جعله يترك مزرعته ويبحث عن أي عمل يمكن أن يجده.

أثناء بحثه عن عمل بالقرب من بلدة ويذربري، يهدد حريق هائل بتدمير معظم المحاصيل الزراعية بأحد المزارع بالمنطقة. فيقوم جابرييل بواجبه بالمساعدة في إطفاء ألسنة اللهب، ووضع الحريق تحت السيطرة.

يعلم جابرييل لاحقا أن صاحبة المزرعة هي نفسها باتشيبا. والمزرعة قد ورثتها عن عمتها، وقامت بإدارتها بنفسها، وهو أمر لم يكن شائعا بالنسبة للمرأة في ذلك الوقت. بعد ذلك، تستأجر باتشيبا جابرييل للعمل لديها كراعي أغنام بالمزرعة.

تحظى باتشيبا بقدر كبير من الاهتمام كامرأة شابة مثقفة جذابة عزباء، لها أفكار غير تقليدية. لكنها شعرت بالجزع عندما لاحظت أن وليام بولدوود، وهو صاحب مزرعة ناجح في منتصف العمر، يتجاهلها ولا يشعر بوجودها الطاغي.

هنا تقوم باتشيبا، كمزحة للفت الانتباه، بإرسال بطاقة "عيد الحب" إلى بولدوود.  عندما فعلت ذلك، لم تكن تدري أنها قد مهد الطريق عن غير قصد لبولدوود الخجول، والذي كان يعاني من وحدة قاتلة، لكي يقع في حبها بجنون.

بعد وقت قصير، يتقدم بولدوود لباتشيبا عارضا عليها الزواج، ويتركها في حالة اندهاش وعدم تصديق. ترفض باتشيبا عرض الزواج، إلا أنها غير متأكدة من المستقبل كامرأة تدير مزرعة كبيرة بمفردها.

أدت مغازلة بولدوود إلى خلاف حاد بين جابرييل وباتشيبا، لدرجة أنها قامت بطرده في البداية من وظيفته، ولكنها سرعان ما تعيده مرة أخرى إلى خدمتها، عندما يقوم بإنقاذ العديد من أغنامها، بعد أن أكلت نباتات سامة.

يتقدم بولدوود ويعرض على باتشيبا الزواج للمرة الثانية. بالرغم من رفضها له، إلا أنها في هذه المرة قد أعطته شيئا من الأمل.

في نفس الليلة، تلتقي باتشيبا بالرقيب الوسيم صاحب الكاريزما، "تروي". يثير مشاعرها، وتقع في حبه من أول نظرة. يعلم جابرييل ميل باتشيبا إلى الرقيب تروي، فينصحها بالابتعاد عنه لأن سلوكه مشبوه، ويشجعها على الارتباط ب بولدوود بدلا من ذلك.

لكنها لا تستمع لنصيحة جابرييل، وتقودها مشاعرها المتنامية تجاه تروي إلى إخبار بولدوود بأنها لن تستطيع الزواج منه أبدا. يغضب بولدوود بشدة وتتملكه الغيرة، مما جعله يهدد باستخدام العنف ضد تروي، خاصة وهو يعلم سوء سمعته كزير نساء.

تغضب باتشيبا لما يحدث، لكنها لا تستمع لصوت العقل ولا تريد أن تصدق ما تسمعه عن تروي، وتقوم بالزواج منه. ويقوم تروي بإخبار بولدوود بأمر الزواج، بعد أن يلعب عليه بخدعة قاسية، وهي ادعائه بقبول ترك باتشيبا نظير مبلغا من المال.

يستاء كلا من بولدوود وجابرييل للغاية من زواج باتشيبا من تروي المتهور. وتتحقق مخاوفهما، لأن تروي يثبت بسرعة أنه كسول وغير متحمس للمساعدة في إدارة المزرعة.

جابرييل يتجنب بصعوبة كارثة محققة، عندما جاءت عاصفة رعدية شديدة في ليلة احتفالات الحصاد. أخذ جابرييل زمام المبادرة كرجل مسؤول، وقام بحماية المحاصيل غير المكشوفة. بينما الجميع كانوا في حالة سكر شديدة، وغير قادرين على المساعدة.

تروي لا تظهر عليه أية علامات تدل على الرغبة في تغيير سلوكه. ينفق الأموال بتهور، والعلاقة بينه وبين باتشيبا تزداد سوءا يوما بعد يوم. في شهر أكتوبر، بعد حوالي 9 أشهر من بداية الرواية، يلتقي تروي وباتشيبا بشابة تسير على الطريق. تبدو مريضة وفقيرة. مشهدها يثير سلوكا غريبا من تروي، وهو ما قد رفض شرحه لزوجته.

تروي مصمم على إخفاء هوية المرأة، فاني روبنز، التي كانت تعمل خادمة سابقا في مزرعة ايفردين. كانت بينها وبين تروي علاقة غرامية في الشتاء السابق، بينما كان متمركزا مع قواته في ميلشستر.

بعد ذلك، هربت فاني معتقدة أنها ستهرب مع تروي. لكنه تخلى عنها بعد أن وجدها حاملا منه. هي الآن على وشك الولادة. تحاول الذهاب إلى منزل فقير محلي للولادة هناك. يقابلها تروي، ويعطيها بعض المال كمساعدة. لكن المسكينة تموت هي وطفلها أثناء الولادة.

عندما علمت باتشيبا بوفاة الفتاة، ترسل الجثة لإعادتها إلى ويذربري لدفنها هناك. في الوقت نفسه، يأتي تروي لمقابلة فاني، وهو لا يعلم بخبر وفاتها.

جابرييل يحاول إخفاء خبر وفاة فاني عن باتشيبا. مع مزيج من الشائعات وسلوك زوجها المشبوه، جعل باتشيبا تفتح التابوت وتعثر على جثتي كل من فاني والرضيع في داخله.

باتشيبا تدرك أن تروي، هو والد طفل فاني. عندما يعودا إلى المنزل، تقوم بينهما مشاجرة حامية. باتشيبا تهرب من المنزل، وتقرر عدم العودة حتى يتم أخذ التابوت بعيدا. تروي هو الآخر يترك المنزل، ويشاهد وهو يغادر البلدة بعد وقت قصير.

يذهب تروي إلى شاطئ البحر، حيث يحاصر بين موجتي مد، وهو يسبح بعيدا عن الشاطئ. يتم إنقاذه من قبل بعض البحارة، ويقرر بتهور الانضمام إليهم في رحلتهم إلى أمريكا، ويختفى عن الأنظار، تاركا ملابسه على الشاطئ.

نتيجة لهذا الاختفاء المفاجئ، يفترض أن تروي قد غرق. بذلك تصبح باتشيبا أرملة. هذه الأحداث، أحيت الأمل عند بولدوود في زواجه من باتشيبا. لكن باتشيبا تخشى أن يكون زوجها لايزال حيا. وتطلب من بولدوود الانتظار سبع سنوات منذ وقت اختفائه، كما يقول القانون، قبل أن تفكر في الزواج مرة ثانية.

يمر الوقت، وفي نهاية الصيف، بعد عام تقريبا من اختفاء تروي، يعود سرا إلى ويذربري. لقد مل العيش في فقر، وهو يفكر الآن في الرجوع إلى زوجته، بالرغم من أنه لم يكشف بعد عن هويته.

في الوقت نفسه، تجددت آمال بولدوود في الزواج من باتشيبا، بعد أن وافقت على إخباره في عيد الميلاد، ما إذا كانت ستبدأ الخطوبة لمدة 6 سنوات أم لا.

علم تروي أن زوجته باتشيبا تفكر في الزواج مرة أخرى من بولدوود. عشية عيد الميلاد، قال تروي أنه سيظهر بطريقة مفاجئة في الحفل الفخم الذي سيقيمه بولدوود بهذه المناسبة.

أثناء الحفل، يظهر تروي فجأة، ويحاول استعادة باتشيبا زوجته. تتملك بولدوود حالة من الغضب والجنون، جعلته يطلق النار على تروي ويرديه قتيلا.

حكم على بولدوود في البداية بالإعدام بسبب هذه الجريمة. لكن تبين في نهاية المطاف أنه مجنون، فخفف الحكم إلى السجن مدى الحياة. صدمت باتشيبا من هذه الأحداث. لكنها تتعافى ببطء، وتصبح أكثر اعتمادا على جابرييل لمساعدتها على إدارة المزرعة.

لكنها تفاجأ وتشعر بحزن شديد عندما تعلم أن جابرييل يخطط لمغادرة إنجلترا والهجرة إلى أمريكا. هذا الخبر يقودها للتفكير في جابرييل ومدى إخلاصه لها.

في إحدى الليالي، تذهب إلى كوخه لتسأله لماذا هو مصمم على المغادرة، وبينما هما يتحدثان، يتضح أنهما يحبان بعضهما البعض، ولكن كل منهما كان مرتبكا بشأن مشاعر الآخر. وبعد ذلك بوقت قصير، يتزوج جابرييل وباتشيبا أخيرا بكثير من الابتهاج من السكان المحليين وعمال المزارع المجاورة.

ملاحظات على الرواية:

الحب هو الموضوع الرئيسي للرواية. في الواقع، تدور الرواية حول محاولة فهم باتشيبا لمعنى الحب الحقيقي. ومن هو الرجل الذي يستحق حبها. كل واحد ممن تقدموا لخطبتها يمثل نوعا مختلفا من الحب.

حب بولدوود لها، حب كثيف مهوس، حب تملك واستحواذ. يحاول شراء حبها بالهدايا الفاخرة ووعوده بتقاسم ثروته.

تروي يقدم لها الحب العاطفي. الحب المشحون بالجنس والمتعة الحسية. لكنها متعة على المدى القصير، سرعان ما تتلاشى. هو حب ليس مدعوما بالتفان والتوافق على المدى الطويل.

أما جابرييل، فهو من يقدم لها الحب الهادئ المتواضع الرصين. الحب الثابت الموثوق به. حب يصمد في مواجهة الأعاصير والتحديات. ومع نضوج باتشيبا عاطفيا، يتضح لها ما هو الحب الحقيقي، وأن جابرييل هو الحبيب والشريك الأفضل بين كل من عرفتهم من الرجال.

# العاصفة



أحد فصول مسرحية العاصفة لشيكسبير

مقدمة:

العاصفة، هي آخر مسرحية كتبها شيكسبير سنة 1611م، وواحدة من أشهر أعماله. المسرحية تبدأ بمشهد سفينة وسط الأمواج العالية تصارع عاصفة عاتية. على متنها مجموعة نبلاء إيطاليين.

الملاحون يجاهدون لإنقاذ السفينة. مملكة نابولي (1100-1860م)، كانت مكونة من النصف الجنوبي لإيطاليا وجزيرة صقلية. عاصمتها مدينة نابولي.

ألونسو، ليس بالضرورة اسم إيطالي إنما هو اسم إسباني. وهو من مشتقات اسم "ألفونسو". تاريخ نابولي كان في عصر شيكسبير مرتبطا بإسبانيا.

في عام 1420م، كانت نابولي تحت حكم الملكة جوانا الثانية. جزيرة صقلية كانت تحت حكم ألفونسو الخامس. بعد موت جوانا عام 1435م، توحدت مملكة نابلي تحت حكم ألفونسو الأول. بعد ذلك أصبحت نابولي جزءا من مملكة إسبانيا المتحدة، وظلت كذلك حتى عصر شيكسبير.

الجزيرة التي وقعت عليها أحدث المسرحية، هي جزيرة وهمية في البحر الأبيض المتوسط، بين إيطاليا والساحل الإفريقي.

مملكة ميلانو، التي كان يحكمها بروسبيرو، تقع شمال إيطاليا. بروسبيرو لم يكن مغرما بالحكم، إنما كل اهتمامه كان منصبا على الدراسة والعلم. في العصور الوسطى، كان يوجد نوعان من الدراسة. العلوم الدينية والعلوم الطبيعية.

العلوم الطبيعية لها جذور في الحضارة الهيلينية. ساد الاعتقاد قديما بأن علماء الطبيعة والكيمياء، لهم دراية بتحضير الأرواح وممارسة السحر. لذلك كان من الطبيعي أن يخاف الناس مثل هؤلاء العلماء.

دراسة بروسبيرو السرية، علمته أصول السحر والسيطرة على الأرواح، الشريرة والخيرة على السواء. انشغال بروسبيرو بكتبه ودراسته، جعلت أخيه يتآمر عليه ويسلبه عرشه بمساعدة ملك نابولي.

أرسل ألونسو، ملك نابولي، جيشا إلى مملكة ميلانو. وقام أنطونيو المتآمر ضد أخيه، بفتح أبواب المدينة على مصراعيها أمام الغزاة. بذلك، سقطت ميلانو وفقدت استقلالها، وباتت ولاية تابعة لملك نابولي، ألونسو.

مسرحية العاصفة، هي مجرد رواية. لكن أحداثها لها صدى في التاريخ. ففي عام 1535م، توفي دوق ميلانو، فرانسيسكو ماريا سفورزا، بدون وريث. لذلك تم ضم مملكته إلى ممالك الامبراطور تشارلز الثاني، الذي بدوره أورثها لابنه، فيليب الثاني ملك إسبانيا عام 1540م. كلما كانت نابولي تحت حكم الإسبان، كانت كذلك ميلانو.

آريل كلمة تشبه أسماء الملائكة، جاءت في الإنجيل تشير إلى المدينة التي سكنها داود. معنى الكلمة هي أسد الله، وتشير إلى مدينة القدس.

في عام 1787م، اكتشف هيرشل، عالم الفلك، قمرين للكوكب أورانس أسماهما، تيتانيا و أوبيرون. وفي عام 1851م، اكتشف لاسيل قمرين آخرين أسماهما، آريل (على اسم جني المسرحية)، وأومبريل. في عام 1948م، عندما اكتشف كيوبير القمر الخامس لأورانس، أسماه ميراندا (على اسم ابنة بروسبيرو بطل المسرحية)

يبدو أن العاصفة لم تكن حقيقية، إنما كانت عاصفة وهمية من فعل السحر والشعوذة والخدع البصرية، الهدف منها، ليس قتل الركاب، وإنما بث الرعب وإخافة رجال المركب، حتى تسير الأمور كما خطط لها بروسبيرو.

في عام 1607م، أقام الإنجليز أول مستعمرة دائمة في جيمس تاون بولاية فيرجينيا بالولايات المتحدة حاليا. المستوطنون، لكي يستطيعوا العيش في سنواتهم الأولى، كانوا يحتاجون إلى مؤن ومواد غذائية وملابس، إلخ، من إنجلترا الدولة الأم.

في عام 1609م، أسطول بحري مكون من 9 سفن، أبحر غربا عبر الأطلسي حاملا المدد والمؤن والزاد والزواد، متوجها إلى جيمس تاون.

وسط المحيط، واجهتهم عاصفة عاتية وهم بالقرب من جزيرة برمودا. السفينة القائد وبها الأدميرال قائد الأسطول وأيضا حاكم فيرجينيا الجديد، تم فصلها بسبب العاصفة عن باقي الأسطول. باقي السفن الثمانية، وصلت بسلام إلى جيمس تاون. ما عدا سفينة الأدميرال، التي غرقت وفقد جميع ركابها أو غرقوا.

لكن ركاب السفينة الغارقة، نجحوا في الوصول أثناء العاصفة إلى ساحل جزيرة برمودا وسط المحيط الأطلسي. نزل الركاب على الجزيرة واستطاعوا العيش مؤقتا إلى أن تم صنع قاربين صغيرين.

أمكن العبور بهما وسط الأمواج المتلاطمة مسافة 600 ميل، وهي المسافة من جزيرة برمودا إلى جيمس تاون على الشاطئ الشرقي للولايات المتحدة.

ظهر ركاب السفينة المفقودة فجأة في شوارع جيمس تاون بعد عام كامل من وقت حدوث العاصفة. كان حدث ظهورهم، مثار دهشة وفرح للجميع. ظهروا كأنهم من أهل الكهف، أو من الأموات الذين بعثوا فجأة للحياة.

أخبار عودة ركاب السفينة المفقودة سالمين بعد عام كامل، وصلت إلى إنجلترا، وأمست حديث كل بيت. بالتالي، علم بها شيكسبير. جزيرة برمودا، أضحت من ممتلكات التاج البريطاني منذ ذلك التاريخ. وهي ملكية بوضع اليد، أتت عن طريق الصدفة البحتة، عن طريق عاصفة عاتية هبت لكي تغير مجرى التاريخ.

في الواقع، قصة السفينة الغارقة هي التي ألهمت شيكسبير بكتابة مسرحية العاصفة. لدينا عاصفة هوجاء فصلت سفينة القيادة عن باقي السفن.

فقد ركاب السفينة، لكن لم يصب أيا منهم بأذى. نجوا جميعا بما يشبه المعجزة، بعد أن قضوا وقتا على الجزيرة المهجورة. وما على شيكسبير الآن سوى إضافة حبكة رومانسية للحدوتة.

الساحرة الشريرة سيكوراس، التي أتت في المسرحية اسمها مكون من مقطعين من اللغة اليونانية. بمعنى خنزير وغراب. عندما سأل بروسبيرو آريل، أين ولدت سيكوراس؟ أجاب: الجزائر.

مدينة الجزائر تقع على بعد 650 ميل جنوب نابولي. تم تأسيسها عام 950م. وهو الاسم الذي أطلقه عليها بولوغين ابن يري مؤسس الدولة الزيرية عند بنائها.

في عام 1545م، أرسل الامبراطور تشارلز الخامس أسطولا لكي يحتل مدينة الجزائر. هبت عاصفة عاتية على الأسطول وانتهت الحملة بالفشل الذريع وكارثة محققة.

بالطبع يمكن تبرير ذلك من قبل مسيحي أوروبا في ذلك الوقت، بأن المسلمين هم الذين تسببوا في العاصفة عن طريق استخدامهم للسحر وتسخير الجان. بذلك تكون الجزائر هي بلد الساحرة الشريرة سيكوراس. من وجهة نظر شيكسبير، هذا شيء متوقع.

الساحرة سيكوراس قد أتت إلى الجزيرة وهي حامل. ابنها الشرير كاليبان نصف انسان ونصف وحش. غبي وشرير. كان دائم الشكوى من أنه قد أتى إلى الجزيرة قبل بروسبيرو وابنته، وأنه قد ورث الجزيرة عن أمه سيكوراس.

مع هذا، يُعامل كعبد بدون رحمة. لكن بروسبيرو أخبره بأنه كان يعامله كبني آدم برحمة ورفق، إلا أنه في المقابل، حاول اغتصاب ابنته ميراندا.

كانت السفينة الملكية في رحلة عبر المتوسط، من نابولي إلى تونس. أثناء عودتها، هبت العاصفة وألقت بهم على الجزيرة. المسافة بين تونس

وصقلية لا تتعدى 90 ميل، وبين تونس ونابولي 350 ميل.

كان عمر شيكسبير عندما كتب مسرحية العاصفة 47 سنة. وهو عمر يعتبر بمقياس اليوم منتصف العمر. لكن بمقياس عصر شيكسبير، يعتبر عمر مديد.

ربما شعر شيكسبير بشيخوخته، أثناء كتابته لهذه المسرحية، لأنه توفي بعد ذلك بخمس سنوات عام 1616م، عن عمر 52 سنة. مما جعله يكتب المسرحية كرسالة إلى جيله والأجيال القادمة، تطلب التحلي بالتسامح والغفران والصبر، والاعتماد على العلم وسحر الآداب والفنون لمحاربة الشر والظلم لاسترداد الحقوق الضائعة، فلا ضاع حق وراءه مطالب.

الآن بعد أن حقق بروسبيرو كل آماله، وعاد إليه ملكه، وتزوجت ابنته وريث عرش نابولي، لم يعد يحتاج إلى ممارسة السحر. فقام بكسر عصاه السحرية ودفنها في باطن الأرض. وفي نفس الوقت، توقف شيكسبير عن سحر كتابة مسرحيات جديدة، ولم يعد يستعين بغير الكتب العلمية والعلم الحقيقي.

في عام 1932م، كتب ألدوس هاكسلي روايته، "عالم جديد شجاع"، يعبر فيها عن خوفه من سيطرة العلم على حياة الناس. العالم الجديد، هو عالم التكنولوجيا، الذي يجعل الحياة سهلة ومملة. الحياة الجديدة التي تهمل الآداب والفنون الرفيعة، والعواطف والروح العلمية الصحيحة، التي تهتم باكتشاف أسرار الطبيعة أكثر مما تهتم براحة الإنسان.

هذه نهاية سعيدة لمسرحية العاصفة. لم يتعرض أحد من أبطالها، مهما كانت جريرته ومهما عظم ذنبه، إلى أي نوع من العقاب الجسدي.

هكذا ينزل الستار على آخر أعمال شيكسبير، تاركا الكل سعيدا مبتهجا، وكأنه يطل من خلف الستار ليقول للمشاهدين، كما كان يحدث في المسرح الروماني القديم:

"أنتم لا زلتم قاعدين؟ المسرحية خلصت. قوموا روحوا"

أشخاص المسرحية:

بروسبرو: بطل المسرحية. دوق ميلانو إلى أن تآمر أخوه عليه وانتزع الحكم منه. أمضى 12 سنة على الجزيرة.

ألونسو: ملك نابولى

فرديناند: ابن ملك نابولى. وقع في غرام ميراندا عندما رآها أول مرة.

آريل: جني طيب، خادم بروسبيرو الوفي.

كاليبان: مسخ دميم الخلقة

العاصفة بأسلوب مبسط

بروسبيرو، دوق ميلانو، رجل مثقف يعيش بين كتبه، ويترك إدارة شيءون مملكته إلى أخيه، أنطونيو الذي يثق في إخلاصه. لكن أنطونيو أراد أن يصبح هو نفسه الدوق. لذلك تآمر لكي يقتل أخاه بروسبيرو، بمساعدة ألونسو، ملك نابولي وعدو أخيه.

أخذ رجال أنطونيو بروسبيرو إلى عرض البحر. عندما ابتعدوا عن الشاطئ بعدا كافيا، وضعوه في قارب صغير بدون مجداف أو شراع. ووضعوا معه في القارب ابنته الصغيرة ميراندا التي لم يتجاوز عمرها الثلاث سنوات.

تركوهما في القارب وسط الأمواج المتلاطمة، لكي يواجها مصيرهما المحتوم. بذلك يكون أنطونيو قد حصل على ما يريد، وباتت مملكة ميلانو من حظه ونصيبه.

لكن أحد رجال البلاط المخلصين، اللورد جونزالو، كانا وفيا حقا لسيده بروسبيرو. وضع جونزالو، خفية، في القارب: ماء شرب، ملابس، مؤن، وأيضا ما يحتاجه بروسبيرو من كتب ومخطوطات لا يقدر ثمنها بمال.

بعد مكابدة الأمواج المتلاطمة والأعاصير الشديدة والأمطار الغزيرة لعدة أيام، رسا القارب على جزير نائية مهجورة في عرض البحر المالح. نزل منه بروسبيرو وابنته سالمين وتركا القارب مربوطا على الشاطئ.

هذه الجزيرة المهجورة، ليست ككل الجزر. إنها جزيرة مسحورة. لسنوات عديدة، والجزيرة تحت لعنة الساحرة سيكوراس، التي قامت بسجن كل الجان الطيبين داخل جذوع الأشجار. ثم ماتت الساحرة قبل قدوم بروسبيرو وابنته إلى الجزيرة. رئيس الجان الطيبين هو آريل.

الملك المطرود، بروسبيرو، هو في الواقع ساحر عظيم. كرس وقته كله تقريبا، وقضى سنوات عديدة من عمره في دراسة علوم الكيمياء وفنون السحر وأسراره. بينما كان أخيه، أنطونيو، يقوم بإدارة مملكة ميلانو، ويرعى شيءون سكانها.

قام بروسبيرو على الفور، باستخدام سحره، لتحرير الجان الطيبة من سجنها داخل جذوع الأشجار. مع مراعات بقائها وفية له ومطيعة لأوامره، مدة وجوده بالجزيرة.

كان بروسبيرو رؤوفا بالجان، طالما هي رهن إشارته وطوع بنانه، كان استخدامه لسحره معهم، بطريقة حكيمة رحيمة.

وجد بروسبيرو على الجزيرة أيضا المسخ كاليبان. كان على بروسبيرو معاملته بطريقة خشنة. فهو ابن الساحرة الشريرة سيكوراس. كان كاليبان وحشا بشعا مشوه الخلقة، شريرا ذي طباع إجرامية.

كاليبان، الذي قام بروسبيرو بتعليمه الكلام، لا يريد تعلم أي شيء مفيد. لم يكن أمام بروسبيرو سوى استخدامه كخادم أو كعبد يوكل إليه كل الأعمال الشاقة، التي تحتاج قوة بدنية أو أعمال يدوية مرهقة.

رئيس الجان الطيبة، آريل، لم يكن من طبعه فعل الشر إلا عندما كان يقسو على الوحش الشرس كاليبان. عندما كان كاليبان يهمل عمله ويركن للكسل وإضاعة الوقت، كان آريل، الذي لم يكن يُرى إلا لبروسبيرو، يقوم بعقابه، أو يتسبب في وقوعه على الأرض.

كان بروسبيرو يسيطر على كل الجان الخيرة والشريرة في الجزيرة ويجعلها، عن طريق سحره، طوع بنانه. لذلك كان يستطيع التحكم في الأعاصير والأمطار وأمواج البحر.

بعد مضي اثني عشر عاما على الجزيرة، كبرت ميراندا وصارت غادة جميلة رقيقة ذكية. في يوم من الأيام، حدث أن أبحر أنطونيو، الأخ مغتصب السلطة، ومعه صديقه المتآمر ألونسو وابنه وأخوه.

أخو ألونسو اسمه سيباسيان، وابنه اسمه فرديناند. وكان يوجد على ظهر السفينة أيضا اللورد جونزالو، الصديق الوفي للملك المطرود.

شاهد بروسبيرو السفينة وهي تقترب بركابها من جزيرته المسحورة. فأصدر أوامره على الفور إلى الأرواح التي تقوم بخدمته لكي تصنع عاصفة برقية رعدية عاتية، وأمطارا غزيرة، تحيط بالسفينة من كل جانب حتى تغرق كل ركابها.

بينما كانت العاصفة على أشدها تزأر، والرياح تئن وتزمجر، والبرق يلمع ويسطع، والأمواج تعلو وتهبط، والسفينة تكابد الويل وتقاوم الغرق، كان بروسبيرو على الشاطئ يراقب هو وابنته.

عندما علمت ميراندا من أبيها أن السفينة بها ركاب بشر مثلهما، حزنت بشدة وطلبت من أبيها أن يسرع بفعل ما في استطاعته لكي ينقذ ركاب السفينة. أجابها بروسبيرو بأن هذا ما ينوي فعله. ووعدها بإنقاذ كل الركاب.

بعد ذلك، أخبر بروسبيرو ابنته، ولأول مرة، بحكايته من أولها لآخرها. أو كما نقول بالبلدي "من طقطق لسلامو عليكم". وأنه أمر الجان بعمل هذه العاصفة حتى يجعل أنطونيو أخيه المتآمر وألونسو شريكه، يقعان في قبضته وتحت رحمته.

ثم لمس بروسبيرو بعصاه السحرية جبين ابنته فخلدت لنوم عميق. جاء بعد ذلك آريل، رئيس الجان الخيرة وامتثل أمام بروسبيرو لكي يقدم له تقريرا عن سير العاصفة وما قد أحدثته بالسفينة وركابها. الجان، لم تكن تظهر لميراندا، ولم يكن بروسبيرو يحب التحدث معهم أمامها.

أخبر آريل بروسبيرو أن فرديناند، ابن ملك نابولي، كان أول من قفزوا إلى البحر، وأن والده ظن أن ابنه قد بلعته الأمواج. لكن الابن في أمان وقد تم انقاذه. هو الآن يجلس حزينا باكيا في ركن من الجزيرة. يندب حظه وموت أبيه، الذي ظن أنه قد مات غرقا.

"لكن، أين أخي أنطونيو وألونسو ملك نابولي؟" سأل بروسبيرو الروح آريل.

"لقد تركتهما يبحثان في الماء عن فيرديناند"، أجاب آريل. "لم يغرق أحد من ركاب السفينة؛ السفينة بكاملها سليمة ترسو على الشاطئ"

"أحسنت أداءً يا آريل، لكن سأطلب منك المزيد من الجهد" قال بروسبيرو. "الآن آتنا بالأمير الشاب فرديناند هنا، ابنتي يجب أن تراه."

"المزيد من العمل يا سيدي؟" تعجب آريل. "دعني أذكرك، بأنك قد وعدتني بالحرية"

"لم أنس ذلك، يا آريل" أجاب بروسبيرو. "وأنت أيضا لا يجب أن تنسى أنني قد حررتك من لعنة الساحرة الشريرة سيكوراس عندما سجنتك داخل جذع شجرة صنوبر"

"عفوا سيدي الفاضل" أجاب آريل. "أخشى أن أكون قد أبديت عدم امتناني لك وأظهرت عدم عرفاني بجميلك. لا أبغي سوى رضاك عني، وستجدني دائما في خدمتك"

"بعد أن تنجذ ما قد أمرتك به" قال بروسبيرو. "سأقوم أنا بدوري بإعطائك حريتك على الفور"

طار آريل وهو متقمص شخصية حورية ماء إلى المكان الذي يوجد به فرديناند. أخذ يحوم حوله ويغني له، وهو لا يراه ولكن يسمعه:

"أبوك يا فرديناند قد مات، وهو غريق طواه بحر خضمٌ نائي الشطوط عميق والبحر منذ قديم إلى الهلاك طريق."

"أبوك يا فرديناند قد مات، وهو غريق ونام نوماً عميقاً فما تراه يفيق عظامه مرجان، وكل عين عقيق"

"أبوك يا فرديناند قد مات، وهو غريق هوى إلى القاع لما طواه بحر سحيق فاحزن، فأنت عليه بكل حزن خليق"

حزن فرديناند وقلقه على مصير والده، وخوفه من أن يظل وحيدا على جزيرة مهجورة، جعله يقف ويتبع الصوت الذي يغني أغنية حزينة بصوت جميل، إلى أن وجد نفسه أمام بروسبيرو وابنته ميراندا وهما يجلسان في ظل شجرة كبيرة وارفة الظلال.

كل شيء تم على أكمل وجه، وفقا لرغبة وتفكير وتخطيط بروسبيرو المسبق. ميراندا، التي لم يسبق لها أن رأت إنسانا غير والدها من قبل، نظرت إلى الأمير الشاب بإعجاب وحب ملأ شغاف قلبها.

فرديناند، عند رؤيته للجميلة ميراندا في هذا المكان النائي عن العمران، وبعد سماعه لأغنية حب رقيقة تصدح في الفضاء، ظن أنه في الجنة وميراندا إحدى حورياتها.

بروسبيرو، الذي يملأ السرور شغاف قلبه لأن الأمور سارت كما يريد، تظاهر بالغضب وهو يصرخ سائلا فرديناند بصوت مرتفع: "هل أنت جاسوس أتى إلى هنا لكي يجمع معلومات عن الجزيرة وسكانها؟"

ثم زمجر بروسبيرو قائلا: "سوف أضع في يديك ورجليك الأصفاد، وأربط رقبتك بسلسلة حديدية طولها ذراع إلى حائط السجن. وأجعلك تشرب ماء البحر وتأكل قواقع البرك وجذور النباتات. اتبعني"

"لا، لا" صرخ فرديناند مرعوبا. "هذا لا يمكن" ثم سحب سيفه من غمده وتأهل للدفاع عن نفسه. هنا لوح بروسبيرو بعصاه السحرية نحو فرديناند، فتجمد في مكانه لا يستطيع الحركة كالتمثال.

كانت ميراندا تشاهد ذلك وهي مرعوبة. أخذت ترجو والدها وتطلب منه الرحمة بالأمير الشاب. لكن بروسبيرو كان يرفض، وجعل فيرديناند يتبعه إلى السجن. فرديناند في هذا الوضع، لا يملك سوى الطاعة العمياء.

حاولت ميراندا مساعدة فرديناند، لكنه رفض. ومع هذا، لم يستطع إخفاء حبه لها. سرت ميراندا أيما سرور عندما باح لها الأمير الأسير بحبه. وأخبرته أنها تبادله الحب، ثم وعدته بأن تكون زوجته.

عندما علم بروسبيرو بالحب المتبادل بين ابنته ميراندا وفرديناند، قام بإطلاق سراح فرديناند من الأسر، وبارك عزمهما على الزواج وهو في غاية السرور، فهذا ما كان يبتغيه ويريده.

في هذه الأثناء، كان أنطونيو وسيباستيان في جزء آخر من الجزيرة يتآمران لقتل ألونسو ملك نابولي. كانا يعتقدان أن فرديناند ابنه قد لقى حتفه غرقا، وبذلك يمكن أن يعتلي سيباستيان كرسي العرش بعد قتل أخيه الملك.

كانت خطتهم الشريرة، قتل الملك ألونسو أثناء نومه، ولكن الجني آريل قام بإيقاظه وإنقاذه في الوقت المناسب. لقد كان آريل يقظا لمثل هذه المؤامرات الشريرة.

وضع آريل أمامهما مأدبة غذاء فاخرة، وعندما هما لتناول الطعام، ظهر الجني آريل أمامها فجأة، في صورة خفاش ضخم متوحش شرس فاردا جناحيه. وفي نفس اللحظة، اختفت الوليمة من أمامهما.

عندما بدأ الوحش في مخاطبتهما، أصابتهما دهشة بالغة. أخبرهما آريل وهو في صورة الوحش، أنه يعلم نواياهما الخبيثة ويعرف ما قد اقترفاه في حق بروسبيرو، وكيف انتزعاه من ملكه وطرداه من بلده هو وابنته الصغيرة وتركاه في قارب صغير بدون شراع أو مجداف، وسط الأمواج العاتية لكي يواجه مصيره ويلقى حتفه هو وابنته. لهذا، وهذا يكفي، سوف يعاقبان بقسوة.

ندم ملك نابولي وأنطونيو أشد الندم على ما قد اقترفاه في حق الملك الطيب بروسبيرو وما فعلاه به وبابنته. وأبلغ آريل بروسبيرو أن ندمهما وتوبتهما كانت جادة وحقيقية. "إذن، دعهما يا آريل، يأتيان إلى هنا" قال بروسبيرو.

عاد آريل ومعه الملك ألونسو، أخيه سيباسيان، أنطونيو واللورد جونزالو. كانوا يتبعون صوت الموسيقى الغامضة التي قادتهم إلى هذا المكان. لم يتعرف أحد منهم في البداية على بروسبيرو فيما عدا جونزالو.

أنطونيو، بالدموع والبكاء، أبدى أسفه وندمه وتوبته، طالبا من أخيه بروسبيرو الصفح والغفران. الملك ألونسو، أبدى ندمه الشديد للاشتراك في هذه المؤامرة الدنيئة. قام بروسبيرو بكل نبل وخلق الملوك، بالصفح عنهم جميعا.

بعد أن وعد المتآمرون بإعادته لكرسي عرش مملكته، قال بروسبيرو لملك نابولي: "لدي هدية عظيمة لك" ثم رفع بروسبيرو الستار لكي يرى خلفها ابنه فرديناند وميراندا وهما يلعبان الشطرنج. ألونسو وابنه كادا يطيران من الفرح، عند رؤية كل منهما الآخر سليما معافا بعد أن نجيا من الغرق.

ذهل ألونسو، ملك نابولي، من جمال ورقة ميراندا. "من تكون هذه الغادة الجميلة؟" تساءل ألونسو. "لابد أن تكون إلهة الجمال والحب التي جمعتنا سويا."

"لا، يا مولاي" أجاب فرديناند. "لقد ظننتها أنا أيضا كذلك، عندما رأيتها أول مرة. هي إنسية، ابنة بروسبيرو ملك ميلانو الحقيقي. كنت أسمع الكثير عنه، لكنني لم أره إلا الآن. لقد وهبت لي الحياة مرة أخرى بفضله. وأصبح بمثابة أب ثان لي، عندما وافق على زواجي من ابنته العزيزة."

"إذن من واجبي أن أعتذر لها أيضا"، قال الملك. "لا داعي لكل هذا"، أجاب بروسبيرو. "ما قد فات قد فات. انسوا أحزان الماضي، وخصوصا عندما تنتهي بنهاية سعيدة." ثم احتضن أخيه وأكد له عفوه وغفرانه.

أخبر بروسبيرو الملك ورفاقه أن سفينتهم ترسو على الشاطئ سليمة من كل عيب، وأن بحارتها بخير لم يغرق منهم أحد. وبين لهم عزمه على أن يبحر معهم هو وابنته عائدين إلى مملكته في صباح اليوم التالي.

"أما الآن"، قال بروسبيرو، "دعونا نبتهج بهذه المناسبة السعيدة كما يحلو لكم. عندما يأتي المساء، سأقوم بتسليتكم وأحكي لكم قصتي منذ أول يوم وضعت قدمي، أنا وابنتي، على أرض هذه الجزيرة المهجورة."

ثم نادى بروسبيرو الجني كاليبان لكي يعد لهم الطعام ويرتب مكانا في الكهف لنومهم. وكان الجميع في دهشة بالغة لمنظر كاليبان الوحشي غير المألوف.

في اليوم التالي، فردت السفينة شراعها وأبحرت بركابها متوجهة إلى نابولي، حيث يتم زواج فرديناند من ميراندا. الجني الخيّر آريل، أعطاهم رحلة هادئة بدون عواصف أو أمواج صاخبة.

بعد غياب طويل، عاد بروسبيرو إلى مملكته واعتلى كرسي عرشه. استقبلته الرعية بما يليق به من حفاوة وحب وترحاب.

توقف بروسبيرو عن ممارسة السحر. أمضى باقي سنوات عمره سعيدا، لا لأنه عاد أخيرا إلى مملكته، ولكن لأنه عندما وقع أعداؤه بين يديه وأصبحوا تحت رحمته، لم يقم بالانتقام منهم. إنما صفح عنهم بنبل وكرم بالغين.

بالنسبة لآريل، قام بروسبيرو بإطلاق سراحه وإعطائه حريته لكي يطير ويغني كما يحلو له.

# راشومون



*قاطع الطريق والزوجة*

حتى لو لم تكن قد سمعت عن الفيلم الياباني راشومون للمخرج أكيرا كوروساوا 1950، ربما تكون على علم بموضوعه. هو بنية درامية تسمى "تأثير راشومون". تعرفها ساحات القضاء؛ عندما يتقدم شاهدان أو أكثر للشهادة في قضية لتفسير نفس الحدث. كل من منظور مختلف. تذكرنا بقصة عميان هندستان والفيل.

عميان هندستان وجدوا فيلا في طريقهم. قال أحدهم إنه جدار عندما لمس بطنه؛ الثاني ثعبان عندما مسك خرطومه؛ الثالث رمح عندما وضع يده على

نابه؛ الرابع معبد بعد أن لمس رجله؛ الخامس مروحة بسبب شكل أذنه؛ أما الأخير فلم يجده سوى حبل عندما شد ذيله. التباين في وجهات النظر، يمنع معرفة الحقيقة.

لذلك، موضوع الفيلم غير عادي. يبين روايات مختلف لحدث واحد. عن قصة قصيرة مقتبسة ل أكوتاجاوا 1922، بنفس العنوان. تدور أحداثها في القرن الثاني عشر، في مدخل مدينة كيوتو. تحكيها شخصيات الفيلم، وتقدم روايات مختلفة عن حادثة قتل قاطع طريق لزوج واغتصاب زوجته في الغابة.

بدون علم أكيرا كوروساوا، أوصت المنتجة الإيطالية، جوليانا ستراميجولي، بإدراج الفيلم في مهرجان البندقية السينمائي. ففاز بجائزة الأسد الذهبي عام 1950، وجائزة الأوسكار الفخرية لأفضل فيلم أجنبي في العام التالي. في السنوات التي تلت ذلك، أصبح الفيلم ملهما للكثير من صناع الأفلام، وبات يصنف بصفة دورية من بين أعظم عشرة أفلام أنتجت حتى الآن.

يجلس حطاب وكاهن تحت مظلة في مدخل مدينة راشومون اليابانية اتقاء المطر. ينضم لهما رجل ثالث من عامة الناس. يخبرانه بقصة محزنة شاهداها. لقد عثر الحطاب على جثة ساموراي مقتولا منذ ثلاثة أيام. أما الكاهن، فهو يؤكد أنه رأى الساموراي يسافر مع زوجته في وقت سابق من ذلك اليوم.

استُدعي الحطاب والكاهن إلى المحكمة لسماع شهادتيهما. ثم تصل الشرطة ومعها أحد قاطع الطرق رهن الاحتجاز، بسبب اعترافه بجريمة قتل. هنا يقوم كل منهم برواية الحدث من وجهة نظره وكما شاهده.

حكاية قاطع الطريق:

قاطع الطريق، سيء السمعة، تبدأ روايته بخداع ساموراي، كان يسير هو وزوجته في الغابة. جعله يعتقد أن هناك أسلحة قديمة قيمة مدفونة أعلى الجبل، ثم ربطه بشجرة وحاول إغراء زوجته.

حاولت الزوجة في بادئ الأمر المقاومة والدفاع عن نفسها ببسالة بخنجر صغير مرصع بالأحجار الكريمة. لكنها استسلمت في النهاية. لكي تتغلب على الشعور بالذنب والعار، توسلت الزوجة لقاطع الطريق القيام بتحدي زوجها في مبارزة بالسيف حتى الموت، حتى لا يوجد رجلان أحياء شاهدان على عارها.

يدعي قاطع الطريق الشهامة ويوافق على طلب الزوجة، وبالتالي يكون مقتل الساموراي بعد هزيمته في مبارزة بالسيف وليس غدرا. أثناء المبارزة، هربت الزوجة إلى الغابة.

في النهاية، تستفسر المحكمة عن الخنجر باهظ الثمن الذي تركته الزوجة وراءها. فيقول قاطع الطريق أنه قد نسي الأمر برمته وسط كل هذا الارتباك. ثم يعقب بأنه لا بد أن يكون أحمقًا، لأنه سمح لمثل هذه الجائزة القيمة بالإفلات من قبضته.

حكاية الزوجة:

وقفت زوجة الساموراي لكي تشهد في المحكمة. لكن روايتها مختلفة بشكل ملحوظ. تدعي أن الإغواء كان في الواقع اغتصاباً. وبعد أن غادر قاطع الطريق

المكان، ذهبت إلى زوجها تطلب المغفرة، فلم تتلق منه سوى صمت بارد. بعد أن فكت قيده، توسلت له كي يقتلها حتى تتخلص من عارها.

لكن الزوج يستمر في احتقار زوجته، وأخذ يحدق فيها باشمئزاز وكراهية. مما أحزنها لدرجة أنها أغمي عليها وهي لا تزال قابضة على خنجرها. عندما عادت إلى وعيها، وجدت زوجها ميتاً والخنجر غائرا في صدره. حاولت الانتحار، لكنها فشلت في ذلك.

ثم قامت المحكمة بإحضار روح القتيل الساموراي عن طريق وسيط لسماع روايته. كالتالي:

حكاية روح الساموراي:

قالت روح الساموراي من خلال الوسيط أن قاطع الطريق بعد اغتصاب زوجته، طلب منها الهرب معه. وافقت الزوجة، إلا أنها توسل له أن يقتل زوجها؛ حتى تعفي نفسها من ذنب معرفة رجلين مختلفين في آن واحد.

طلب الزوجة الغريب روع قاطع الطريق، وجعله يذهب للساموراي وهو لايزال مقيدا، ليسأله هل يقتل زوجته أم يعفو عنها. هذا العرض حرّك الساموراي وجعله يغفر لقاطع الطريق. لكن الزوجة كانت قد هربت. بعد فشله في اللحاق بها، عاد لكي يطلق سراح الساموراي. إلا أن الساموراي أخذ خنجر زوجته وقتل نفسه. شخص آخر قام لاحقاً بإزالة الخنجر.

بعد المحاكمة، تعود الحكاية إلى بوابة المدينة حيث يقول الحطاب للرجل الثالث أن كل رواية قيلت في المحاكمة، هي عبارة عن كذبة كبيرة. هو متأكد من ذلك لأنه شاهد كل شيء بنفسه، إلا أنه لم يتقدم للشهادة لأنه لا يريد التورط في القضية.

حكاية الحطاب:

يقول الحطاب أن قاطع الطريق قد ناشد الزوجة أن تتزوجه، لكنها اختارت انقاذ زوجها. السبب هو أن الزوج لم يكن على استعداد لمحاربة قاطع الطريق لأنه لا يريد المخاطرة بحياته من أجل امرأة مدللة مثل زوجته.

ثم أخذت الزوجة تتهم كلا من زوجها وقاطع الطريق، تتحدى رجولتهما، وتحرضهما على القتال للفوز بها. تقاتل الرجلان على مضض، مما أدى إلى مبارزة أقل شرفا بكثير مما وصف بالروايات السابقة.

السبب الذي جعل قاطع الطريق يفوز، هي ضربة عشوائية عن طريق الحظ، ألقت بالساموراي على الأرض وجعلته يتوسل لحياته قبل أن يقتله قاطع الطريق. هذا جعل المرأة تهرب في رعب. لكن قاطع الطريق فشل في اللحاق بها. بعد ذلك، عاد وأخذ سيف الساموراي وغادر المكان.

بعد قصة الحطاب، يسمع الثلاثة عند البوابة صوت طفل يبكي. يكتشفون سلة بداخلها الطفل معه تميمة. يتهم الحطاب الرجل الثالث بسرقة التعويذة من الطفل عديم الحيلة، فيرد الرجل باتهام الحطاب بسرقة الخنجر من جثة الساموراي بعد مقتله. وهذا هو السبب الذي جعله يهرب من أداء شهادته بالمحكمة. ثم يقول، إن سلوك كل رجل نابع فقط من مصلحته الذاتية.

يحمل الكاهن الطفل، ويرفض إعطائه للحطاب في بادئ الأمر، بسبب الشك في نيته. لكن الحطاب يهدئ من روعه ويخبره بأنه لديه ستة أطفال، ولا ضرر من زيادتهم واحدا.  هنا تتغير مخاوف الكاهن صوب الحطاب، ويستعيد إيمانه بوجود الخير، وثقته في الإنسان.

ملاحظات على الفيلم:

قصة فيلم راشومون، تدور حول حكاية واحدة. مع ذلك، هناك عدة روايات لما حدث في اليوم الذي قتل فيه الساموراي. هذا الفيلم يبين كيف يمكن تشويه الحقيقة وحجبها أو فقدها، عندما يكون اعتمادها على الراوي فقط.

لا يوجد هنا شيء موضوعي يمكن أن يستخدم كدليل إثبات. مجرد حكايات غير مكتملة تم تجميعها من هنا وهناك. مجرد وجهات نظر جزئية مختلفة. التباين بين الروايات، مما يبطل قدرة المحكمة على تطبيق العدالة، ويجعل المشاهد غير قادر على اكتشاف معنى وحقيقة ما حدث.

لاحظ كوروساوا أن البشر غير قادرين على أن يكونوا صادقين مع أنفسهم. كل رواية تحاول تشويه الحقيقة، لكي تبرئ الراوي وتجعله أفضل من باقي الناس. قاطع الطريق يصف نفسه بالشجاعة والذكاء ويبرئ نفسه. الزوجة تصف نفسها بأنها ضحية الاغتصاب. روح الساموراي تبرئه وتجعله ضحية لخيانة زوجته. الأنا هي المنشور الحقيقي الذي من خلاله يحكي كل منهم شهادته.

إخفاء الحطاب لسرقته للخنجر وهروبه من الإدلاء بشهادته أمام المحكمة، يدل على مدى هشاشة الاعتراف والشهادة في القضايا الجنائية، وعدم قدرتهما على كشف الحقيقة. لذلك لا يجب أن تؤخذ كدليل إدانة بالمحاكم. وهذا ما كان ينادي به الفيلسوف البريطاني بيرتلاند راسل.

البحث عن الحقيقة هو موضوع الفيلم منذ الجملة الأولى للحطاب: "أنا لا أفهم... أنا فقط لا أفهم. " بالرغم من هذه الروايات المتباينة، يعتقد الكاهن أن الحقيقة يمكن الوصول إليها. لأن الإنسان جيد في الأساس.

هو قد وثق في الحطاب بعد تردد، وأعطاه الطفل لكي يقوم بتربيته، وهو يقول: "إذا لم نثق في بعضنا البعض، تكون الحياة على هذه الأرض جحيماً".
الطفل يمثل الإنسانية جمعاء.

# ذهب مع الريح



*سكارليت وكابتن بتلر*

في عام 1900، ولدت مارجريت ميتشل  في أتلانتا، جورجيا. من عائلة هامة تنتمي إلى الطبقة العليا.  الحرب الأهلية، كانت تمثل أحداثا هاما بالنسبة لمواطني ولاية جورجيا، وتاريخا حديثا سمع عنه الكثير.

رواية "ذهبت مع الريح"، هي الرواية الوحيدة التي نشرتها مارجريت خلال حياتها. فازت بجائزة الكتاب الوطنية وجائزة بولتزر للأدب. استغرق تأليفها ما يقرب من عشر سنوات، وتم نشرها عام 1936.

الرواية لها وجهة نظر مختلفة عن الحرب. إنها تظهر إنسانية أصحاب المزارع في ولايات الجنوب، وموقف مواطني أتلانتا عام 1936، وقت كتابة الرواية، من تاريخ الحرب الأهلية في الماضي. القصة لا تلقي باللوم على أصحاب المزارع، وتصور أن سبب محنتهم كانت هي سياسة ولايات الشمال.

في زمن ميتشل مؤلفة الرواية، كان هناك قبول أكبر للنساء المستقلات مثل سكارليت. وكانت والدة ميتشل من الناخبين، وميتشل نفسها تقدمية في معتقداتها بالنسبة لأحوال المرأة. هذا كان له أثر هام في رسم شخصية سكارليت في الرواية.

في أبريل 1861، وفي مزرعة تارا مترامية الأطراف، التي تقع على بعد خمسة وعشرين ميلا من أتلانتا، جورجيا، يقع كلا من جيمني وبرنت في حب سكارليت ابنة صاحب المزرعة، البالغة من العمر 16 ربيعا.

في هذه الأثناء، علمت سكارليت أن الحرب على وشك أن تبدأ بين الشمال والجنوب، وأن آشلي سيخطب ميلاني ويعلن ذلك في حفل كبير.

أخبار الحرب الوشيكة، بالنسبة ل سكارليت، لم تكن تقارن في قسوتها وألمها بخبر زواج أشلي من ميلاني. من بين كل الشبان الذين تعرفهم سكارليت، لم

تكن تحب سوى أشلي. لكن آشلي لم يكن يبالي بحبها له. ولم تكن تفهم ماذا وجده في ميلاني، جعله يفضلها عليها هي.

تصارح سكارليت الأب، جيرالد أوهارا، بخيبة أملها. لكنه مقتنع بأن آشلي لا يناسب ابنته. إنه يفضل عليه شبان ويلكس، بالرغم من عدم معرفته الكاملة له. نعم، آشلي قادر على الشرب ولعب البوكر، وأفضل من غيره من الشباب، لكنه يفعل ذلك بدون روح.

حقيقة، آشلي يحب القراءة وسماع الموسيقى ومشاهدة اللوحات الفنية، وهو أمر محير بالنسبة لرجل أيرلندي بسيط. ثم وعد الأب ابنته بترك مزرعة تارا لها إن وافقت على الزواج من شخص آخر. لكن سكارليت لا تهتم بالمزرعة أو الأرض ولا تعني شيئا بالنسبة لها. فيجيبها الأب بأنه لا يوجد شيء أهم من الأرض، لأنها هي التي تبقى للأبد.

تذهب سكارليت إلى حفل استقبال في ويلكس. كانت تأمل في مقابلة آشلي وإقناعه بالرجوع عن قراره. من بين الضيوف كان هناك ريت بتلر. هو شاب فصلته الأكاديمية العسكرية في ويست بوينت، ثم طرده والده من المنزل بعد أن رفض الزواج من الفتاة التي رشحها له.

في ذلك الوقت، لم تكن سكارليت لها علاقة ب بتلر. كانت تتطلع للتحدث مع آشلي في المكتبة. لكن آمالها تبخرت في الهواء، عندما وجدت آشلي حازما في نيته الزواج من ميلاني. إنه يحب سكارليت بقلبه، لكن عقله يغلب مشاعره ويخبره بأن ميلاني توافقه أكثر، لأن طباعها من طباعه. من ثم، زواجهما سوف يكون أكثر سعادة.

يغادر آشلي ويترك سكارليت في المكتبة وهي في حالة غضب شديدة. تأخذ مزهرية وتلقيها بكل قوتها على الجدار فوق الأريكة. لفزعها، وجدت أن ريت بتلر كان يرقد فوق الأريكة، وقد سمع حوارها اليائس مع آشلي.

أبدى بتلر ملاحظته بقوة روح سكارليت، وتعجب من رفض آشلي لها. ثارت سكارليت وغادرت المكتبة وهي تغلق بابها بعصبية.

أخيرا، تأكدت الشائعات عن الحرب. يحمل الشباب السلاح للزود عن الجنوب وطنهم. في هذه الأثناء، يتحدد ميعاد عقد قران آشلي وميلاني أول مايو.

لكي تغيظ آشلي، أخذت سكارليت تتودد للرقيق الخجول تشارلز، شقيق ميلاني، وتوافق على الزواج منه. وتصر على أن يكون زفافهما سابق ليوم زفاف آشلي وميلاني. بعد الزواج، يذهب زوجها وآشلي للحرب دفاعا عن الجنوب.

بعد شهرين، أضحت سكارليت أرملة. لقد مات تشارلز من التهاب رئوي قبل أن يشترك في أي معركة. في مايو 1862، تنتقل إلى أتلانتا. تجبر على ارتداء ملابس الحداد السوداء والظهور بمظهر حزين، بالرغم من مخالفة كل هذا لطبيعتها وشعورها الحقيقي.

عندما ظهرت في اجتماع خيري لصالح المستشفى، تلتقي مرة أخرى ب ريت بتلر. هو ساخر بطبعه، قال لها بأسلوب تهكمي أنه يعرف ما قد دفعها إلى زواجها المتعجل. عندما بدأت التبرعات لشراء الأدوية، نزعت سكارليت خاتم زواجها وتبرعت به. تعجبت ميلاني من تصرفها، وتبرعت هي نفسها بخاتمها الخاص.

ثم يشتري الكابتن بتلر الحق في الرقص مع سكارليت، مما أوقع الأوصياء على الأخلاق في حيص بيص. لكن بتلر يصر عل حقه في القبلة، والمستشفى يحتاج إلى الأموال. إنهم متسامحون مع بتلر لأنه يمد الجنوب بكثير من المنتجات، في ظروف حصار الشماليين البحري للموانئ.

ثم يصب بتلر الوقود على نار القيل والقال، ويقول بأنه لم يفعل ذلك بداعي الشعور الوطني، ولكن من أجل تحقيق مكاسب شخصية له. كما إنه يشك في فوز الجنوبيين، فليس لديهم سوى الحماس والأعداد وسوء التدريب.

بدأت فضائح سكارليت تصل إلى والدها في مزرعة تارا. فيذهب الوالد جيرالد إلى أتلانتا لكي يأتي بابنته، ولكي يشتري بعض الضروريات. لكنه هناك يقابل الكابتن بتلر، وينتهي به الأمر إلى السكر وتبديد المال في لعبة البوكر. هذا الارتباك جعله ينسى سخطه على سلوك ابنته، التي لا تزال في أتلانتا. ثم تلتقي سكارليت بكابتن بتلر، لكن قلبها لا يزال متعلقا ب آشلي.

بالتدريج، يتعقد الوضع في مسرح الأحداث. الثقة في جيش الجنوبيين بدأت تنقشع ليحل محلها الإدراك بخطورة الوضع وإطالة الحرب وصعوبتها. تظهر القوائم الأولى للقتلى، وتشمل العديد من الأسماء المألوفة لدى سكارليت، لكن آشلي لا يزال على قيد الحياة، ثم يأتي في إجازة قصيرة.

تحاول سكارليت الانفراد بآشلي للتحدث معه، لكن تجده دائما مرافقا ل ميلاني زوجته. قبل رحيله من اتلانتا، يطلب آشلي من سكارليت رعاية زوجته في غيابه، لأنها، في رأيه، لا تملك حيوية سكارليت. آشلي مستعد دائما للوفاء بواجبه نحو وطنه، لكنه غير متأكد من فوز الجنوب على الشمال، الخصم القوي جدا.

بعد الهزائم في جيتيسبورج وفيكسبورج عام 1864، تأتي رسالة تفيد بأن آشلي مفقود. تحزن ميلاني، ولم تعد تفكر سوى في حملها لطفل آشلي، هو شيء يبقيها على قيد الحياة.

لا يزال بتلر يقابل سكارليت، للمشي والحديث وبعض المغازلات الطفيفة. يقول لها في أحد المرات إنه يريد الانتظار حتى تنسى هي طعم قبلة الوداع التي طبعها على شفتيها آشلي. فتثور ثورة عارمة، جعلتها أكثر جاذبية وحالة لا تقاوم بالنسبة لكابتن بتلر.

يقوم بتلر ببعض الاستفسارات عن طريق معارفه في الشمال. فيتأكد من أن آشلي لايزال على قيد الحياة، لكنه في السجن في ولاية إلينوي. لقد عرضوا علية الانخراط في الوحدات العسكرية التي تحمي الأراضي الأمريكية من الهنود، لكنه رفض الخدمة في صفوف الشماليين، وهو يفضل الأسر على مثل هذه الحرية.

تصبح أتلانتا تحت الحصار. كل الذكور تقريبا في الجيش. تقرر سكارليت العودة إلى مزرعة تارا، لكن ميلاني تناشدها عدم تركها. مرة أخرى، يخبرها بتلر، بأنه يتوق إليها منذ اللقاء الأول.

عندما سألته سكارليت عما إذا كان قد عقد العزم على خطبتها، أجاب بأنه ليس من بين أولئك الذين يتزوجون، ثم دعاها علنا إلى أن تصبح عشيقته. وكما يحدث في معظم المقابلات مع بتلر، انتهت المقابلة بمشاجرة، وطرده من المنزل.

في خضم معركة أتلانتا، تبدأ ميلاني تعاني آلام المخاض. كل محاولات سكارليت لجلب طبيب، قد باءت بالفشل. جميع الأطباء كانوا يعالجون الجرحى، الذين يزيد عددهم يوما بعد يوم.

بمساعدة الفتاة الزنجية بريسي، قامت سكارليت بمساعدة ميلاني أثناء وضعها ابنا. ثم تقرر سكارليت مغادرة اتلانتا. تريد العودة إلى مزرعة تارا. يساعدها ريت بتلر، هي وميلاني على مغادرة أتلانتا، التي أوشكت على السقوط في أيدي الشماليين. لكنه يرفض أن يذهب معهما إلى تارا. ويذكر أنه قرر الذهاب مع ربقة المدافعين عن أتلانتا والاستمرار معهم في المقاومة.

هذا الخبر فاجأ سكارليت. قالت إنها لا تستطيع أن تفهم لماذا ريت بتلر المتشكك دائما في عدالة قضية الجنوب، فجأة يقرر حمل السلاح. كما أنها فوجئت أيضا بتركها والتخلي عنها عندما كانت عاجزة وفي أمس الحاجة إليه.

على هذا يجيب ريت بأنها ليست عاجزة، وبالنسبة للأسباب التي دفعته للانضمام الى الجيش، قال انه هو نفسه لا يعرف أسبابها. ولا يدري هل هي عاطفية أم بسبب الشعور بالخزي لكونه بعيدا عن الواجب الوطني وتفضيله لكسب المال بتوريد السلع.

لم تصدق سكارليت هذه الكلمات. يبدو أنه، كحاله دائما، يسخر بعض الشيء. ولكن لا شيء تستطيع أن تفعله، وعليها الذهاب إلى تارا مع ابنها، وخادمة وميلاني حديثة الوضع والعاجزة عن الحركة وابن ميلاني الرضيع. الطريق صعب وخطير، لكنهم وصلوا إلى تارا سالمين.

لم تجني العودة أية بهجة أو سرور. الفوضى والدمار ينتشر في كل مكان. مخازن الأسمدة حرقت بالكامل. مزرعة تارا كانت أكثر حظا. فالمنزل سليم. كان يستخدم مركز عمليات للشماليين. لكن تم نهب محتوياته وفرشه. علاوة على ذلك، لم تنتظر والدة سكارليت ابنتها. فقد ماتت من التيفوس. وفاة أمها أضرت بأبيها جيرالد، وأفقدته عقله.

لم تستسلم سكارليت، وقررت أن تفعل أي شيء لإنقاذ مزرعة تارا من الانهيار الكامل. فجأة، دخل المنزل جندي شمالي، قرر نهب محتويات المنزل والاستيلاء على ما يمكنه حمله. لكنه قلل من شأن سكارليت، التي أطلقت النار عليه فأردته قتيلا.

الحياة في المزارع الجنوبية أصبحت صعبة للغاية. الشماليون ينهبون القليل الذي تبقى. لم يكفهم هذا، بل قاموا بإضرام النيران في المنزل، ولم تتمكن سوى الجهود اليائسة للأفراد المقيمين من إخماد الحريق.

ثم يستسلم جيش الجنوب. ويرسل آشلي رسالة تفيد بقرب عودته. لا تستطيع كلا من ميلاني وسكارليت الانتظار. لمسافة بعد المنزل، يمتد رهط من الجنود العائدين إلى ديارهم من معسكرات أسرى الحرب. أخيرا، يظهر آشلي، وتكون ميلاني أول من يستقبله.

بعد انتهاء الحرب، لم تكن الحياة سهلة. مزرعة تارا تخضع لضرائب كبيرة. وإذا لم يتم السداد، فقد تفقد الأسرة ملكية المزرعة. تذهب سكارليت إلى آشلي للمساعدة، لكنه يعترف بصراحة انه لا يعرف ما يجب القيام به. فتدعوه سكارليت لترك كل شيء والذهاب معها إلى مكان ما في المكسيك، لكن آشلي يرفض، فهو لا يمكنه أن يترك زوجته وابنه وحدهما.

هنا تدرك سكارليت أن ريت بتلر فقط، هو الذي في إمكانه مساعدتها. إلا أنه الآن في موقف صعب، ألقت به السلطات الجديدة في السجن، وهو يواجه حبل المشنقة، إن لم يتبرع بجزء كبير من رأس ماله المكتسب خلال سنوات الحصار.

تأتي سكارليت إليه في السجن، إنها تتظاهر بأنها على ما يرام. لكن لا يمكن خداع ريت بتلر.  إنه يفهم أنها قد أتت إليه من أجل المال. فتعترف سكارليت مجبرة على أنها حقا بحاجة لثلاثمائة دولار، من أجل تسديد ضرائب مزرعة تارا.

في مقابل ذلك، هي مستعدة لكي تصبح عشيقته.  لكنه رفضها، معتقدا أنها لا تهتم إلا بأمواله، ثم نصحها بتهكم أن تظهر في المرة القادمة المزيد من الحرارة عندما تطلب من أي رجل بعض المال.

إلا أن هذا ما قد فعلته بالضبط. فعندما علمت أن فرانك كينيدي الذي يمتلك بعض النقود، قد وقع في حب شقيقتها الصغرى، سرعان ما أطلقت سحر أنوثتها وأوقعته في حبالها لكي تصبح السيدة كيندي زوجته. بذلك يتم إنقاذ مزرعة تارا من الضياع. هذا لم يزعج سكارليت بالمرة، حتى لو كان على حساب سعادة شقيقتها الصغرى. فالمزرعة أهم.

بدأت سكارليت في العمل بكل طاقتها.  انها الآن تدير متجر فرانك زوجها، تقترض الأموال، وتشتري ورشة أخشاب، ثم ورشة ثانية وتديرها بسلاسة.

هنا تتكون الثروة، لكن في نفس الوقت، يتم تأليب الرأي العام في أتلانتا ضدها. فليس من المعتاد لسيدة القيام بأعمال تجارية. ومع ذلك، يؤكد لها ريت بتلر، أنها نتيجة حتمية للخيارات التي اتخذتها. فالمال والنجاح يؤديان إلى الوحدة.

يموت جيرالد والدها. ثم تعلم سكارليت عن نية آشلي للذهاب إلى نيويورك. لقد وعد بوظيفة في البنك. تحاول سكارليت إقناعه بالبقاء، وعرضت عليه العمل في ورشة الأخشاب ونصف العائدات. لكنه رفض. وبعد ضغوط من زوجته ميلاني، يقبل عرض سكارليت.

لكي تصبح ورشة أخشاب سكارليت مربحة، بدأت في استخدام العمالة الرخيصة من السجناء. فهي الطريقة الوحيدة لتحقيق الربح. لكن الورشة التي يديرها آشلي، لا تحقق أرباحا. فهو يرفض رفضا قاطعا استخدام المساجين.

في الوقت نفسه، ردا على المضايقات المستمرة من القادمين من الشمال للعمل في الجنوب، والعبيد السابقين، تم إنشاء جمعية كو كللوكس كلان. التي أصبح من أعضائها الناشطين فرانك كينيدي وآشلي.

لكن السلطات، لم تدخر جهدا لوضع حد لأنشطة هذه المنظمة السرية، وتمكنت من استدراج النشطاء إلى الفخ. فقط بعد التدخل في الوقت

المناسب من بتلر، يتم إنقاذ حياة وحرية آشلي. لكن فرانك كيندي كان أقل حظا، وتصبح سكارليت مرة أخرى أرملة.

بعد ذلك، يتقدم ريت بتلر لها، وتوافق. يذهبان إلى نيو أورلينز، ثم يعودان إلى أتلانتا، حيث انتقلا إلى منزل جديد. من بين أصدقائهما عدد كبير من رجال الأعمال، والقادمون من الشمال للتجارة والعمل. ليس من بينهم تجار الجنوب.

تلد سكارليت بنتا، يحبها ريت بجنون. ثم تعرب سكارليت بقوة عن عدم رغبتها في المزيد من الأطفال. هذه هي بداية الأزمة في العلاقة مع زوجها. يقضي ريت المزيد من الوقت بعيدا عن المنزل وغالبا ما يعود وهو في حالة سكر.

عند اقتراب عيد ميلاد آشلي، تقوم ميلاني بترتيب حفل للمدعوين. في عشية الحفل، تقابل سكارليت آشلي في مكتبه، ويستعيدا ذكريات الأيام القديمة. لقد كانت مقابلة حزينة. عرفت سكارليت الكثير عن الشخص الذي تحبه. ما تراه الآن وتحس به يغرقها في الحزن. آشلي غارق في الماضي، لا يستطيع منه فكاكا، ولا يقدر على النظر للمستقبل والتأقلم معه.

ذكريات وآمال ما قبل الحرب، سببت لها الدموع. آشلي يحاول مواساتها، ثم يعانقها. أثناء ذلك، يشاهدهما غرباء. وقريبا تصل الأخبار إلى ميلاني وريت. سكارليت ترفض الذهاب إلى الحفل، لكن ريت زوجها يجعلها تذهب بالقوة.

ومع ذلك، ميلاني، وحدها من بين كل نساء اتلانتا، لا تصدق الإشاعات، وتقابل سكارليت بنفس الدفء. عند عودته إلى المنزل، يعطي ريت غيرته إجازة، ويأخذ زوجته إلى السرير بعد طول انقطاع.

تستيقظ سكارليت مع شعور سعيد بأن ريت يحبها، ولكنها تكتشف أنه ليس معها في السرير، ولا حتى في المنزل. عاد في اليوم التالي، لكي يخبرها أنه قد قضى وقتا طيبا خارج المنزل.

ثم يغادر ريت البيت لمدة ثلاثة أشهر، وعندما يعود، تخبره سكارليت بأنها حامل. ينتقدها ريت ويسيء لها بسبب غيرته الشديدة. ثم يندلع شجار، ينتهي بكارثة.

تسقط سكارليت على الدرج، وتجهض حملها. ثم تعود الحياة إلى الشجار والغم. لكن ينشغل ريت بالسياسة، ومساعدة الديمقراطيين الجنوبيين لكي يفوزوا على الجمهوريين، بدعم من الشمال.

بعد ذلك، غرقت الأسرة في سوء حظ آخر. ابنة ريت الصغيرة المفضلة بوني تسقط من حصانها وتموت. العلاقة بين الزوجين تصبح جافة رسمية غير محتملة. سكارليت لديها المال، وهو لديه الممتلكات، ولكن ليس هناك سعادة على الإطلاق.

تترك سكارليت اتلانتا. لكن برقية من ريت يحثها على العودة على الفور. لأن ميلاني تموت. لقد منعها الأطباء من الحمل والولادة، لكنها تجاهلت حظرهم. أرادت أن تعطي آشلي طفلا آخر.

على فراش الموت، تطلب من سكارليت أن تعتني بابنها وآشلي، لأنه "غير عملي للغاية". وتطلب من سكارليت أيضا أن تكون لطيفة مع ريت زوجها، لأنه يحبها جدا.

الآن، بعد غياب ميلاني، أدركت سكارليت كم هي وحيدة، وكم كانت تلك المرأة بالنسبة لها. ثم تكتشف شيئا آخر، يبدو أنها لم تحب آشلي قط، بل تحلم برجل قوي مرن، وهو ما لم تجده في آشلي مؤخرا. إنه متعب غير آمن، كل قوته العقلية يبددها على تقبل الهزيمة بنفس راضية.

أصبحت تدرك سكارليت كم يعني ريت لها، وكم كانت تحبه وهي لا تدري. انها حريصة الآن على أن تخبره بذلك بسرعة. لكنها لم تكن تعلم بخيبة الأمل التي تنتظرها.

استمع ريت بهدوء إلى اعترافها وقال إنه هو الآخر لديه ما يقوله. فحبه لها قد تلاشى تماما، كما تلاشى حبها لآشلي. ويعترف ريت بتلر بأنه قد أحبها من أول نظرة، ولم يستطع أن يطردها من أحلامه كلما حاول ذلك.

قال إنه لم يفقد الأمل عاجلا أم آجلا، وقال إنها سوف تقدر مشاعره يوما ما، وتفهم مدى ملاءمتهما لبعض، لكن كل جهوده لجلب حب سكارليت له ذهب هباء.

ثم يعلن ريت عزمه على ترك البيت لفترة طويلة، ربما، لإنجلترا ويعد بالعودة من وقت لآخر من أجل عدم إعطاء سبب كبير للشائعات والقيل والقال.

ثم تسأل سكارليت بيأس: "وماذا عني؟" أجاب ريت بحسرة:

"بصراحة يا عزيزتي، أنا لا أهتم البتة".

تفكر سكارليت بصوت عال وتقول بإنه أمر صعب للغاية، لكن طبيعتها القوية ترفض الاعتراف بالهزيمة. سكارليت مقتنعة بأن هذا ليس نهاية المطاف. فهي لا تستطيع التفكير الآن في أي شيء يستطيع أن يرجع ريت إليها. لكن غدا، يوم آخر، سوف تجد فيه بالتأكيد مخرجا.

ملاحظات على الرواية:

لقد كان شكسبير على حق. فمسار الحب الحقيقي ليس سلسا. فالأمر لا يستغرق كل هذا الوقت لشخصيتين، لكي يدركا بعد فوات الأوان أنه كان بينهما حب حقيقي.

النص الكامل غير المختصر من رواية "ذهب مع الريح"، يقع فيما يقرب من نصف مليون كلمة. استغرق تأليفها عشر سنوات.  ضاعت معظمها في

مطاردة آشلي. لم تكتشف الحب الحقيقي إلا قبل دائق معدودة من تخلي ريت بتلر عنها.

هذه حقا مأساة كل فتاة وفتى، حينما تجري أو يجري وراء سراب خادع ويغفل من يحبه حبا حقيقيا. المثل الشعبي يقول "مراية الحب عمياء". ولا أدري ماذا كانت تريد سكارليت من آشلي، وكيف لم تكتشف حقيقته، وتقبل صده ومعاملته لها بجفاء في كل مرة تفاتحه فيها؟

رواية ذهب مع الريح، هي رواية رومانسية. هي كذلك، تبين التغييرات التي اجتاحت الجنوب الأميركي أثناء الحرب الأهلية. تبدأ أحداث الرواية عام 1861، في الأيام التي سبقت الحرب الأهلية، وتنتهي عام 1871، بعد استعادة الديمقراطيين للسلطة في جورجيا.

عندما يخسر الجنوب الحرب ويتم تحرير العبيد، يشتد الصراع الداخلي. فالرجال البيض يخشون الرجال السود، والجنوبيون يكرهون التربح أو الهيمنة على أيدي الشماليين، والأرستقراطيين الفقراء يستاؤون من الأغنياء الجدد.

تجسد شخصيات الرواية الرئيسية الدوافع المتضاربة للجنوب. آشلي يمثل الجنوب القديم غير القادر على التغيير. يضعف ويتلاشى يوما بعد يوم.

ريت، من ناحية أخرى، يمثل الانتهازية الواقعية. يزدهر من خلال وضع قدم واحدة في الجنوب القديم وقدم وأخرى في الشمال.

تتمكن سكارليت من التغلب على الشدائد من خلال إرادتها الحديدية. تظهر كبطلة تعتمد على نفسها وحدها، وتنجو من الحرب الأهلية، ثم تعيد إعمار المزرعة دون مساعدة من أحد. تقوم برعاية أفراد أسرتها ومساعدة أصدقائها على طول الطريق.

تشير مؤلفة الرواية، مارجريت ميتشل، إلى أن التغلب على الشدائد يتطلب في بعض الأحيان القسوة. سكارليت تصبح سيدة أعمال قاسية وزوجة مسيطرة، خشنة عن طيب خاطر، من أجل النجاح.

شخصيات أخرى تنجح من خلال ممارسة قوة الإرادة، من بينها مدام فونتين، التي شاهدت الهنود تنزع فروة رأس عائلتها بأكملها عندما كانت طفلة، ومع هذا لم تنهار، بل عملت وكونت أسرة لها وأنشأت مزرعة خاصة بها.

في الفصل الثاني، يقول جيرالد لسكارليت "الأرض هي الشيء الوحيد في العالم الذي يعلو فوق أي شيء". وفي المواقف والمنعطفات الحرجة، تذكرنا سكارليت عادة بأن الأرض وبالخصوص مزرعة تارا، هي كل ما يهمها في الأمر.

عندما هربت سكارليت إلى تارا من أتلانتا خلال الحرب، وقعت وهي مريضة وضعيفة في حديقة مجاورة، فشعرت بأن الأرض تحت خدها، لينة ومريحة كوسادة.

بعد الشعور بالراحة وهي مستلقية على الأرض، قالت إنها مصممة على التطلع إلى الأمام ومواصلة النضال بقوة. وكأن الأرض هي مصدر هذه القوة.

عندما رفض آشلي علاقة سكارليت المقترحة، أعطاها قطعة أرض، وهو يذكرها بأنها تحب مزرعة تارا أكثر مما تحبه. تلمس سكارليت التراب بيدها، وتدرك أن آشلي على حق. في نهاية الرواية، عندما يضيع كل شيء منها، تفكر سكارليت في مزرعة تارا، فتجد السلوى والقوة والراحة لوجودها الدائم بجوارها.

الفيلم:

"ذهب مع الريح" هو فيلم ملحمي أمريكي. أنتج عام 1939، وكان أحد أفضل الأفلام المعروفة والأكثر نجاحا في كل العصور.

استمر أكثر من 30 عاما بطل شباك تذاكر في هوليوود على الإطلاق. فاز بثماني جوائز أوسكار، بالإضافة إلى جائزتين فخريتين. استنادا إلى الرواية الأكثر مبيعا 1936، "ذهب مع الريح" من تأليف مارجريت ميتشل. الفيلم طويل جدا، ما يقرب من أربع ساعات، ويتضمن استراحة في المنتصف.

قامت بدور سكارليت أوهارا، فيفيان لي.

وبدور آشلي ويلكس، ليزلي هوارد.

وبدور ريت بتلر، كلارك جيبل.

منتج الفيلم، ديفيد سلزنك، اشترى حقوق الفيلم بعد شهر من نشر رواية ميتشل. تضمنت عدة أدوار في الفيلم - لا سيما دور سكارليت. عمليات بحث مطولة وأساتذة في عقد الصفقات.

خمسة مخرجين و13 كاتب سيناريو، كدحوا لإحياء الملحمة. استغرق تصوير الفيلم 140 يوما. المشهد الشهير "حرق اتلانتا"، تتطلب إشعال النار في 30 فدان.

ثلاثة أيام احتفالات للعرض الأول للفيلم في أتلانتا. *ذهب مع الريح* كان أول فيلم ملون يفوز بجائزة الأوسكار لأفضل فيلم، وكانت هاتي مكدانيل، هي أول أميركية من أصل أفريقي يتم ترشيحها لجائزة الأوسكار والفوز بها. قامت بدور مامي.

ريت بتلر

ريت بتلر، هو رجل أكبر سنا من سكارليت في أحداث الرواية. يصور على أنه سريع البديهة. كون ثروته أثناء حصار الشماليين للجنوب. إنه من تشارلستون، لذا فهو يفهم عادات الجنوب القديم.

يعتقد أن الحياة بهذه الطريقة على وشك الانتهاء. لديه سمعة سيئة. عندما احتاجت سكارليت إليه للمساعدة في دفع الضرائب العقارية على تارا، طلب منها أن يصبح زوجها الثالث.

وقع في حب سكارليت منذ بداية الرواية. كبريائه وغيرته لم تجعلانه يقبل سلوك سكارليت وحبها لآشلي. لكن السؤال، لماذا تزوجها وهو يعرف أنها لا تحبه، وإنما تحب آشلي؟

ربما لطمعه في ثروتها، أو على أمل أنها سترجع إليه، لأنه متأكد من عدم حب آشلي لها. أو لكي ينالها بعد أن وجدها عصية عليه. أو لهذه الأسباب مجتمعة.

آشلي:

يمثل آشلي ويلكس طبقة الجنوبيين المثقفين. في بداية الحب، يلبي آشلي نداء الواجب. واجبه اتجاه عائلته وحكومة الجنوب. هو الوحيد الذي لم يتحمس للذهاب للحرب. إنه واقعي وعقلاني. يعود إلى المنزل من الحرب، بعد أن رأى كميات هائلة من الموت، ليندم على عدم زواجه من سكارليت.

لقد غيرته الحرب وأنهكته المذابح، إلى الدرجة التي أصبح بعدها مجرد قشرة لما قد كان هو نفسه. لا يزال ملتزما بقيمه، ومستعدا للموت في سبيلها. إنه خير مثال للجنوب المنهزم.

ميلاني:

ميلاني هي ربما واحدة من أقوى الشخصيات في الرواية. إنها زوجة آشلي، وهي تمثل أيضا مصير الجنوب. قبل الحرب، تثير غيرة سكارليت.  يختارها آشلي زوجة له بدلا من سكارليت. تمثل الجنوب القوي المرن. تتوطد صلتها ب سكارليت أثناء الحرب، وتصبح خير صديقة لها.

مامي:

مامي هي عبدة سوداء أكبر الخدم سنا في عائلة أوهارا لأجيال. هي خادمة وممرضة لوالدة سكارليت، ومن أبرز العبيد الذين جاءوا في الرواية. يبدو أنها كانت تحظى بمعاملة طيبة من العائلة، جعلتها تظهر سعيدة مهتمة بشيءون باقي الأفراد. لم تتغير شخصيتها بعد الحرب، وتحافظ على تقاليد الجنوب.

# 1984




*ونستون وجوليا*

بطل روايتنا، وينستون سميث، مواطن غلبان من دولة اقيانوسيا. هي إحدى الدول العظمى الثلاث الموجودة في ذلك الوقت. الدولتان الأخريان هما أوراسيا، وشرق آسيا.

نحن الآن في عام 1984م، الرواية كتبت عام 1948م. أي إنها تتنبأ بما قد يكون عليه الحال في المستقبل. وينستون يعيش في مقاطعة إيرستريب (انجلترا سابقا). هو عضو في الحزب الحاكم الذي يحكم اقيانوسيا بنظام اشتراكي يسمى "انجسوك"، أي "الاشتراكية الانجليزية".

داخل الحزب، الصفوة هي التي تحكم بنظام هرمي. الباقي أعضاء عاديون. خارج الحزب، نجد عامة الشعب والبسطاء من الناس. يعيشون في فقر مدقع، لكنهم في حل من التزامات الحزب وتعليماته الملزمة للأعضاء.

رئيس الحزب هو "الأخ الأكبر". صوره الضخمة الموجودة في كل مكان في لندن، تبين شعره الاسود الداكن وشاربه الكثيف. بعض الصور تكون مصحوبة بجملة "الأخ الأكبر يراقبك". الحزب يتبنى ثلاث شعارات، هي: "الحرب سلام"، "الحرية عبودية"، الجهل قوة".

أثناء الثورة على الرأسمالية والتحول الاشتراكي في اقيانوسيا، فقد وينستون أبويه وأخته الصغيرة. لذلك وضع في ملجأ للأيتام وأدمج في نظام الحزب. الآن، هو يعمل في أرشيف وزارة الحقيقة.

وزارة الحقيقة، تختص بالدعاية وكل إصدارات الحزب. تقوم أيضا بإصدارات جديدة، تزور فيها التاريخ وتمحو أبطاله إن لزم الأمر، حتى تبدو الأمور على ما يرام. الوزارات الثلاث الأخرى هي: وزارة الحب وتختص بالقانون وشيءون المساجين. وزارة السلام وتختص بالحرب. وزارة الوفرة وتختص بإنتاج أشياء مثل، "سجاير النصر"، "خمور النصر"، "بن النصر"، وهي كلها منتجات في منتهى الرداءة.

لم يكن وينستون في يوم من الأيام مغرما بمبادي حزبه الصارمة، خصوصا تزوير أحداث التاريخ لخدمة أغراض الحزب. هو إنسان بسيط يحب الحياة وممارسة الحب والحرية. لكنه لم يكن يجرؤ على البوح بما يكنه إلى أحد، خوفا من عقوبة الإعدام.

مثل هذا الأفكار تعتبر جرائم فكرية، يعاقب مقترفها بشدة. تؤدي حتما إلى الاعتقال والتعذيب والموت في كثير من الأحيان. في بداية الرواية، نجد وينستون يجلس في شقته المتداعية والتي خصصها له الحزب، لكي يكتب مذكراته.

شقته، مثل باقي شقق أعضاء الحزب، مزودة بشاشة تليفاز تنقل أخبار الحزب ودعايته، كما أنها مزودة بكاميرا وميكروفون، يتيحان لشرطة الفكر مراقبة أعضاء الحزب طول الوقت.

في اقيانوسيا، لا توجد خصوصية. لكن لحسن حظ وينستون، وجد زاوية في شقته بعيدة عن كاميرات المراقبة. في هذه الزاوية، بدأ يكتب مذكراته. لكن للأسف في الرواية، سوف تكتشف شرطة الأفكار أمره وتقبض عليه وتعذبه.

وينستون يدون في مذكراته كل ما يتعلق بحياته وحزبه. ينقل صورا كريهة تنم عن شعور مضاد، واضح أنه غير مقتنع بمبادئ الحزب. عندما سمع قرعا على الباب الخارجي لشقته، أصيب بالهلع ظانا أنه قد تم كشف أمره.

لكن تبين أن جارته السيدة بارسونز، كانت تحتاج إلى مساعدته في تسليك بالوعة المطبخ. يستجيب وينستون لطلب السيدة، ويذهب إلى شقتها فيجد طفلين لها أعضاء في منظمة الشباب والجواسيس بالحزب. يتنبأ وينستون بأن مثل هؤلاء الأطفال سوف يبلغون شرطة الفكر عن آبائهما الأبرياء. يبدو أن مثل هذه المآسي كانت شائعة جدا.

في وزارة الحقيقة، حيث يعمل وينستون، يجد نفسه محاطا بأعضاء الحزب الأوفياء. هذا يمنع أفكاره من الانتشار. يتعرض هو ورفاقه يوميا إلى فترة دعاية مدتها دقيقتان. بهدف تأكيد الكراهية ضد أعداء اقيانوسيا، وهما دولة أوراسيا، وزعيم المعارضة إيمانويل جولدشتاين.

تتملك وينستون رغبة جامحة لمعرفة أسرار الماضي المحجوبة عنه وعن رفاقه. يعتقد أن هذه الأسرار سوف يجدها بين عامة الناس في الشوارع. لأن هناك قد يوجد أمل في تغيير هذه الأوضاع.

يقابل رجلا عجوزا من عامة الشعب. عند التحدث معه، يكتشف أن جل اهتمامه هو مشاكله الشخصية. ما يشغل بال وينستون لا يعنيه في شيء. ثم يذهب إلى متجر الخردة المعتاد زيارته، المملوك للسيد تشارينتون.

يرى في مكان العمل امرأة بشعر أسود فاحم كانت تراقبه، يعتقد أنها من شرطة الفكر. إلا أنها في يوم من الأيام، تدس له قصاصة ورق مكتوبا عليها بخط اليد "أنا أحبك". يدهش وينستون ويتحمس، لأنه كان يتشوق لقيام علاقة عاطفية بينهما.

أي علاقة بين رجل وامرأة من هذا النوع، يجب أن تكون سرية للغاية. لأن الحزب يجرم أي علاقة عاطفية بين أعضائه. جهود الأعضاء يجب أن توجه إلى خدمة الحزب، لا أن تبدد في تبادل العواطف.

الزواج يتم بأوامر خاصة من الحزب. لقد مر وينستون بتجربة زواج فاشلة من هذا النوع. زوجته السابقة، كاثرين، كانت باردة شديدة الولاء للحزب، تحتقر الجنس وتعتبره من الأعمال الخسيسة الضرورية لإنجاب الأطفال بعد ترتيبات معينة.

بحذر شديد، يتقابل الحبيبان، وينستون وجوليا، بعيدا عن أعين الرقباء. خارج المدينة هناك في الغابة، حيث يمكن الكلام عن الحزب وتبادل العواطف. تتعدد اللقاءات السرية بينهما في الأماكن العامة، ويزداد الحب اشتعالا.

وينستون يكره الحزب ويعتقد أنه من الممكن الثورة ضده. جوليا تكره الحزب أيضا، لكنها تعلم جيدا أن الحزب مثل القضاء والقدر، لا تستطيع فعل أي شيء ضده.

يعود وينستون إلى متجر الخردة ليستأجر من السيد تشارينتون غرفة علوية، حتى يكون بعيدا عن كاميرات التجسس وأعين الرقباء. يتقابل الحبيبان عدة مرات في الغرفة المفروشة فرشا بسيطا. خارج الشرفة، يجد سيدة متوسطة العمر من عامة الشعب تنشر ملابسها وهي تغني أغنية تافهة من الأغاني التي عملتها وزارة الحقيقة للدهماء.

عضو آخر في الحزب يدخل حياة وينستون، هو أوبراين من وزارة الحقيقة. أوبراين رجل ذكي، يعتقد وينستون أن لديه نفس الشعور المناهض للحزب. يقترب أوبراين أثناء العمل من وينستون. فيعتقد وينستون أنه عضوا في حركة سرية مناوئة للحزب.

يقوم وينستون وجوليا بزيارة أوبراين، العضو المميز في الحزب، في شقته الفاخرة. يجد خادما ويلاحظ أنه يستطيع غلق أجهزة الرقابة والدعاية في شقته متى أراد. ينتقد وينستون الحزب ويقول رأيه بصراحة في الأخ الأكبر. يعطي أوبراين كتاب زعيم المعارضة جولدشتاين إلى وينستون ويطلب منه قراءة بعض الموضوعات.

يذهب وينستون إلى الغرفة المستأجرة ويبدأ في قراءة كتاب زعيم المعارضة جولدشتاين. تصل جوليا فيقرأ لها موضوعات عن تاريخ اقيانوسيا والرأسمالية والدكتاتورية.

عندما يستيقظ وينستون وجوليا، يفاجآن بصوت قادم من الحائط يقول: "أنتما أموات". كانت هناك شاشة تلفاز تراقبهما خلف لوحة معلقة على حائط الغرفة ولا يعلم بها وينستون. لقد تم الوقوع بهما.

في ثوان، اقتحمت شرطة الفكر الغرفة. يتقدمها صاحب متجر الخردة، السيد تشارينجتون. لقد كان عضوا سريا في شرطة الفكر. تم القبض على وينستون وجوليا، وتم تسليمهما إلى وزارة الحب.

في زنزانة السجن، يرى العديد من سجناء الفكر. أحدهم قد أوشت به ابنته عندما سمعته أثناء نومه يقول "يسقط الأخ الأكبر". هذا ما قد توقعه وينستون من قبل. يرى وينستون عنفا شديدا غير مبرر يمارس على النزلاء. يلاحظ أيضا أن الحراس تذكر بصفة دائمة "الغرفة 101"، والتي يثير مجرد سماع اسمها حالة من الذعر غير عادية بين السجناء.

أخيرا يتضح الأمر مع وصول أوبراين إلى الزنزانة. هو لم يكن أبدا عضوا في المعارضة السرية. بل كان طول الوقت عضوا نشطا في وزارة الحب. كانت مجاراته لوينستون مجرد حيلة للإيقاع به.

يتم نقل وينستون إلى غرفة التعذيب. في البداية، كانت طرق التعذيب فظيعة. كان يجبر على الاعتراف بجرائم لم يقترفها، بما في ذلك الاغتيال والتجسس. بعد ذلك خفت حدة التعذيب التي يقوم بها زبانية الجحيم.

يتولى أمر تعذيب وينستون الآن أوبراين نفسه. يبدأ في تحطيمه نفسيا. يوهمه بأن ذاكرته معيبه، وهو مجرد بائس فقد عقله. كان الحديث بينهما، الخاص بالماضي والحقيقة، يبين لنا مفهوم الحزب لمثل هذه الموضوعات.

يعترف أوبراين بأن الحزب يبغي السلطة ولا شيء غير السلطة. أي السلطة من أجل السلطة. هذا هو سبب نجاح الحزب. الحزب دائما على حق. سوف يحكم العالم في يوم من الأيام.

لم يكن في استطاعة وينستون الاعتراض أو المناقشة. كلما حاول ذلك، كان رأيه يسفه وأفكاره تحطم، لأسباب ليس لها علاقة بالمنطق المتعارف عليه. فهو يؤمن بماض غير موجود، ومطارد بذكريات مشوشة.

لكي يبرأ وينستون ويشفى من علته، يجب أن يتغلب على جنونه، وأن ينتصر على عقله. ثم يستمر التعذيب بالصعقات الكهربائية وبالضرب والتجويع. يجبر أوبراين وينستون على قبول 2+2=5 ، إذا أراد الحزب ذلك. ذلك لأن وينستون كتب في مذكراته من قبل أن الحرية هي أنك تستطيع البوح بأن 2+2=4.

بعد محاولته النهائية للرد على أوبراين، يقوم الأخير بالسماح له بالنظر في المرآة. وينستون يتخطى حدود الرعب وهو يرى نفسه قد تحول إلى هيكل عظمي مغطى بجلد آدمي. وجهه الآن لا يشبه وجهه السابق الذي يعرفه.

لقد تم تحطيم وينستون حتى النخاع. هو الآن مستعد لإعادة التأهيل. توقف صعقه بالكهرباء وضربه المتواصل. الآن يسمح له بالنوم وتقدم له وجبات غذائية. بدأ يستعيد عافيته بعض الشيء.

مع التعذيب، يتقبل وينستون الحزب كحقيقة مؤكدة. لكنه لا يزال يحتجز شيئا من نفسه وإنسانيته. حبه لجوليا. هذا جاء عندما كان نائما. صرخ بأعلى صوته وهو يحلم قائلا: "جوليا! جوليا! جوليا! حبيبتي".

لكي يكسر أوبراين ما تبقى لدى وينستون من إنسانية، عليه أن يجعله ينسى جوليا. نقله إلى الغرفة المرعبة 101. يوجد بالغرفة أسوأ شيء في العالم. جهاز تعذيب كان مستخدما في الصين قديما.

جلس وينستون مربوطا على كرسي. ثم وضع على رأسه قناع زجاجي متصل بخرطوم في نهايته إناء زجاجي به فئران كبيرة جائعة. إذا تركت، فإنها لن تجد شيئا تأكله سوى وجه وينستون ورأسه وهو حي.

لم يستطع وينستون تحمل هذا. لم تطل مقاومته كثيرا. صرخ من أعماقه مستنجدا ب أوبراين، لكي يضع شخصا آخر بدلا منه في الجهاز، حتى لو كان جوليا حبيبته. هنا تم المطلوب، لقد نجح أوبراين وتخلى وينستون عن الشيء

الأخير الذي يربطه بالإنسانية. لقد تخلى عن حبه لجوليا.

وينستون، الآن كائن آخر غير الذي كان، محطم النفس والروح والبدن ، عبارة عن صورة أو قشرة أو هيكل إنسان، خاوي من الداخل. تم الإفراج عنه لكي يعيش حياة جديدة ويصبح عضوا في هذا العالم الظالم الذي نعيش فيه.

في حياته الجديدة، يقابل جوليا مرة بالصدفة، لكن عاطفة الحب بينهما، قد ماتت ولم تعد موجودة. التعذيب جعل كل منهما يتخلى عن إنسانيته وعن حبه للآخر. لا أمل في عودتهما لهذه العلاقة ثانية.

يحصل وينستون على وظيفة تافهة بأجر معقول. يقضي وقته في "كفي شوب" يحتسي الخمر ويلعب الشطرنج ويتابع أخبار الحرب مع أوراسيا. ثم تأتي الأخبار بغير ما يرتجى بانتصار اقلانوسيا. لقد ضاع آخر أمل في تغيير الوضع. يتيقن وينستون والدموع تنهمر من عينيه بأنه قد تم تأهيله بالكامل لكي يصبح مواطنا صالحا في اقيانوسيا. إنه الآن يحب "الأخ الأكبر".

.

# زوجات ستيبفورد
# صرخة ضد عبودية الرجل للمرأة



*كاثرين روس في دور جوانا*

ينتقل والتر ايبرهارتز المحامي، وزوجته الشابة جوانا، وطفلاهما من مدينة نيويورك إلى بلدة ستيبفورد في ولاية كونيكتيكت.  هناك يجدون جميع النساء جميلات، لكن مهووسات بالأعمال المنزلية.

جوانا أم وربة منزل، إلا أنها تستمتع بالتصوير الفوتوغرافي كهواية وتسعى إلى تحويله إلى مهنة. عندما تصل إلى مكانها الجديد، تتعرف بجارتها بوبي التي انتقلت حديثا هي الأخرى مع زوجها إلى نفس الحي. رحبت جوانا بجارتها ونشأت بينهما صداقة سريعة. ثم أخبرتها جوانا بأنها تريدها أن تكتب في الصحيفة المحلية لكي تتعرف على قادة الحركة النسائية.

في بلدة ستيبفورد، ينضم والتر زوج جوانا ويصبح عضوا في جمعية للرجال فقط. بعد ذلك، تتحدث جوانا إلى الجمعية عندما يعقدون اجتماعا في منزلها. أثناء الاجتماع، يقوم أحد الأعضاء برسم وجه جوانا ويركز على عينيها، وهي تعتقد أنه مجرد عمل فني. كما تلاحظ جوانا أن الأعضاء وزوجها قاموا على غير العادة بزيارة غرفة نومها الخاصة، ومكثوا فيها مدة أطول من الازم.

تقترح جوانا عقد اجتماع لأولياء أمور الطلبة في أحد الصالات الرياضية. حتى تكون فرصة لخروج العائلات من منازلهم للتعارف والتحدث مع بعضهم البعض. لكن للأسف مثل هذه الاجتماعات، لم يحضرها إلا عدد قليل. 12 رجلا وتسع نساء فقط. ثم تقترح جوانا إنشاء جمعية نسائية بالبلدة، بهدف عقد اجتماعات دورية لإذكاء روح الحركة النسائية.

تلاحظ جوانا وبوبي أن بعض الزوجات يعملن على إرضاء أزواجهن جنسيا، ويتمادين في خدمته وإسعاده بطريقة غير عادية، ويفضلن الأعمال المنزلية ونظافة البيت المبالغ فيها، على إقامة صداقات معهما أو ممارسة أي نوع من الهوايات أو حتى مجرد المقابلة للدردشة وسماع الموسيقى.

بعد قراءة مقال صحفي قديم تبين أن العديد من نساء ستيبفورد كن مهنيات وناشطات سياسياً واجتماعيا. خلصت جوانا وبوبي إلى أن شيئاً ما غير طبيعي يجري في هذه البلدة. هذا الشيء هو الذي حولهن عما كن عليه. ثم أصبحت، جوانا وبوبي، متأكدتين من هذا عندما تحولت صديقتهما شارمين بشكل غير متوقع إلى امرأة مستكينة، تعبد زوجها وتكرس حياتها لراحته وإسعاده، وتقضي جل وقتها في نظافة بيتها وترتيب أدواتها المنزلية بطريقة غير سوية.

أحد الزوجات، بعد حادث تصادم سيارة خفيف، تبدأ في التصرف بشكل غريب. وبدلا من أن تُنقل إلى أقرب مستشفى، تأخذها عربة خاصة إلى مكان بعيد.

شكّت جوانا وبوبي في تلوث البيئة والمياه، لكنهما بعد استشارة صديق سابق كيميائي لجوانا، تبين أن المياه صالحة للشرب، لا غبار عليها وليست ملوثة، والبيئة ليس بها إشعاع من أي نوع يدعو للقلق.

أخيراً، تتأكد جوانا أن جمعية الرجال بالبلدة هي المسؤولة عما يحدث. فقد تبين أنها هي التي تقف وراء مؤامرة تغيير النساء بطريقة ما، مع مساعدة دايل كوبا، المصمم السابق للشخصيات المتحركة في ديزني لاند. الرجال يقتلون زوجاتهم، ثم يقومون باستبدال أجسادهن ب روبوتات مبرمجة تشبههن في الشكل.

تعود جوانا إلى بيتها وهي في حالة يرثى لها، فلا تجد طفليها. تتشاجر مع زوجها وتضربه على رأسه بعمود حديد المدفأة وتحاول العثور عليهما. تفترض أنهما في رعاية صديقتها بوبي. تذهب إلى بيت بوبي فتكتشف أنها قد تحولت هي الأخرى إلى روبوت.

تقدمت جوانا نحو بوبي وهي واقفة بجانب حوض المطبخ وفي يدها سكين. إنسية المظهر، البشرة، العينان، الشعر، اليدان وارتفاع وهبوط الصدر. إنها لا يمكن أن تكون روبوتا. هي تنكر ذلك بشدة. تجرح جوانا نفسها بالسكين فيسيل من اصبعها الدم حتى تتأكد أنها لا تزال إنسية، وتطلب من بوبي فعل نفس الشيء، لكن تتردد بوبي.

هنا تدرك جوانا أن بوبي ما هي إلا روبوت. عندما طعنتها بسكين المطبخ، لم تنزف دما ولم تتألم. أخرجت السكين من جسمها ببساطة، واستمرت في تقديم القهوة لضيفتها.  لكنها أخذت تعاتبها بجملة "كيف تفعلين ذلك"، بتكرار آلي وهي تسقط فناجيل القهوة من يدها على أرض المطبخ لتتكسر.

أصبحت جوانا واثقة أنها ستكون الضحية التالية. لذا تسللت إلى مكان جمعية الرجال للبحث عن طفليها. هناك، وجدت العقل المدبر للعملية برمتها، دايل كوبا، والمعروف ب "ديز" اختصارا لكلمة ديزني.

يقود ديز جوانا إلى غرفة نوم. هناك تلتقي ببديلتها الروبوت الجميلة. كما أنها تجد كلبها الذي فقدته قبل أيام. الكلب هنا يمثل ما يتوقعه الرجل من المرأة. الرجل يريد من المرأة أن تكون مثل الكلب. أي تكون أفضل الأصدقاء، مدربة، مخلصة، منقادة، مطيعة، مخلصة وحاضرة دائما. وتهز ذيلها عندما تراه، إن كان لها ذيل.

تقابل جوانا بديلتها، فتجدها جالسة على طاولة خلع الملابس. عندما تقف، نجد أنها ليست بالضبط في شكل جوانا. بل هي نسخة معدلة أجمل. ثدييها أكبر، خصرها أضيق، أوراكها وأردافها أضخم، تصلح موديل لمجلة البلاي بوي. ثم تتقدم الروبوت لكي تخنق جوانا الإنسية بفردة جورب حريمي، وهي مستسلمة لقدرها بدون مقاومة تذكر.

وتنتهي الرواية بمحادثة لشبيهي جوانا وبوبي في السوبر ماركت. بوبي تسأل جوانا كيف الحال، وجوانا تبتسم وتبدو رائعة وهي تجيب: كله على ما يرام.

ملاحظات على الرواية والفيلم:

"زوجات ستيبفورد" رواية مصنفة خيال علمي كتبها إيرا ليفين عام 1972. هو نفسه مؤلف رواية "طفل روز ماري". عن حكاية امرأة تشك في ربات بيوت بلدة ستيبفورد بولاية كونيكتيكت، وتظن أنهن مجرد روبوتات من صنع أزواجهن.

أنتجت الرواية فيلمين سينمائيين بعد تعديل طفيف، عامي 1975 و2004، بنفس العنوان. ثم تم إنتاجها مسلسل تليفزيوني من ثلاثة أجزاء فيما بعد. هي رواية تساهم في أدبيات الموجة الثانية من الحركة الأمريكية لتحرير المرأة في الستينات والسبعينات. في وقت كان يتميز بإنتاج أفلام الخيال العلمي مثل حرب الكواكب، الثقب الأسود، مغامرة بوسيدون، إلخ.

لقد شاهدت فيلم زوجات ستيبفورد في السبعينيات، وأذكر أن موضوعه قد هزني جدا، وظل عالقا في ذاكرتي مدة طويلة. الفيلم بالرغم من تصنيفه خيال علمي، إلا أنه خالي من مشاهد الرعب أو العنف. شيق جدا ورائع التمثيل والإخراج. قامت بدور جوانا الممثلة القديرة كاثرين روس بأداء منقطع النظير، وبدور بوبي بأداء رائع الممثلة بولا برينتيس.

في الرواية إعجاب ضمني بكفاءة الرجال، ونجاحهم. يقوم دايل كوبا، بسبب خبرته في عالم ديزني لاند، بصناعة دمى متحركة. ثم ينشيء هو وزملاؤه، جمعية من الرجال تقوم باستبدال النساء ب روبوتات مطيعة نموذجية، كما يحلم بهن الرجل. فكيف يكون هؤلاء الرجال المملون البغيضون أذكى من زوجاتهم؟

هي مجرد أحلام الرجل المكبوتة، تذكرنا بعائلة الحاج متولي، وبالحور العين الاثنين والسبعين. وتبين لنا تفسيرا، لماذا يصر الرجل على طمس معالم المرأة بالنقاب، وبسجنها في البيت. وكما جاء على لسان سي السيد في رواية بين القصرين: "المرأة لا تخرج من بيتها إلا مرتين. مرة يوم جوازها، ومرة يوم مماتها".

فهل المرأة تصبح أكثر سعادة عندما تفقد إرادتها وتستسلم للرجل؟ الرواية تترك الإجابة مفتوحة.

رواية زوجات ستيبفورد تصور حالة المرأة في المجتمعات البرجوازية الأبوية. الرواية أو الفيلم الذي يمثلها له رؤية اجتماعية فلسفية. القوة المتزايدة للحركة النسائية ومطالب المرأة بتحسين وضعها الاجتماعي أثارت ردود فعل عنيفة ظهرت في الكثير من الأفلام التجارية، مثل فيلم الأب الروحي وغيره.

بدلا من الثناء على الفيلم لعناصره النسوية الإيجابية، ركز النقاد على الصورة السلبية التي أظهرها الفيلم للرجل. فماذا يريد الرجل من المرأة حقيقة، غير الجنس والعناية بالبيت والأولاد؟

زوجات ستيبفورد، هو فيلم عن المرأة ومستقبلها. الفيلم لا يلجأ إلى مشاهد الرعب النمطية التي تجعل المشاهد يقفز من مقعده مرعوبا وشعره واقف زي الإبر، فهو لا يحتاج إلى تخويفه.  لكنه يدعو إلى معالجة قضايا وأفكار هامة، هي في الواقع مخيفة عندما يفكر فيها الرجل بينه وبين نفسه. الفيلم يعتبر محفز قوي لحل مشاكل المرأة في المجتمعات الذكورية والتي يكبتها عقل الرجل الواعي.

فيلم زوجات ستيبفورد يظهر النساء وقد تحولن إلى مجرد أشياء، إلى روبوتات. بعد أن يقوم أزواجهن بتدميرهن جسديا ونفسيا. وهذا لا يختلف كثيرا عندنا، عندما يصر الرجل على طمس معالم المرأة بالنقاب وسجنها في البيت بحجج نصوص دينية؟

الفيلم يعالج على وجه التحديد دور المرأة في المجتمع المعاصر والهواجس المتعلقة بالتكنولوجيا. فالشر ليس "هناك"، ولكن في ثقافتنا، في مجتمعنا، في وطننا وعائلتنا. في المعتقدات التي تتحكم في حياتنا بدون رحمة أو هوادة.

المؤامرة الأساسية ضد المرأة، تأتي من قبل الرجل. لقد اكتشف في النهاية طريقة للسيطرة على المرأة ومحاربة حركة تحررها. بالتخلص منها بالمرة واستبدالها بروبوتات ليست لها إرادة. هي أقرب ما تكون إلى الجواري بل أسوأ. فالمرأة في شكل روبوت، لم يعد لها وظيفة سوى راحة الرجل وإشباع شبقه الجنسي والعناية ببيته وأطفاله.

يستخدم الرجال مواهبهم العلمية المتنوعة والجماعية على مراحل، للهيمنة الكاملة على كل النساء. المرحلة الأولية تبدأ برسم صورة للمرأة. ثم تكون الرسومات بمثابة مخططات لبناء روبوت يشبه المرأة الأصل.

تاريخياً، التقاط الرجل لصورة المرأة ترسخ هيمنته عليها. الصورة قديما هي الروح. ومن يمتلك الصورة يمتلك الجسد. يمكنه التأثير أو حتى قتل الأصل.

تشك جوانا في سلامة عقلها. تخشى عدم السيطرة على نفسها أو فقد "ذاتها". تدرك أن شخصيتها الجديدة "لن تستطيع التقاط الصور الفوتوغرافية. ومن ثم لن تكون أنا التي تعرفها".

تعلم جوانا أن هوية المرأة وقوتها على المحك. هويتها المبكرة تأتي من حياتها المهنية المزدهرة كمصورة فوتوغرافية. قوتها تكمن في النظر وقنص اللقطة بدلا من أن تخضع لها. هويتها تكمن في أن تكون فاعلا، لا مفعولا به.

المرأة المثقفة تنظر وتحلل، وهذا يشكل تهديداً للنظام بأكمله. التصوير الفوتوغرافي لا يسمح لجوانا بالخروج إلى العالم واستكشافه فقط، بل يمكن أن يمنحها دخلا إضافيا، يجعلها أكثر استقلالية من الرجل.

في الفيلم، في المرحلة الثانية من عملية صنع الروبوت الشبيه، يطلب خبير لغوي من المرأة تسجيل قائمة كلمات، بزعم دراسة اللهجات المحلية. يتم بعد ذلك برمجة الكلمات والتعبيرات المسموح للروبوت باستخدامها.

المرحلة الثالثة للتحول هي بناء نموذجا لغرفة نوم المرأة. عندما قامت جمعية الرجال بجولة في منزل جوانا الجديد، أصبحوا مهتمين جدًا بمفروشات غرفة النوم وألوانها، وظلوا بها فترة أطول مما يسمح به العرف.

التحول النهائي يحدث للمرأة خلال عطلة نهاية الأسبوع، يتبع ذلك شهر عسل آخر في غرفة النوم "الجديدة".

في زوجات ستيبفورد، الرجال يمارسون السيطرة الكاملة تقريبا على الروبوتات. هذه المخلوقات لن تتحرر أبداً، ولن تستعين بالخارج، أو تنتحر، أو تثور على مبدعيها.

فهي ليس لديها إرادة خاصة، ولا تمثل سلطة على أي شيء أو أي شخص. محكوم عليها بتبادل أفكار تافهة ليس لها أهمية. مثل تبادل وصفات طبخ أو طريقة كي الملابس. الروبوتات لن تتحد وتثور لأنها ليس لديها مجتمع تتفاعل داخله.

لا يبقى لها سوى اقتراض الملح والسكر لزوم الطبخ. أحياناً قد تفشل دوائرها الكهربية، لكن بالنسبة للروبوت، الكارثة الكبرى هي إسقاط طبق وكسره في المطبخ. أليست هذه هي حالة شعوبنا حاليا؟

في الرواية أو الفيلم، الروبوت موجود لمتعة الرجل فقط، وليس لخدمة أي هدف علمي أو نبيل. كما يشرح كايل كوبا لجوانا قبل استبدالها بروبوت شبيه، "إذا كان الوضع معكوسًا، ألا تحبين عشيقا مثاليًا يكون شابًا إلى الأبد ومكرسًا تمامًا لك، حتى عندما تكونين كبيرًة في السن ومتجعدًة الوجه؟" وإذا كان للمؤمن 72 جارية، لماذا لا يكون للمؤمنة 72 عبدا؟

# زوربا اليوناني



*زوربا وباسل*

زوربا اليوناني رواية كتبها "نيكوس كازانتزاكيس" (1883-1957م)، ونشرها عام 1946م. من جزيرة كريت. مؤلف وأديب لوذعي. يعتبر الأكثر تأثيرا وعمقا بين أدباء اليونانية الحديثة. رشح لجائزة نوبل في الآداب 9 مرات.

رواياته ومسرحياته ومقالاته الفلسفية لها شهرة عالمية. أفلام رواياته ساهمت في انتشار أفكاره في أنحاء العالم. من بينها فيلم زوربا اليوناني، بطولة أنتوني كوين، الذي أنتج عام 1964م.

بطلي الرواية هما: زوربا اليوناني، مغامر مندفع عمره 65 سنة، وشاب يوناني حالم وشاعر، ملّ عالم الكتب والثقافة، فقرر القيام برحلة إلى قرية بجزيرة كريت. لم يذكر كازانتزاكس اسمه في الرواية، لكن في الفيلم اسمه باسل. سافر الإثنان بالباخرة إلى جزيرة كريت. نمت بينهما صداقة متينة.

كازنتاكيس بحنكة وحرفية أدبية، أثرى الحوار بتساؤلات فلسفية عميقة، عن الخير والشر، والعلاقات الإنسانية، ومعنى الحياة بصفة عامة. خلال شخصية زوربا البسيطة، لكن الغنية فوق الوصف بالعواطف والشهامة والرجولة، بين لنا كازانتزاكيس بطريقة رائعة كيف تكون إنسانا.

تبدأ الرواية عام 1916م في مقهى. هناك قابل باسل الشاب اليوناني زوربا البالغ من العمر 65 عاما. باسل ينوي إعادة تشغيل منجم فحم حجري في جزيرة كريت ورثه عن العائلة. يعرض زوربا نفسه للعمل في خدمة باسل، فيقبل باسل بعد أن وجده شخصية ساحرة.

يخبرنا باسل أثناء الحوار أنه يبغي الهرب من حياة الثقافة والكتب إلى مكان هادئ يعيش فيه بجوار الناس البسطاء. ثم يأخذ زوربا معه ويذهبا بالباخرة إلى جزيرة كريت. زوربا كان أحد المتمردين أثناء ثورة كريت.

نزلا في فندق ريفي بسيط بالقرب من قرية بالجزيرة تملكه أرملة تدعى "مدام هورتنز". في أول يوم، ذهب باسل بمفرده يكتشف معالم القرية، ثم جلس على الشاطئ يقرأ الكوميديا الإلهية لدانتي. يقابله زوربا في منتصف النهار ويعودا إلى الفندق حيث يستأجران غرفتين به.

في نفس اليوم، جاءهما من يخبرهما أنه ليس من اللائق أن ينزلا في فندق تديره أرملة وحيدة، وعرض عليهما مكانا آخر، لكنهما رفضا وذهبا لكي يتناولا الغداء مع مدام هورتنز صاحبة الفندق.

أثناء الغداء، أخبرتهما مدام هورتيز أنها في شبابها كانت تتحكم في الدول الكبرى العالمية الأربعة. عن طريق الأدميرالات الإنجليز والروس والإيطاليين والفرنسيين. بلحاهم الكثة الرائعة وروائحهم النفاذة.

لقد قهرتهم مدام هوتيز بسحرها وجمالها وأقنعتهم بعدم قصف جزيرة كريت. مما جعل زوربا يناديها ب "بوبولينا"، وهو اسم بطلة الاستقلال اليوناني عام 1821م، "لاسكارينا بوبولينا". منذ هذه الليلة، اتخذها زوربا عشيقة له.

في صباح اليوم التالي، تحدث زوربا مع باسل عن النساء والحب، ثم بدأ عمله في منجم الفحم المهجور. باسل مندهش من حماس زوربا ورؤيته الواقعية للأمور. إنه أكبر في السن من باسل، عاصر الكثير من الأحداث وزار العديد من الأماكن والبلدان.

كان يبغي باسل العمل بنفسه في المنجم ملكه، لكن نصحه زوربا بعدم الاختلاط بالعمال، بحجة أن أفكاره الاشتراكية سوف تغري العمال بالطمع. في نهاية اليوم، أقنع باسل نفسه بترك أفكاره الميتافيزيقية العلوية والنزول إلى أرض الواقع للعيش في هذا العالم المادي.

يستمر الحوار بين زوربا وباسل عن الحياة وطبيعة الأديان. يسهر باسل يقرأ مخطوطات بوذية، ويحلم بعالم أفضل. فيخبره زوربا بوجود ثلاث أنواع من الرجال:
الأول، يحول طعامه إلى دهن وسماد للزرع.
الثاني، يحول طعامه إلى عمل وبهجة.
الثالث، يحول طعامه إلى دين.

يقول زوربا أنه يعرف رجلا روسيا، كان التخاطب معه عن طريق الرقص. يود باسل لو يمحو ما لديه من معارف تقليدية، وأن يلحق بمدرسة زوربا لكي يتعلم على يديه أبجدية الحياة الحقيقية. بدأ يشعر باسل بأن عمره قد ضاع هباء، وتمنى أن يصبح مثل زوربا، الذي، رغم بساطته، قد فهم معنى الحياة بصدق.

ذهب باسل مع زوربا أثناء مطر منهمر إلى مقهى. هناك افتتن بأرملة حسناء كان يحبها الشاب الكريتي "بافلي" حبا جنونيا. وكان يردد دوما: "إن لم أتزوجها، سوف أقتل نفسي".

يخبر زوربا باسل أنه يستشف من نظرات الأرملة أنها تريده.  لذلك يجب أن يلبي النداء. لأن أكبر خطيئة يمكن أن يرتكبها الرجل، هي رفضه مشاركة الفراش مع امرأة تناديه. لكن باسل يرفض ويعود كلاهما إلى الفندق حيث يقيمان.

في صباح اليوم التالي، يذهب باسل إلى مكان المنجم لمراقبة سير العمل. أثناء منتصف النهار، يسمع صوتا، فيأمر زوربا كل العمال بالخروج بسرعة من المنجم.  بعد ذلك، ينهار سقف المنجم بالكامل. يتناول باسل الغداء مع زوربا والعمال. أحد العمال يشكر زوربا لأن صياحه على العمال بالخروج، قد أنقذهم من موت محتمل.

يستمر باسل في كتاباته البوذية حتى يبعد صورة الأرملة الجميلة عن خاطره. يستمر زوربا، في نفس الوقت، في حثه على لقائها في ليلة الكريسماس. لكنهما يقضيان ليلة الكريسماس مع مدام هورتنز صاحبة الفندق.

يستيقظ باسل أول أيام السنة الجديدة سعيدا. يسير في أحد طرق القرية. يجد نفسه واقفا أمام بيت الأرملة الحسناء، يفكر فيها ويتخيل أنه معها. يجلس في ظل شجرة لوز مزهرة، ثم يلحق به زوربا.

يذهبا سويا إلى مدام هورتنز، أو بوبولينا، للاحتفال برأس السنة الجديدة. في هذه الليلة، تتذكر بوبولينا أيام الصبا والمدن الكبرى التي زارتها في شبابها.

يستمر زوربا في البحث عن طريقة لإنزال جذوع الأشجار من أعلى الجبل. تعلق جذوع الأشجار في بكر، ينزلق على سلك علوي يمتد من أعلى الجبل إلى أسفله، حيث يوجد المنجم. العمل يجب أن يتم بسرعة، لأن النقود مع باسل مالك المنجم، أوشكت على النفاذ.

يذهب زوربا إلى مدينة كانديا لمدة ثلاثة أيام لشراء ما يلزمه من كابلات وبكر. لكنه يستغرق وقتا أطول. تصل رسالة من زوربا إلى باسل يخبره فيها بأن الأمور على ما يرام. وأنه قد قابل امرأة شابة اسمها لولا، قضى معها وقتا ممتعا. لم يذكر شيئا عن بوبولينا.

يقابل باسل بوبولينا، فتسأله عن زوربا. لم يرد إخبارها بما في الخطاب حتى لا يجرح شعورها. لكنه قال لها بأن الخطاب كله عنها وعن مدى اشتياقه لها ورغبته في الزواج منها عند عودته.

يعود باسل إلى القرية فيلاحظ ضجة هائلة على الشاطئ. يكتشف أن بافلي الشاب، والعاشق الولهان للأرملة الحسناء، قد قتل نفسه غرقا لأنها ترفضه بصفة مستمرة.

بدأ أهل القرية في لعن الأرملة والسخرية منها، والمطالبة بقتلها. يحاول باسل الدفاع عنها متسائلا: كيف تكون هي مسؤولة عن مقتل الشاب؟ في مساء نفس اليوم، ترسل الأرملة سلة برتقال لباسل، تعبيرا عن شكرها له لوقوفه إلى جانبها ودفاعه عنها.

يسعد باسل لعودة زوربا بعد غياب عن القرية استمر إثني عشر يوما. يلوم زوربا باسل لما قاله كذبا لبوبولينا عن مسألة زواج زوربا منها. ويرى أنها قسوة غير محتملة بالنسبة للمرأة.

بعد ذلك، يذهب زوربا وباسل إلى الدير أعلى الجبل، لكي يتفاوضا لشراء غابة الأشجار ملك الدير. عند عودتهما، يقابلان بوبولينا التي تلومه لغيابه عنها هذه المدة. يعتذر زوربا، وفي المساء يعلن خطبته لبوبولينا.

تمرض بوبولينا، فيذهب زوربا لزيارتها. يعود زوربا ليقول أنها مصابة بالبرد، و يذهب للقرية للرقص. يقرر باسل أخيرا زيارة الأرملة الحسناء وقضاء الليلة معها. بعد ذلك، يشعر بحيوية ونشاط فيذهب للاستحمام في البحر.

في اليوم التالي، تطلب بوبولينا رؤية زوربا. لكن زوربا كان مشغولا بعمله في المنجم، فيذهب باسل بدلا منه. يجدها مريضة جدا فيطلب استدعاء الطبيب على وجه السرعة.

بعد أن غادر باسل منزل بوبولينا، وجد ضجة بسبب ذهاب الأرملة للكنيسة. يعتقد أهل القرية أنه من العار أن تذهب هذه المرأة إلى مثل هذه الأماكن المقدسة بعد كل ما فعلته، لذلك قرروا قتلها.

رجل يلوح بالسكين فوق رأس الأرملة. لكن يأتي زوربا في الوقت المناسب لكي يمسك بيده ويمنعه من تحقيق غرضه. باسل وزوربا والأرملة يجرون هربا، لكن والد المنتحر يلحق بالأرملة ويفصل رأسها عن جسدها. يعود باسل وزوربا إلى مكان المنجم وهما في حالتي رعب وحزن شديدتين.

بعد ثلاثة أو أربعة أيام من الحزن، يذهب زوربا لزيارة بوبولينا. حالتها تزداد سوءا. عندما يسأله باسل عن حالتها، يجيب زوربا: "لا شيء غير عادي، إنها ستموت"

في صباح اليوم التالي، باسل وزوربا يذهبان لرؤية بوبولينا. تموت في نفس الوقت، فيهجم أهل القرية، لنهب وسرقة محتويات بيتها وممتلكاتها. يأخذ زوربا الببغاء ويغلق برفق جفنيها. يسأل زوربا باسل عن الرب عند عودتهما إلى المنجم وهو في حالة كرب لفقده بوبولينا.

اليوم يحتفل زوربا وباسل ببدء تشغيل الكابلات والبكر لإنزال جذوع الأشجار من أعلى الجبل. العديد من سكان القرية ورئيس الدير مدعون للحفل. أول ثلاثة جذوع أشجار، نزلت على الكابلات من أعلى الجبل، احترقت بفعل الاحتكاك. الجذع الرابع، أدى إلى انهيار النظام بأكمله، أعمدته وكابلاته وبكره.

بعد هذا الفشل العظيم، يطلب باسل من زوربا تعليمه الرقص. إنه سعيد بقربه من زوربا بالرغم من فشل مشروعه. لكن جاء الوقت لكي يفترقا. يذهب زوربا، ويغادر باسل كريت.

على مر السنين، يتلقى باسل من زوربا بطاقات بريدية، لكنه لم يره مرة واحده بعد فراقهما. بعد ذلك، كتب باسل قصة حياة زوربا وتجربته معه. في النهاية، وصله خطاب من مدير مدرسة في قرية ألمانية يفيد بوفاة زوربا، وأن زوربا قد ترك له في وصيته، آلته الموسيقية (سنتوري)، وهي أعز ما كان يمتلكه زوربا.

الرواية تدل على فلسفة وجودية. هي فلسفة تقول بأن الإنسان مسئول عن حياته، بعيدا عن كل المبادئ والعادات الموروثة التي يجب إطاعتها.

خلال الرواية، نجد حوارا بصفة مستمرة عن الرب والأخلاق. باسل شاب مثقف بوذي، كرس معظم وقته للدراسة ومقاومة الخطيئة. يشجب الحداثة ويعتقد أنها حضارة خاوية تحتضر، فقدت صلتها بالقيم العليا.

بينما زوربا رجل غير متعلم وغير متدين، اختار لنفسه الاستمتاع بوقته واقتناص الفرصة للحصول على السعادة. يرقص ويغني ويعزف على آلة السنتوري، ويضاجع النساء ويشرب الخمر.

سلوك زوربا، في البداية، كان صادما لباسل. لكنه يكتشف بعد ذلك أن زوربا أفضل وأشجع وأكرم منه. تركيز زوربا على النواحي الحسية، جعله يحقق وجوده الإنساني بدون الحاجة إلى هاد أو دليل خارج نفسه.

يتساءل زوربا دائما عن جدوى تمسك باسل بعقائده وقيمه الأخلاقية، ويدعوه للتحرر منها لكي يعيش واقعه. يعتقد زوربا أن قوة الإنسان تأتي من داخله هو نفسه، لا من قوى علوية أو من مؤسسة دينية.

لكن، لا أحد لديه الجواب الصحيح للسؤال الهام: كيف يعيش الإنسان الحديث في ظل هذه الفوضى العارمة والحياة التي لا معنى لها. لذلك، يجب علينا الاستمتاع بحياتنا كلما استطعنا. هذا ما كان يفعله زوربا طول الوقت.

السعادة لا تأتي عن طريق ما نملكه أو نعرفه. بعد الفشل الكامل لمشروع المنجم، وخسارة باسل لكل أمواله، قضى باسل وزوربا أسعد أوقاتهما معا. ثم طلب باسل من زوربا تعليمه الرقص. الفشل المادي يواجه بالرقص. السعادة هي محض اختيار.

أحداث الرواية تبين أيضا أن كل شيء إلى زوال، وأن الموت هو النهاية الطبيعية للحياة. بوبولينا، الجميلة ورمز الجنس في شبابها، نجدها الآن تقترب من نهايتها. تبدي خوفها من الموت ورغبتها في العودة إلى أيام الصبا. باسل يعتنق الفلسفة البوذية التي تشجع على ترويض النفس والاستعداد لمغادرة هذا العالم.

زوربا يقاوم الموت بطريقة مختلفة. يصبغ شعره وشاربه باللون الأسود بعد مضاجعته لبائعة هوى أثناء سفره للمدينة.

باسل: لا أريد متاعب.
زوربا: الحياة كلها متاعب. لكي تعيش، يجب أن تبحث عن المتاعب. الموت هو الشيء الوحيد الخالي من المتاعب.
زوربا: أنت تمتلك كل شيء، إلا شيء واحد. الجنون! الإنسان يحتاج إلى شيء من الجنون، وإلا...
باسل: وإلا ماذا؟
زوربا: وإلا لما جرؤ على قطع حبل العبودية والهرب إلى الحرية.
زوربا: لماذا يموت الشباب والصغار؟ لماذا يموت الناس؟

باسل: لا أدري.
زوربا: ما فائدة كل كتبك الملعونة إن لم تستطع إجابة هذا السؤال؟
باسل: كتبي تخبرني عن معاناة الإنسان عندما لا يستطيع إجابة أسئلة مثل هذه.
زوربا: أنا أحتقر هذه المعاناة.
باسل: آسف، أنا لا أستطيع مساعدتك.

فيلم زوربا اليوناني من إخراج مايكل كاكويانيس، وتمثيل أنتوني كوين في دور زوربا، ألان بيتس في دور باسل، ايرين باباس في دور الأرملة، ليلى كدروفا في دور بوبولينا.

# عناقيد الغضب



*هنري فوندا في دور توم جود والعائلة أثناء الهجرة إلى كاليفورنيا*

نشرت رواية "عناقيد الغضب" لجون ستاينبيك عام 1939. فور صدورها أول مرة، قوبلت بنجاح حاسم وشعبي. هي رواية واقعية أمريكية تدور أحداثها خلال فترة الكساد الكبير.

يوثق ستاينبيك بهذا العمل، الأوقات الصعبة التي مر بها الشعب الأمريكي أثناء فترة الكساد، من خلال الأحداث الصعبة التي مرت بها عائلة "جود" الأمريكية.

يركز ستاينبيك خلال الرواية على اضطهاد المزارعين والمستأجرين الفقراء من قبل مؤسسات الميكنة الزراعية. فهو يصور الظلم والمصاعب التي يواجهها هؤلاء المزارعون على أيدي ملاك الأراضي والأثرياء الجشعين.

بالإضافة إلى أن *عناقيد الغضب*، هي أيضاً قصة صراع الإنسان ضد البيئة، حيث أن الأسر التي تصورها الرواية، قد اضطرت إلى الفرار من ظروف الجفاف السيئة التي عانت منها الأراضي الزراعية.

بعد أن أجبرتهم الشركات الكبيرة على ترك أراضيهم، جمع المزارعون أسرهم وممتلكاتهم في سيارات قديمة، تعمل بالكاد، وانطلقوا إلى ولاية كاليفورنيا. لكن من المؤسف، لم يجدوا هناك حياة أفضل تنتظرهم. وعليهم الكفاح ضد مصالح الشركات الكبيرة من جديد.

كشفت رواية ستاينبيك أيضا عن الصعوبات التي يواجهها الفقراء ومن لا أرض لهم. ودافعت بشكل مقنع عن الحاجة إلى تنظيم للقوى العاملة في شكل نقابات. عندما كان يستعد لنشر الرواية، قال ستاينبيك: "أريد أن ألطخ بالعار الأوغاد الجشعين المسؤولين عن هذا الظلم. بعد النشر، قال لأحد المراسلين: "لقد أردت أن أثير أعصاب القارئ بقدر ما أستطيع".

بسبب دعمه للطبقة العاملة، فاز شتاينبك بثناء هذه الطبقة وإعجابها. كما أن الرواية نفسها قد نالت استحساناً نقدياً واسعا، وفازت بجائزة الكتاب الوطنية وجائزة بوليتزر للرواية في العام الذي تلا نشرها، 1940.

لا تزال قصة عناقيد الغضب تؤثر على القراء، وتسيطر على المناقشات الطلابية، على الرغم من أن التاريخ الذي تتناوله يعتبر ماضي بعيد نسبيا. وهي

لا تزال واحدة من الروايات الأكثر قراءة على نطاق واسع في كل من المدارس الثانوية والفصول الدراسية في الجامعات.

تحكي الرواية حكاية عائلة "جود"، وتوضح المصاعب والاضطهاد الذي عانى منه المزارعون المهاجرون خلال فترة الكساد الكبير. إنها رواية سياسية صريحة، تناصر العمل الجماعي من قبل الطبقات الدنيا.

كما أن الرواية، تنتقد بشدة النظرة القصيرة للبنوك والمؤسسات العملاقة التي تتبع سياسة تعظيم الربح بكل الطرق، مما يؤدي في النهاية إلى انتشار البطالة بين الطبقات العاملة الفقيرة، ومن ثم العوز والمجاعة.

تبدأ الرواية بوصف الظروف المناخية والجفاف والعواصف الترابية في ولاية أوكلاهوما، التي دمرت المحاصيل وتسببت في عدم سداد الإيجارات وديون الأراضي الزراعية.

"توم جود"، رجل لم يتعد سن الثلاثين. يأتي راكبا مع سائق شاحنة، مرتديا ملابس عشاء رسمية. سائق الشاحنة لا يكف عن سؤال توم عن هويته وسبب قدومه لهذا المكان.

فيجيبه توم بأنه سجين قد أطلق سراحه للتو من سجن ماكالستر، بعد أن قضى هناك أربع سنوات لقتله رجل بغير قصد خلال شجار. يتبع هذا الحديث، وصف سلحفاة تعبر الطريق. وهي استعارة لبطء وضعف كفاح الطبقة العاملة.

أثناء عودة توم للمنزل، يلتقي بواعظ ديني، جيم كاسي. وهو رجل ثرثار تسيطر عليه شكوك خاصة بالتعاليم الدينية ووجود الخطيئة. تخلى جيم عن الوعظ بعد أن أدرك أنه لم يجد خطأ يذكر في العلاقات الجنسية التي كان يقيمها مع بعض النساء في جماعته.

يؤمن جيم كاسي بالرأي القائل: إن ما هو مقدس عند الإنسان، لا يأتي من إله غيبي، ولكن من الناس أنفسهم. يجعل ستاينبيك عودة توم في الرواية، وقت وصول ممثلي البنوك لطرد المزارعين المستأجرين من الأراضي لعدم سدادهم ديونهم. هنا يصبح تمرد الطبقة العاملة ممكنا، لكن هذا ينقصه آلية العمل الجماعي.

يصل توم وكاسي إلى منزل توم جود، ليجداه مهجورا. يقابلان مولي جريفز، الرجل المسن، والذي قد يكون معتوها، فيخبرهما بأن عائلة جود قد طردت من البيت، وهي موجودة حاليا عند العم جون. أما عائلة مولي، فقد غادرت الولاية من قبل لكي تبحث عن عمل في كاليفورنيا، لكنه نفسه قرر البقاء.

يجد توم جود أفراد عائلته عند العم جون، وهو رجل مكتئب منذ وفاة زوجته قبل عدة سنوات. أما والدة توم، فهي امرأة قوية، تعتبر المركز الأخلاقي للحياة الأسرية.

شقيقه نوح، مصاب بتلف في الدماغ أثناء الولادة. شقيقته متزوجة وحامل مؤخراً. زوجها، كوني، يحلم بدراسة أجهزة الراديو. شقيق توم الأصغر، آل، يبلغ من العمر ستة عشر فقط. ثم يتبع هذه المقدمة، وصف أكثر عمومية لبيع ممتلكات الأسر الفقيرة الذين يعتزمون مغادرة أوكلاهوما إلى كاليفورنيا.

رغبة عائلة جود في الذهاب إلى كاليفورنيا جاءت بسبب الإعلانات المزيفة التي تعد بفرص عمل في الحقول هناك، وهي إعلانات احتيالية تهدف إلى جذب عمال أكثر من الحاجة لكي تنخفض الأجور.

جيم كاسي يطلب مرافقة عائلة جود إلى كاليفورنيا حتى يعمل في الحقول بدلا من ممارسة مهنة الوعظ. قبل أن تغادر العائلة، يعلن الجد رفضه الذهاب، لكن العائلة تأخذه معها بعد أن أعطته دواءً يفقده الوعي.

ثم تصف فصول الرواية اللاحقة المنازل الشاغرة التي لا تزال قائمة بعد أن غادرها مزارعو أوكلاهوما للعمل في أماكن أخرى، فضلاً عن حالة الطرق السريعة التي تمتد من أوكلاهوما إلى كاليفورنيا.

بعد بدء الرحلة مباشرةً، تفقد عائلة جود عضوين. الأول يدهس عندما توقفت العائلة أول مرة للراحة. الثاني هو الجد جود بسكتة دماغية. عائلة ويلسون تساعد عائلة جود عندما يموت الجد. ثم يتبع ستاينبيك ذلك بما يفيد تنامي الوعي الجماعي بين الطبقة العاملة، التي تتحول تصوراتها من "الأنا" إلى "نحن".

سيارة عائلة يلسون تتعطل في الطريق، فيقرر توم وكاسي التخلف عن الركب لإصلاحها. يجدا الجزء اللازم لإصلاح السيارة في ساحة خردة. قبل مواصلة الرحلة، وجدوا في طريقهم رجلا عائدا من كاليفورنيا، يخبرهم انه لا يوجد عمل هناك، وأن وعود العمل في النشرات كلها نصب في نصب.

تصل عائلتي جود وولسون إلى كاليفورنيا، حيث يتعرضون على الفور للترهيب والسخرية من قبل أفراد الشرطة. في المخيم الأول حيث تقيم عائلة جود، تمرض الجدة للغاية، لكنها تتلقى بعض الراحة من شهود يهوه المبشرين.

يلي ذلك، وصف تاريخي لولاية كاليفورنيا، التي اشتهرت بالقمع والعبودية. مع ذلك، يتوقع ستاينبيك ثورة وشيكة، لأن الناس هناك قد وصلوا إلى درجة من الحرمان والبؤس، تجعلهم يأخذون ما يحتاجونه بالقوة لكي يبقوا على قيد الحياة.

في المخيم الذي تقيم فيه عائلة جود أثناء بحثهم عن العمل، يسمعون عن مخيم حكومي يعفي المقيمين من المضايقات التي يتعرضون لها من قبل الشرطة، والتي بها وسائل راحة مثل توافر الحمامات والمراحيض.

في وقت لاحق، عندما بدأت الشرطة الشجار مع توم والعديد من العمال المهاجرين الآخرين، قام توم وكاسي بضرب شرطي مما جعله يفقد الوعي. قبل كاسي مسؤولية الجريمة وحده حتى يحافظ على توم الخارج من السجن لتوه فلا يعود إلى السجن ثانية لانتهاكه الإفراج المشروط.

بقية العائلة تبدأ بالتفكك. العم جون يذهب لكي يسكر، نوح يقرر ترك المكان والعيش وحده في الغابات، وكوني يتخلى عن زوجته الحامل. بعد ذلك، يتوجه توم والعم جون شمالا نحو معسكر الحكومة.

في المخيم الحكومي، تفاجأ عائلة جود بحسن تعامل النزلاء مع بعضهم البعض. إنهم حتى يطبقون مبادئ الديموقراطية فيما بينهم. هناك يجد توم عملا بسهولة، لكن المقاول توماس، يحذره من احتمال حدوث مشاكل في صالة الرقص نهاية الأسبوع. لأن الشرطة لا تستطيع دخول المخيم إلا إذا كانت هناك مشاكل، لذلك هي تنوي زرع الدخلاء هناك لكي يحرضوا على العنف وخلق المشاكل.

خلال الرقص يوم السبت، قام توم وبعض النزلاء بنزع فتيل الاحتقان ومنع الشرطة من السيطرة على المخيم. ومع ذلك، بعد شهر في المخيم، لم يجد أيا من عائلة جود عملًا ثابتًا. فيدرك أفراد الأسرة أن عليهم مواصلة رحلتهم. يصلون إلى مزرعة هوبر، ويعمل كل أفراد العائلة في جمع ثمار الخوخ.

الأجور التي كانوا يتقاضونها تعتبر أعلى من المعتاد، لأن باقي العمال كانوا مضربين عن العمل. يكتشف توم أن زعيم العمال الذي ينظم الإضراب هو جيم كاسي. بعد قضاء بعض الوقت في السجن، أدرك كاسي أنه يجب أن يقاتل من أجل العمل الجماعي ضد الطبقة الحاكمة الغنية.

هنا يقرر توم الانضمام لكاسي في جهوده. ثم يقوم توم وكاسي وبعض قادة الإضراب الآخرين بالدخول في معركة مع مقاومي الإضراب. أحدهم قام بطعن كاسي وقتله. يتصارع توم مع القاتل وينزع منه السلاح ويقتله، ثم يهرب بالكاد قبل القبض عليه.

على الرغم من أن توم أراد ترك الأسرة حتى يعفيها من تحمل مسؤولية فعله، إلا أن العائلة قررت مغادرة المزرعة والذهاب إلى مكان آخر يكون فيه توم آمنا. يتجهون شمالا ويصلون إلى حقول القطن. فيختبئ توم في الغابة، بينما تبقى العائلة في عربة شاحنة.

بالرغم من أن الأسرة حاولت الحفاظ على هوية توم ومكانه سرا، إلا أن الطفل روثي وينفيلد يكشف ذلك خلال معركة مع طفل آخر. هنا يقرر توم ترك الأسرة وحده ومواصلة الكفاح من أجل القضية التي مات كاسي من أجلها. إلا أنه يتعهد بالعودة إلى عائلته يوماً ما في المستقبل.

يصل موسم الأمطار بفيضانات هائلة فور ترك توم الأسرة. تجد عائلة جود نفسها في وضع خطير بسبب الفيضان. لكنهم لا يستطيعون الهرب لأن روز في حالة وضع. في حين تقوم عائلات أخرى بإخلاء المخيم بالقرب من جدول ماء يتزايد بسرعة. عائلة جود تحاول وقف مياه الفيضان.

بدون مساعدة الآخرين، تفشل العائلة في وقف المياه، فيلتمسون ملجأ فوق سطح سيارتهم. روز تلد طفلا ميتا؛ فيقوم العم جون بوضعه في صندوق وتركه يطفو مع تيار الجدول.  في نهاية المطاف، تصل الأسرة إلى أرض مرتفعة، بها حظيرة للمأوى. داخل الحظيرة يجدون رجلا يحتضر بسبب الجوع وابنه الصغير. هنا ينهي ستاينبك الرواية مع روز، وقد تعافت بالكاد من الولادة، لكي ترضع الرجل المحتضر لكي تعيده للحياة مرة أخرى.

جمال رواية *عناقيد الغضب* هو أن ما حدث لعائلة جود، قد حدث بالفعل لآلاف العائلات الأخرى التي سافرت غربا بحثا عن حياة أفضل. هذه القواسم المشتركة موجودة في المحتوى التاريخي منذ بداية الرواية إلى نهايتها. هذا يجعل لها مكانا بين الأعمال العظيمة للأدب الأمريكي.

ربط ثورة التصنيع مع جشع الشركات أمر ضروري للرواية. هذا واضح من العنوان ومن كل أجزائها. "عناقيد الغضب"، صرخة ترتقي إلى دعوة لتصحيح الغبن الواقع على صغار المزارعين الذين لا يمتلكون أرضا. يتم عرض جشع ملاك الأراضي الأثرياء من بداية الرواية إلى نهايتها. فهم لا يرحمون ويفعلون أي شيء من أجل زيادة الربح.

بسبب ملاك الأراضي الجشعين، يعيش المزارعون حياة صعبة يرثى لها. بالكاد هم قادرون على إطعام أنفسهم بأجورهم اليومية الزهيدة. الظروف المعيشية التي يواجهونها مروعة.

مئات الآلاف من العمال يعانون الأمرين. من أجل ماذا؟ من أجل صندوق آخر من الخوخ أو رطل زيادة من القطن يزيد الربح. تحت ضغوط عمل مثل هذه، تنمو وتتفاقم عناقيد الغضب بمرارة شديدة.

لقد مكّنت ميكنة الزراعة الكثيفة أصحاب الأراضي الأثرياء البارزين من الحصول على أرباح أكبر من الأرض. هؤلاء ملاك الأراضي الأقوياء لا يحتاجون إلى معاملة العمال بشكل جيد، طالما كان في إمكانهم استخدام الجرارات والآلات الزراعية بكفاءة أفضل.

ارتباط الإنسان بالأرض هو موضوع مهم في *عناقيد* الغضب. عندما يضطر سكان أوكلاهوما إلى مغادرة أرضهم، ثبت أنها عملية مدمرة. هؤلاء المزارعون كانوا جزءا من أراضيهم، يشعرون بالارتباط العميق بها لسنوات.
الأرض هي وطنهم وآمالهم وأحلامهم سواء تحققت أو لم تتحقق.

لكن يأتي الآن جرار لكي يحرث الأراضي التي كانت لهم. الرجل الذي يقود الجرار لا يمس التربة أبدا أو يتفاعل معها. هذا شيء غير مفهوم للمزارعين. عندما يترك المزارعون أراضيهم، يفقدون جزءاً من أنفسهم. كما أنهم يكونون غير قادرين على التكيف مع أراض جديدة. لذلك يضطرون إلى البقاء على الطريق في الخلاء، دون أماكن للنوم أو العيش، ويتحركون باستمرار. هم غير قادرين على بذر بذور ووضع جذور جديدة تثبتهم بالأرض.

مع إدراك المزارعين للمظالم التي يعانون منها على أيدي الشركات الاحتكارية الكبيرة، يدركون أيضا عدم جدوى جهود الفرد في مقاومة الظلم وحده. المزارع الفرد لا يستطيع حتى إعالة أسرته وشراء الطعام لتناول العشاء بعد يوم طويل من العمل. مع ذلك، يستمر انخفاض أجر العامل على هوى مالك الأرض، طالما لا توجد منظمات أو نقابات قوية تمنعه من فعل ذلك.

إذا أمكن تواصل العمال مع بعضهم البعض، هناك احتمال أن يتمكنوا من الوقوف في وجه جشع الشركات الكبيرة. وإذا لم يقفوا معاً، فإنهم سيواصلون تقويض بعضهم البعض، وسوف تستمر أجورهم في الانخفاض. من خلال التنظيمات الرسمية، ورفض قبول الأجور المنخفضة غير العادلة، يمكن للعمال إظهار قوتهم.

في الرواية، يطلق على العمال المنظمين اسم "الحمر" أو الشيوعيين، لكن التنظيم العمالي الحقيقي، الذي يستخدم الهياكل والإجراءات الديمقراطية، بعيد كل البعد عن الشيوعية.

كان النجاح الشعبي *لعناقيد الغضب* مساويا للمديح النقدي، وأنتجت هوليوود فيلما مقتبسًا من الرواية عام 1940، أصبح مشاهدا على نطاق واسع.

الفيلم من إخراج المخرج الرائع جون فورد. وهو أشهر إبداعات فورد بالأبيض والأسود. وقد تم الإشادة بالفيلم لتأثيره الاجتماعي والاقتصادي، وتصويره الصادق الواقعي، للكساد العظيم الذي ألم بالبلاد في الثلاثينيات.

هو واحد من الأفلام الأكثر شهرة، ذات الميول اليسارية التي ظهرت قبل دخول أمريكا الحرب العالمية الثانية. تم ترشيحه ل 7 جوائز أوسكار وحصل على إثنين منها. كما فازت جين دارويل بجائزة أفضل ممثلة مساعدة عن دورها في شخصية الأم. وفاز جون فورد بجائزة أفضل مخرج. ولا يزال الفيلم يذكر كعمل فني رائع.

# كم من الأرض يحتاجها الإنسان؟



*باخوم يحاول التقاط أنفاسه قبل الوصول إلى هدفه النهائي قبل غروب الشمس*

"كم من الأرض يحتاجها الإنسان؟"، هو عنوان قصة قصيرة ل "ليو تولستوي". هي الأكثر رواجا وتأثيرا في عالم القصة القصيرة كله. نشرت عام 1886. القصة تبين عدم جدوى البحث المضني عن الثروة والسلطة، إن لم تكن ضرورية أو غير ممكنة. وتوضح مضار الجشع والنهم، وتنتقد النظم الاقتصادية الفاسدة.

القصة توظف أسلوب السرد الروسي الذي يحاكي لهجة وتعبيرات الكلام الشفوي. تبدأ القصة بفلاح يدعى باخوم، يقوم بالتنصت على حديث بين زوجته وشقيقتها الكبرى.

كانت النظم الاجتماعية والاقتصادية الروسية على شفا الانهيار في وقت نشر "كم من الأرض يحتاجها الإنسان؟" في عام 1861، ألغى الامبراطور ألكسندر الثاني العبودية الزراعية بالنسبة للفلاحين الروس، وأصبح من حقهم امتلاك أراض زراعية.

مع ذلك، لم يمنع إلغاء العبودية الزراعية الانقسامات الطبقية الصارخة الراسخة بين الأغنياء والفقراء. فقد كان عدد العمال الزراعيين المحررين، لا تكفيه مساحة الأراضي المتاحة. مما حد من فرصهم في تملك الأراضي، وانتقالهم إلى طبقة الملاك.

في الوقت نفسه، منح الملاك كميات صغيرة من الأراضي للفلاحين، في شكل جمعيات زراعية، توفر لهم العمل. لذلك، استمرت الاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية لعدة أجيال، بسبب عدم المساواة الطبقية.

بالقرب من نهاية حياته المهنية، أصبح تولستوي مسيحيا أصوليا. عاش حياة الفلاحين زاهدا، ورفض المناصب والثروة وامتلاك الأراضي والعقارات وغيرها. انتقد بشدة النظام الطبقي وعدم المساواة بين المواطنين، حتى بعد إلغاء العبودية الزراعية، وهو ما يعرف بنظام "السيرف" أو القنانة (جمع قن).

تعبر قصة "كم من الأرض يحتاجها الإنسان؟"، عن ازدراء تولستوي للأنظمة الاقتصادية التي تسعى للثروة المادية على حساب تهميش الفقراء والضعفاء.

النتيجة هي نقد اجتماعي واضح يقدره العديد من الشخصيات الأدبية البارزة، بما في ذلك جيمس جويس، الذي أشاد بـ "كم من الأرض يحتاجها الإنسان؟" باعتبارها "أعظم قصة عرفها الأدب العالمي".

ملخص القصة:

تبدأ قصة "كم من الأرض يحتاجها الإنسان؟" بمحادثة بين شقيقتين. إحدى الأختين متزوجة من تاجر ميسور الحال، وتتفاخر بحياة المدينة وما بها من كماليات وفسح ومسرح وخلافه. الأخت الصغرى فقيرة، متزوجة من باخوم الفلاح، تدافع عن حياتها المتواضعة المستقلة في الريف.

الأخت الفقيرة تعلن أن الناس الأكثر ثراء، هم الأكثر عرضة لفقدان كل شيء في حياتهم دون سابق إنذار. باخوم الزوج، ينام دافئا فوق الفرن، ينصت للحوار.

لكنه يختلف مع زوجته ويعتبر أن هناك مزايا لامتلاك الأراضي والأطيان. ثم يقول بينه وبين نفسه: "إن كان لدي الكثير من الأراضي، لن أخاف من شيء، حتى لو كان الشيطان نفسه!".

في نفس الوقت، كان الشيطان قابعا في الفرن يستمع لباخوم وهو يحدث نفسه. فقرر الشيطان أن يعاقبه لبجاحته وتحديه له. سيمنحه ما يريد من أراض، لكن سيعطيه معها الجشع والفحش الأخلاقي.

سيدة روسية، مالكة أطيان في القرية، كانت توظف جندياً عجوزا لإدارة ممتلكاتها. الجندي كان يفرض غرامات باهظة على الفلاحين، بمن فيهم باخوم، بسبب مخالفات بسيطة كانوا يقترفونها رغما عنهم.

هذه الغرامات، كانت تشكل عبئا نفسيا واقتصاديا كبيرا على باخوم وباقي الفلاحين. لكن لحسن الحظ، قررت المالكة بيع أطيانها للفلاحين. بحيث يشتري كل منهم ما يستطيع سداد ثمنه.

باخوم يبيع كل ممتلكاته، ويسخر ابنه لمدة سنة ويقبض ثمن السخرة مقدما. ثم يأخذ عدة قروض لشراء قطعة من الأرض مساحتها 40 فداناً. بعد حصاد ناجح، يسدد باخوم ديونه ويشعر بفخر هائل بنفسه وهو ينظر إلى أرضه.

عندما بدأ الفلاحون يمرون بمواشيهم في أرضه، خشي باخوم اتلاف زرعه أو سرقة آلاته وحيواناته. لذلك ذهب إلى المحاكم المحلية لكي يشتكي، بالرغم من معرفته لنوايا الفلاحين الطيبة.

ثم أخذ باخوم يسلك سلوك الجندي المشرف على الأرض سابقا، بفرض غرامات لا ترحم على الفلاحين، الذين أبدوا استياء لدرجة أن بعضهم كان يهدد بحرق منزله.

في الوقت نفسه، يشعر باخوم بضآلة ممتلكاته، فيخبره أحد الفلاحين بقرية تقع بعد نهر الفولجا، حيث تمنح العائلات هناك على الفور 25 فداناً من الأراضي الخصبة مجانا لمن يريد.

ينتقل باخوم وعائلته إلى القرية. هناك يشعرون بأنهم قد انتقلوا إلى طبقة اجتماعية أعلى. يمتلك باخوم الآن ثلاثة أضعاف ما كان يمتلكه من الأراضي الصالحة للزراعة، يتقاسم المراعي الواسعة، ويمكنه شراء الماشية كما يريد. لكنه لم يقنع بوضعه الجديد.

سرعان ما يشعر بالضيق لصغر حجم ممتلكاته مرة أخرى. إنه يريد أن يمتلك أرضا حرة خارجة عن الكوميونات. فيقابل باخوم فلاحا يدله على أراض للتملك الحر بأسعار في متناول الجميع.

لكن يأتي أحد التجار لكي يخبر باخوم، قبل إتمام الصفقة، بأن قبائل الباشكير، وهم من أصل تركي، يسكنون جبال الأورال، يمكن شراء مساحات من أرضهم الخصبة بأقل من سنتات قليلة للفدان، عندما يقدم لهم هدية بسيطة.

يسافر باخوم إلى بشكيريا مع أحد عماله، تاركا عائلته خلفه. يكتشف أن الباشكير غير مهتمين بإدارة أو زراعة أراضيهم الشاسعة. كل اهتمامهم كان منحصرا في العلاقات الاجتماعية بينهم، يتسامرون ويتزاورون ويحتسون مشروب الكوميس، المصنوع من لبن الحمير أو الخيل.

استقبل الباشكير باخوم بحفاوة. قدم لهم بعض الهدايا، شاي ونبيذ وملابس، ثم أعرب عن رغبته في شراء جزءا من أراضيهم. أجابه رئيس الباشكير بأنه يستطيع شراء ما يريد من أرضهم، مقابل ألف روبل في اليوم.

لم يفهم باخوم هذه الصفقة في بادئ الأمر، لكن تبين له أن مبلغ الألف روبل في اليوم، يعني أن عليه السير على الأقدام، بداية من شروق الشمس، وتحديد ما يريد من أرض، بوضع علامات على حدودها، والعودة إلى نقطة البداية قبل غروب الشمس في نفس اليوم.

اقتناعا منه أنه قادر على حيازة ما يريد من أرض بهذه الطريقة السهلة، وافق فورا بحماس على هذا الاقتراح.

في تلك الليلة، رأى باخوم في المنام أن الفلاح السمسار، والتاجر، ورئيس الباشكير، كل منهم قد تشكل في صورة شيطان، يقف ضاحكا أمام جثة رجل ميت. ثم يكتشف باخوم، أنه هو هذا الميت. يستيقظ فزعا، إلا أنه ينسى هذا الكابوس ويقوم بالاستعداد لحيازة أرضه الجديدة.

أخذ باخوم معه جاروفا وبعض الخبز وقلة ماء. ثم بدأ السير من قمة تل صغير. قطع عدة أميال بالرغم من شدة حرارة الجو القاتلة. في وقت الظهيرة، توقف ليستريح مؤقتا ولكي يتناول وجبة غداء صغيرة.

لكنه واصل السير بوتيرة سريعة بعد ذلك. مع عشرة أميال متبقية من رحلته، يصبح باخوم منهكاً للغاية. يبدأ بالركض، خوفاً من ألا يعود إلى التل قبل غروب الشمس.

يقترب من أسفل التلة تماما وقت الغروب. يرى من بعيد رئيس الباشكير يضحك وهو واقف أعلى التلة. فيتذكر باخوم حلم الليلة الماضية، قبل أن ينهار أخيرا ويقع على الأرض ميتا من الإرهاق والتعب.

يحفر العامل الذي جاء معه قبراً صغيراً لـ "باخوم"، وينهي الراوي القصة بالملاحظة التالية:

"ستة أقدام من رأسه إلى قدميه، هي كل ما يحتاجه".

ملاحظات على القصة:

إن رغبة باخوم الأولية في أن يصبح مالك أرض أمراً مفهوماً. انتقاله إلى طبقة أعلى من شأنه أن يساعده ماليا، ويخفف من تعرضه لاستغلال الطبقة العليا، ويمنع إساءة معاملته كفلاح.

إلا أنه، يواجه مصاعب هائلة في سعيه للحصول على أكبر قدر ممكن من الأراضي: يقترض ويصبح مديونا، يسافر مئات الأميال سيرا على الأقدام، يتخلى عن عائلته، ويفقد تعاطفه وأخلاقه، ثم يموت في النهاية من التعب والإرهاق.

طموح باخوم وسعيه لملكية الأرض يقودان إلى موته ودفنه في قبر صغير. "ستة أقدام من رأسه إلى قدميه، هي كل ما يحتاجه". مئات الأفدنة المشتراة عبر السنين، وجريه وراء الثروة لا يعني شيئا بعد أن مات.

يبين تولستوي في قصته القصيرة، أن القناعة كنز لا يفنى، وإن الجشع شيء مدمر، يفسد ويدمر الشخص نفسه. ويا ليت حكامنا تفهم الحكاية دي.

كان يمتلك ثلاثة أضعاف ما كان يمتلكه من قبل. وكان يشترك في المزارع الجماعية، إلا أن هذا لم يكن كافيا. جشعه ليس له حدود. هذا ما أوصله إلى أرض الباشكير، ولكن لكي يلقى حتفه.

هل الجشع محصور في جشع امتلاك الأراضي، كما كان الحال أيام تولستوي؟ وما رأيك في جشع العسكر بالنسبة للسلطة وشبقهم في امتلاك الثروة والحكم؟

في نهاية المسرحيات الأخلاقية في العصور الوسطى، يفوز الأخيار. وكان الإله يظهر فجأة عندما تتعقد الأمور لكي يقهر الشيطان وغيره من الأشرار.

لكن هذه القصة تنتهي بالسخرية وقليل من الأسف على مصير باخوم الأحمق. باختصار، هذه القصة، هي قصة أخلاقية، لكاتب بارع، في عالم بدون أخلاق. لهذا تستحق القراءة والتدريس للطلبة.

لا تعني القصة أننا يجب أن نتوقف عن الحلم وتحقيق أحلامنا. لكن تعني أن هناك خطا رفيعا بين أحلامنا الممكنة من جهة، والجشع لدينا من جهة أخرى. لقد أساء باخوم فهم ذلك، وحاول الحصول على المزيد والمزيد من الأراضي التي تزيد عن قدراته المحدودة.

# سارق الدراجة



*أنطونيو وابنه يبحثان عن الدراجة المسروقة*

سارق الدراجة أو لصوص الدراجات، كما يذكر في بعض الأحيان، هو فيلم إيطالي يمثل الواقعية الجديدة في عالم السينما.  إخراج فيتوريو دي سيكا، عن رواية بهذا الاسم ل "سيزار زافاتيني". قبل التعليق على الفيلم، تعالوا معي نستعرض قصته.

بعد الحرب العالمية الثانية، في أحد أحياء مدينة روما، تتجمع أعداد وفيرة من العاطلين أمام مكتب تشغيل. أنطونيو، رب أسرة في الثلاثينيات من العمر، يبحث عن عمل بفارغ الصبر في ظروف اقتصادية صعبة.

بشبه معجزة، عرض مكتب التشغيل على أنطونيو وظيفة لصق إعلانات على حوائط المدينة. الأجر مغري، لكن بشرط امتلاكه دراجة. أنطونيو كان قد رهن دراجته لإطعام عائلته من قبل. خوفا من ضياع هذه الفرصة، قال لمكتب التشغيل أنه مستعد لاستلام العمل وعنده دراجته.

يخبر أنطونيو زوجته ماريا بالوظيفة، ويقول لها بغضب أن الوظيفة تشترط امتلاكه دراجة، لذلك عليه أن يرفضها. ثم يلعن اليوم الذي ولد فيه. لكن ماريا ترفض انهزام أنطونيو وتشاؤمه.

قررت ماريا بكل عقلانية بيع ملاءات السرير الخاصة بهم لفك رهن دراجتهم. "نحن نستطيع النوم بدون ملاءات"، قالت ماريا بكل ثقة وإصرار. حصيلة البيع كانت 7500 ليرة إيطالية، وهو مبلغ كاف لفك رهن الدراجة.

ذهب أنطونيو مبكرا لمقابلة رئيسه. في صباح اليوم التالي، يبدأ أنطونيو العمل بكل حماس. تذهب ماريا إلى العرافة التي تنبأت بحصول أنطونيو على وظيفة لمكافأتها.

يلحق بها أنطونيو معاتبا: "كيف يمكن لامرأة لها طفلان ورأس فوق كتفيها أن تصدق مثل هذه الخزعبلات؟ ثم يتساءل، هل لدينا من المال ما يكفينا حتى تبدديه هكذا؟ " تقتنع ماريا وتعود قبل أن تعطي العرافة النقود.

في أول يوم في الوظيفة الجديدة، طلب منه لصق إعلان سينما لنجمة هوليود ريتا هيوارث في الأربعينات.  بعد ذلك ينهمك أنطونيو في عمله ولا يعير انتباهه لدراجته المركونه بالقرب منه. فيأتي صبي، يقفز على الدراجة ويا فكيك، يزوغ بها بأقصى سرعة.

في محاولة يائسة، يطارد أنطونيو اللص. يتشعبط في سيارة تسير في نفس الاتجاه، لكنه يفقد اللص داخل النفق. يذهب أنطونيو المحطم لكي يقدم بلاغا في قسم البوليس. فيقول له الشرطي، من الأفضل أن تبحث عن اللص بنفسك. مثل الشرطة في بلادنا.

يجيبه أنطونيو: "أبحث في كل روما؟ ثم ما هي الفائدة من تقديم البلاغات إن كان الأمر كذلك؟" يأتي الجواب ببساطة من الشرطي: "علشان لما نلاقيها بنفس النمرة، نبدأ نحقق، فهمت؟"

يعود أنطونيو مهزوما منكس الرأس يجر قدميه إلى ماريا وابنيهما، الرضيع وبرونو البالغ من العمر 9 سنوات، فلا يجرؤ على إخبارهم بالكارثة. لكنه يذهب إلى صديقه الذي يعمل في مسرح للهواة لكي يستشيره. فينصحه بالبحث في ميدان فيتوريو الكبير.

يذهب أنطونيو وصديقه وابنه برونو إلى الميدان للبحث عن الدراجة، فيجدوا العديد من الدراجات وقطع الغيار. يتفقوا على أن يتفرقوا ويبحث كل منهم في ناحية عن أجزاء من الدراجة المسروقة أو رقمها إن وجدت.

ثم ينصح الصديق أنطونيو بالبحث في ميدان آخر. هناك يجد رجلا عجوزا وصبي يتبادلان الحديث. فجأة يتذكر شكل اللص فيجده يطابق شكل الصبي. يبدأ أنطونيو وابنه في مطاردة الرجل والصبي.

يلحق أنطونيو بالرجل العجوز، الذي تركه ودخل مسرعا إلى كنيسة. لحق به أنطونيو وسأله عن الصبي أثناء التراتيل. لكن الرجل تجاهل أنطونيو وطلب منه مغادرة الكنيسة. لم ييأس أنطونيو وظل يلح على الرجل حتى حصل منه على اسم وعنوان الصبي.

يرفض الرجل مرافقة أنطونيو وابنه إلى مكان الصبي اللص، ويزوغ منهما. ينتصف النهار، أنطونيو يفقد الأمل في استرجاع دراجته. فينعكس هذا على

سلوك أنطونيو نحو ابنه الصغير برونو. يقوم بصفعه لأتفه الأسباب. يتساءل برونو وهو يبكي: "لماذا تضربني؟" فيجيبه، لأن برونو يستحق الضرب.

يفترق أنطونيو وابنه برونو للبحث عن الرجل العجوز. بالقرب من بحيرة، يرى أنطونيو جمهرة من الناس يصرخون، وتتعالى الأصوات بموت طفل. يرتعب أنطونيو لغياب ابنه برونو والذي لا يعرف مكانه الآن. لكن لحسن الحظ يظهر برونو سليما معافا. فيدرك أنطونيو من تلك اللحظة، مدى أهمية ابنه له.

يقرر أنطونيو نسيان موضوع الدراجة مؤقتا. أخذ ابنه إلى مطعم فاخر. قال بينه وبين نفسه: "لماذا أقتل نفسي كمدا، إذا كنت سأموت مثل كل الناس في نهاية المطاف؟"

المطعم خاص بالطبقة البرجوازية، يبين لأنطونيو وابنه وضعهم الاجتماعي المتدني. بعد تناول الوجبة، يتحقق أنطونيو من أنه لا مفر ولا بد من البحث عن الدراجة وإيجادها، إذا أراد أن يطعم عائلته.

يذهب أنطونيو إلى نفس العرافة التي كانت عندها زوجته لاستشارتها في محنته. لكنها تجيبه بما لا يشبع ولا يغني من جوع. قالت له: "إما أن تجد دراجتك غدا، أو أنك لن تجدها أبدا." يعطيها أنطونيو قليلا مما تبقى معه من نقود.

أثناء خروجه من عند العرافة، يعثر بالحظ على اللص. يلاحقه حتى يمسك بتلابيبه. ينكر الصبي التهمة. يتجمع الجيران وسكان الحي لكي يخبروا أنطونيو بأنه ليس من حقه اتهام أي شخص بدون دليل مادي أو شهود.

يستدعي برونو الشرطة. عندما يحاول انطونيو نزع الاعتراف من اللص، يتسلبط ويرتمي على الأرض، ويتظاهر بنوبة صرع قد أصابته. يلوم الجيران أنطونيو ويتهمونه بالظلم والمسؤولية عما قد يصيب الصبي من ضرر.

يخبر رجل الشرطة أنطونيو أن قضيته خاسرة. ليس لديه شاهد واحد قد رأى اللص وهو يسرق الدراجة. كما أن جيران الصبي سوف يشهدون لصالحه. فيترك أنطونيو وابنه المكان مودعا بصراخ الجيران ولعناتهم.

يجلس أنطونيو وبرونو على حافة الرصيف خلف استاد كرة قدم. مئات الدرجات تحيط بالمكان. يلمح أنطونيو من بعيد دراجة وحيدة بدون حارس. يعطي ابنه برونو نقودا لكي يعود بالترام إلى البيت. ثم أخذ يمشي بخطى بطيئة إلى الأمام وإلى الخلف وهو يشاور عقله.

اقترب أنطونيو من الدراجة التي بدون حارس، وقفز فجأة فوقها ويا فكيك. "حرامي، حرامي"، "امسكوه اللص، اللص" جاء الصراخ من كل جانب. ابنه برونو الذي فاته الترام، يشاهد والده وقد أحاط به الجمهور الغاضب، يشبعونه ضربا ولكما وركلا. ابنه برونو يصرخ وهو يبكي: "بابا بابا".

يقبض الجمهور على أنطونيو وهو متلبسا بسرقة دراجة، ويقودونه لمركز الشرطة. صاحب الدراجة لاحظ الطفل برونو وهو يبكي وينادي: "بابا بابا"، ولا يستطيع الوصول لوالده أو الدفاع عنه. يرق قلب صاحب الدراجة للطفل، ويطلب من الجمهور تركه قائلا: "اتركوه، لقد تنازلت عن حقي. الرجل لديه من المشاكل ما يكفيه".

يخرج أنطونيو وبرونو من وسط الحشد بصعوبة. أنطونيو مكلل بالخزي والعار. منكس الرأس، يكابد وخز الضمير، ويقاوم البكاء. برونو يبكي والدموع تنهال من عينيه مثل السيل. ينحني لكي يلتقط قبعة والده، التي تمرغت في الوحل، من الأرض لكي يعطيها له. ثم يمسك بيد والده ويستمرا في السير عائدين إلى منزلهما.

يكتشف أنطونيو أثناء أحداث الرواية أن ابنه أعز لديه من دراجته البائسة أو أي دراجة أخرى. كان يهمل ابنه من قبل، أثناء بحثه عن دراجته. لقد كان مهوسا

بإيجاد الدراجة، لكنها كانت مثل ابرة في كومة قش.  الدراجة كانت ضرورية لاستعادة وظيفته وبقاء أسرته والاحتفاظ بكبريائه.

عندما سمع ضجة عند غرق طفل، يخفق قلبه بشدة وهو يردد، هل هو برونو؟ وعندما يجده سليما معافا، يعرف قيمة أن يكون للإنسان طفل رغم كل شيء. يشعر بتأنيب الضمير لضربه له أثناء غضبه منذ فترة وجيزة، فيأخذه إلى مطعم فاخر غير مبال بما قد تكلفه هذه الوجبة الطارئة.

الدراجة تمثل الأمل الذي سوف ينتشل هذه الأسرة البائسة من الفقر والعوز. تستحق التضحية بالنوم على السرير بدون ملايات.

قبعة أنطونيو تمثل كبرياء الإنسان. عندما حصل على الوظيف، طلب من ماريا زوجته ضبط حزام القبعة حتى تناسب رأسه. الوظيفة سوف تحسن من وضعه الاجتماعي. لذلك يجب أن يظهر بصورة لائقة في عمله الجديد.

عندما حاول أنطونيو سرقة الدراجة خلف الاستاد، سقطت قبعته على الأرض وداستها الأقدام فعلق بها الوحل. لكن يلتقطها برونو الابن لكي يعيدها لوالده، وهو في حالة خزي وعار لا يحسد عليها.

صاحب الدراجة، يغفر لأنطونيو زلته. فمهما كانت خطيئة الإنسان، هو بائس يستحق الغفران. إحساسات مرهفة، نادرا ما نجدها في كثير من الروايات والأفلام السينمائية. تذكرنا بالقاضي ميريل عندما عفا عن جان فالجان بعد أن سرق الأواني الفضية من منزله في رواية البؤساء لفيكتور هيجو.

ونتساءل مع الرواية، هل نعفوا عن أنطونيو سارق الدراجة لظروفه العائلية؟ وهل يمكننا تصنيف الناس إلى أخيار وأشرار، فنضع الأشرار في السجون وينتهي الأمر. أم الحكاية أكبر من كده؟ وأن الخير والشر يمتزجان داخل نفوسنا؟

يتساءل الفقير على لسان فؤاد حداد في رائعته على باب الله:

اشمعنى قلبي ضناه الشيب
من الشقا مهري ومنكوت
قال اللي قال العيب في الجيب
والجيب ما فيهشي ولا سحتوت
والعمر فايت بيقول آه
والقطر فايت بيقول توت
علي المحطة يا ولداه
حتى المحطة كمان حتفوت

كيف ينحدر الانسان إلى هذا الدرك ويتحول من صاحب حق يريد أن يضع من سرق دراجته في السجن، إلى مغتصب حق، يريد أن يسرق دراجة رجل لا يعرفه؟

إنه الفقر يا سادة والحاجة. إنها الحروب والتعليم الرديء والحكومات العاجزة والإفلاس الديني والسياسي والثقافي، وغيرها. كل هذه العوامل، فرادا أو مجتمعة، تطحن الغلابة وتحول الفقراء في لحظات إلى مجرمين، لصوص وقتلة.

إخراج فيتوريو دي سيكا

بطولة:

لامبيرتو ماجيورياني في دور أنطونيو

إنزو ستايولا في دور برونو

لينيلا كاريل في دور ماريا

# ماكبث



*ماكبث يتلقى أخبار مقتل دانكن*

مسرحية ماكبث كتبها وليام شكسبير عام 1605 أو 1606م. هو شاعر وكاتب مسرحي عالمي. يعتبر أعظم كاتب مسرحي في تاريخ اللغة الإنجليزية. غالبا ما يسمى الشاعر الوطني في انجلترا. كتب 154 سوناتا وقصائد روائية طويلة، وحوالي 39 مسرحية، بما في ذلك المسرحيات الكوميدية والتراجيديا.

أول عرض لمسرحية ماكبث كان على المسرح الملكي في هامبتون عام 1606م للملك جيمس الأول وصهره، ملك الدنمارك كريستيان.

لا شك أن المسرحية كانت بهدف إرضاء الملك جيمس، الذي صار راعيًا لمسرحيات شكسبير. نلاحظ أيضا، خلال أحداث المسرحية، أن شخصية بانكو – مؤسس شجرة عائلة ستيوارت – تُصوِّر بشكل إيجابي للغاية.

المسرحية قصيرة جداً أيضاً، ربما لأن شكسبير عرف أن جيمس يفضل المسرحيات القصيرة. كما أنها تحتوي على العديد من العناصر الخارقة للطبيعة لإرضائه، لأنه نشر بنفسه كتاباً للكشف عن السحر وممارساته.  كما تم حذف كل ما يشير إلى هزيمة الدنمارك من الأسكتلنديين، لتجنب المساس بشعور الملك الضيف، كريستيان.

تم اقتباس أحداث المسرحية من السجلات التاريخية لإنجلترا واسكتلندا وأيرلندا (1587م). بالرغم من ذلك، فإنها تصنف عموما على أنها تراجيديا وليست مسرحية تاريخية.

هذا لأن القصة تحتوي على العديد من المغالطات التاريخية، بما في ذلك شخصية بانكو، التي اخترعها مؤرخ أسكتلندي في القرن السادس عشر لكي يتحقق من صحة خط عائلة ستيوارت. كما أن شكسبير قام بتغيير شخصيتي ماكبث ودنكان لكي يخلق شعورا دراميا قويا.

في الواقع، هناك أسباب أخرى تجعل المسرحية تراجيديا وليست تاريخيةً. أحد الأسباب يأتي من عالمية المسرحية. مسرحية ماكبث تقدم لنا دراما إنسانية مليئة بالطموح والرغبة الملحة في الحكم، التي تصل إلى حد المرض. توضح لنا الشعور بالذنب الذي يطارد المجرمين بعد اقترافهم لجرائمهم.

مثل هاملت، يعبر ماكبث عن القلق العاطفي والفكري الذي يدور داخله بوضوح، فيصل إلى العديد من المشاهدين بسهولة.

افتقار ماكبث إلى القيم الأخلاقية وإخفائه لطموحاته ونواياه الخبيثة الحقيقية، يجل شخصية ماكبث حقيقية مئة في المئة. هذا هو الذي جعل مسرحية ماكبث شعبية لقرون عديدة سابقة، وسيجعلها شعبية لقرون أخرى لاحقة.

ملخص أحداث المسرحية:

الفصل 1
أحداث المسرحية تقع في اسكتلندا. دنكان ملك اسكتلندا في حالة حرب مع ملك النرويج كما يتضح من افتتاحية المسرحية. يقول دنكان أنه يتعلم من شجاعة ماكبث في معركته المنتصرة ضد ماكدونالد، الأسكتلندي الذي انحاز إلى جانب النرويجيين.

في الوقت نفسه، تصل الأخبار بشأن اعتقال الاقطاعي الخائن حامل لقب سيد كاودور. فيقرر الملك دنكان إعطاء اللقب إلى ماكبث.

أثناء عودة ماكبث وبانكو من المعركة، تجتمع ثلاث ساحرات في الخلاء. يتنبأن بأن ماكبث سيكون سيد كاودور، ثم ملك اسكتلندا. وأن بانكو رفيقه في الحرب، سيكون أبا لسلسلة من الملوك في المستقبل.

بعد اختفاء الساحرات، يلتقي ماكبث وبانكو مع اثنين من النبلاء روس وأنجوس، اللذين يخبرانهما بحصول ماكبث على لقب سيد كاودور. عند سماع هذا، يبدأ ماكبث جديا في التفكير في قتل دنكان لكي تتحقق نبوءة الساحرات ويصبح ملكا.

ماكبث وبانكو يجتمعان مع دنكان، الذي يعلن أنه ذاهب لكي يزور ماكبث في قلعته. يعود ماكبث مسرعا لكي يعد قصره لهذه الزيارة. في الوقت نفسه،

تتلقى الليدي ماكبث، زوجه، رسالة يبلغها فيها بنبوءات الساحرات وما قد ينتج عنها من نتائج.

هذه الأخبار المشجعة أطلقت داخلها كل قوي الشر الممكنة. نسيت طبيعتها كأنثى، ولم تعد تفكر إلا في طريقة للتخلص من الملك دانكن. عندما وصل زوجها ماكبث، أخبرته برغبتها في قتل الملك دنكان.

يصل دنكان إلى القلعة، فتستقبله وتحييه الليدي ماكبث بمفردها. أين ماكبث؟ لقد اختفى عن الأنظار. وعندما تبحث عنه، تجده في غرفته غارقا في أفكاره، يحاول تقييم قراره الخطير بقتل دنكان وتبين تبعاته. فتسخر منه زوجه وتخبره بأنه لن يكون رجلا إلا عندما يقتل دنكان. ثم ما الداعي للقلق؟ لقد أعددت كل شيء. سنسكره ثم نقتله أثناء نومه، ونلقى التهمة على حارسيه السكارى، وندمغهم بالأدلة.

الفصل 2
يرى ماكبث خنجرا يقطر دما يطفو أمامه، يقوده إلى غرفة نوم الملك الضيف دنكان. ثم يسمع رنين جرس ينبئه بأن الأمور على ما يرام، ولم يبق سوى تنفيذ الخطة.

على ماكبث الآن التقدم لتنفيذ عملية الاغتيال. يخرج ماكبث من غرفة نوم دنكان ممسكا بخنجر يقطر دما. لكنه خائف يرتجف. فتلاحظ زوجه الليدي ماكبث ضعفه وهوانه. فتأخذ الخنجر من يده، وتقوم هي بنفسها بقتل حارسي دنكان السكارى أثناء نومهم.

تنتاب ماكبث نوبات هلوسة ويبدأ في سماع أصوات داخلية تطارده، قائلة إنه لن ينعم بالنوم منذ اليوم. وعندما يشير إلى يديه ويدي زوجه الملطخة بالدماء،

ويتساءل: هل تستطيع المحيطات غسل هذه الأيدي الملطخة بالدماء؟ تجيبه الليدي ماكبث بأن قليل من الماء يمحو هذا الفعل.

يصل السيدان ماكدوف ولينو ويكتشفا مقتل دنكان. يخبرهما ماكبث بأنه كان مضطرا إلى قتل حارسي دنكان أثناء نوبة حزن وغضب، عندما رآهما يحملان خنجرا يقطر دما بعد قتلهما للملك دنكان.

ولدي دنكان، ملكولم ودونالباين، يقومان بالفرار إلى إنجلترا وإيرلندا، خوفا على حياتهما. لكن فرارهما يجعل الشبهات تحوم حولهما. بهذا يخلو الجو لماكبث لكي يتربع بمفرده على عرش اسكتلندا.

الفصل 3

حتى يبطل نبوءة الساحرات بأن أولاد بانكو سوف يعتلون سدرة الحكم ويصبحون ملوكا في المستقبل، قام ماكبث باستئجار اثنين من القتلة للتخلص من بانكو وابنه فلينس.

لم تكن الليدي ماكبث على علم بما يدبره زوجها في الخفاء. ثم ينضم للقتلة ثالث ويقومون بتنفيذ عملية قتل بانكو. لكن ابنه فلينس يلوذ بالفرار.

شبح بانكو، لا دنكان، يظهر فجأة لماكبث أثناء مأدبة احتفالية، فيصيبه بالرعب والهياج ويجعله يهذي ويخرف. تحاول الليدي ماكبث التغطية على سلوكه زوجها الغريب، إلا أن المأدبة تنتهي قبل ميعادها. ويبدأ كبار المدعوين في الشك في سلامة ماكبث العقلية. بعد ذلك، يقرر ماكبث الاستعانة بالساحرات مرة أخرى لكي يستشف ما قد يخبئه له القدر في المستقبل.

في نفس الوقت، السادة كبار إقطاعي اسكتلندا يبدؤون في التآمر للتخلص من ماكبث. فيقوم ماكدوف بالاتصال بمالكوم في إنجلترا لإعداد جيش للزحف على اسكتلندا.

الفصل 4
تظهر الساحرات الثلاث لماكبث. الأولى تحذره من ماكدوف. الثانية تقول له أنه يجب ألا يخشى أي رجل مولود من امرأة. أما الثالثة، فتتنبأ بأنه لن يسقط إلا عندما تأتي أشجار غابة بيرنام إلى قلعة دونسينان. يطمئن ماكبث بعد سماعه نبوءات الساحرات، ويعتقد أنه معصوم وعرشه غير آيل للسقوط تحت كل الظروف.

وعندما يسأل ماكبث الساحرات عن النبوءة الخاصة بأبناء بانكو، يظهرن له موكبا من ثمانية ملوك، يشبهون جميعا بانكو.

في انجلترا، يقوم مالكولم باختبار ولاء ماكدوف من خلال التظاهر والاعتراف بعدة خطايا وطموحات. عندما يثبت ولاء ماكدوف لوطنه اسكتلندا، يقوم الاثنان بوضع استراتيجية لمهاجمة ماكبث في عقر داره. في هذه الأثناء، يقوم ماكبث في اسكتلندا بقتل زوجة ماكدوف وأطفاله.

الفصل 5
الليدي ماكبث تعاني نوبات من المشي أثناء النوم. تبوح بغير قصد إلى طبيبها المعالج عن جريمتها، وتعلن أنها لا يمكنها تطهير يديها من بقع الدم العالقة بهما.

ماكبث مهموم جدا ويستعد للمعركة القادمة. فلا وقت لديه للاهتمام بمشاكل الليدي ماكبث النفسية. ويغضب عندما يخبره الطبيب بأنه عاجز عن علاجها.

بينما يقترب الجيش الانجليزي بقيادة مالكولم، ماكدوف، وسيوارد، تسمع صرخة الليدي ماكبث مدوية ومعلنة عن موتها داخل أسوار القلعة. عندما

يسمع ماكبث خبر وفاتها، يعلق بأنها كان ينبغي لها أن تموت في زمن لاحق، ويبدي بعض الملاحظات عن الحياة بصفة عامة التي لا معنى لها.

أخذ ماكبث نبوءة الساحرات الثانية بحسن نية. ماكبث لا يزال يعتقد أنه منيع من أي جيش يقترب من حصون قلعته. ولم يكن يعلم بأن مالكولم قد أمر كل جندي في الجيش الإنجليزي بقطع غصن شجرة من غابة بيرنام، والاختفاء وراءه.

لذلك، يقول خادم ماكبث إنه رأى مشهداً يبدو مستحيلاً. لقد رأى أشجار غابة بيرنام تتحرك نحو القلعة. يهتز ماكبث ولكنه لا يزال يستعد للاشتباك مع الجيش القادم.

أثناء المعركة، يقتل ماكبث الشاب الشجاع سيوارد، ابن الجنرال الانجليزي ماكدوف. فيقوم ماكدوف بمنازلة ماكبث وجها لوجه. أثناء المبارزة، يكشف ماكدوف عن أنه لم تلده امرأة، ولكنه نزع نزعا من رحم والدته.

يذهل ماكبث من هذه المعلومات التي أثبتت صدق نبوءات الساحرات. لكنه يرفض الاستسلام لمالكوف. فيقوم مالكوف بقتله وقطع رأسه.  في نهاية المسرحية. يعلن عن تنصيب مالكولم ملكا لاسكتلندا.

ملاحظات على مسرحية ماكبث:

ماكبث يمثل الطموح السياسي المجنون وجوع السلطة المرضي. يصور شكسبير ببراعة مراحل سقوط ماكبث والليدي ماكبث، والمعاناة الجسدية والنفسية التي كابداها بسبب الطمع والجشع الذي جعلاهما يطلبان السلطة بأي ثمن.

يمتلك ماكبث بعض الصفات التي تضفي عليه لقب "البطل المأساوي". في البداية، كان ماكبث شخصية جيدة ذات مكانة عالية. لكنه يعاني من السقوط الذاتي بسبب عيوب متأصلة في شخصيته.

البطل المأساوي يخضع لسقوط هائل، ناجم عن وقوعه في شبكة أخطاء خاصة لا يستطيع الفكاك منها. تنتهي به غالبا إلى الموت. وهو ما حدث في حالة ماكبث.

يعتمد ماكبث بجهل على قوى خارقة أكثر من اعتماده على نفسه وعقله. يحقق ماكبث كبطل مأساوي كل ما أراد، لكنه في وقت لاحق يفقد كل شيء.

لقد نال ماكبث من ملك اسكتلندا دنكان، الإقطاعيات والألقاب الموقرة، منها سيد كاودور. وهذا يشير إلى أن ماكبث كانت له أهمية سياسية كبيرة في البداية.

المسرحية تلتقط الزخم عندما يزور ماكبث ثلاث ساحرات. يخبرنه أنه سوف يصبح ملك اسكتلندا. في البداية، يرفض الفكرة. لكن من المدهش أن تتحقق أحد نبوءات الساحرات. هنا تبدأ بذرة الطموح تنمو في ذهنه. الفضول لمعرفة كيف سيؤول له الملك يكاد يأكله من الداخل.

في بداية المسرحية، يتم تصوير ماكبث على أنه رجل نبيل، مخلص لملكه دنكان، لكنه ينصاع بعد ذلك للفساد الأخلاقي، من خلال الاستسلام لرغباته

الطموحة في أن يصبح ملكا هو نفسه. طموح ماكبث الأعمى، جنبا إلى جنب مع استفزاز زوجه، يجعلانه يسلك مسارا عنيفا ودمويا للوصول للعرش.

بعد أن توج ملكاً، يعاني ماكبث من جنون العظمة الشديد. يخاف من أي شخص قد يشكل تهديداً لسلطته، فيحاول القضاء عليه. طموحه يعميه، ويقوده نحو طريق مدمر. هذا يؤدي في النهاية إلى سقوطه وقتله.

عيوب ماكبث المأساوية تقوده إلى أن يصبح طاغية، بدلاً من أن يكون ملكاً نبيلاً. مع المسار الدموي الذي يسلكه، يكون سقوطه من النعمة أمر لا مفر منه.

مسرحية ماكبث تظهر عواقب الطموح الأعمى والسلطة المطلقة دون رادع. كذلك تطرح موضوع الرجولة وماذا نعني بأن تكون رجلا. ربما، تظهر شخصية ماكبث الضعيفة بشكل أفضل من خلال زوجه، الليدي ماكبث.

لقد كتب شكسبير المسرحية خلال القرن السابع عشر، وهو الوقت الذي لم يكن فيه للنساء صوت، خاصة عندما يتعلق الأمر بزواجهن. الليدي ماكبث هي أكثر من شخصية نسائية قوية. هي أكثر صرامة، وأكثر طموحا وأكثر قسوة من زوجها.

سيطرتها على زوجها سمحت لها بالتلاعب به لضمان صعوده إلى السلطة. ترى الليدي ماكبث تردد زوجها، فتذهب إلى حد التشكيك في رجولته، مشيرة إلى أنها تستطيع أن تكون "رجلاً" أفضل منه.

ومع ذلك، فإن قيمها الجامدة تؤدي بها إلى أفعال شنيعة، تسبب لها ذنباً دائما وزوالاً في نهاية المطاف. الليدي ماكبث تعتبر واحدة من أفضل شخصيات شكسبير المكتوبة.

ثم ما هي الرجولة؟ وما نعني حقا بأن يكون الشخص رجلا؟ إن شخصية ماكبث تبين أن الرجل الحقيقي ليس من يستسلم للعنف والطموح، بل هو الشخص الذي يقف مع المثل العليا ومستعد للتضحية من أجل الصالح العام، مثل ماكدوف.

ماكبث يصور الطبيعة البشرية في أضعف حالاتها. أما أفضل حالاتها فهي شخصية ماكدوف. مسرحية ماكبث يجب أن يشاهدها أو يقرأها كل حاكم أو كاتب أو قارئ منشغل بطبيعة النفس البشرية.

# مدام بترفلاي

# قصة زواج المسيار



*مدام بترفلاي*

مدام بترفلاي، هو اسم أوبرا من ثلاثة فصول للموسيقار الإيطالي جياكومو بوتشيني. عن قصة قصيرة بنفس الاسم، للأديب جون لوثر لونج عام 1898. مستوحاة من علاقة رومانسية حقيقية بين ضابط بالبحرية الأمريكية وفتاة يابانية شابة.

بعد فشل العرض الأول للأوبرا في فبراير عام 1904، أعاد بوتشيني انتاجها من ثلاثة فصول. وعند عرضها في مايو من نفس العام، لاقت استجابة نقدية ونجاح كبيرين.

أخذ بوتشيني يعدل في ألحان ومشاهد الأوبرا. النسخة الخامسة هي التي نشاهدها اليوم في دور الأوبرا في جميع أنحاء العالم.

في عام 1904، استأجر ضابط بحري أمريكي، بينكرتون، منزلاً على تلة تطل على مدينة ناجازاكي. لكي يقيم فيه هو وخطيبته اليابانية. وهي فتاة صغيرة تبلغ من العمر 15 عاما، اسمها بترفلاي ويعني بالإنجليزية "فراشة".

قوانين الزواج اليابانية في ذلك الوقت، كانت قوانين متراخية وغير ملزمة. الضابط بينكرتون لم يكن جادا في زواجه، وإنما كان يعتبره زواجا مؤقتا إلى حين عودته للولايات المتحدة والزواج من أمريكية. يعني زواجه من اليابانية كان زواج تسلية وشيء كده زي زواج المسيار في بلادنا.

أثناء مراسيم الزواج، يتبين أن بترفلاي كانت هي الأكثر جدية والأصدق إحساسا من بينكرتون في هذه العلاقة. فهي التي تركت ديانة أجدادها، وتحولت إلى المسيحية، ديانة زوجها.

ثم يصل عمها، وهو كاهن بوذي، ليصب اللعنات عليها وعلى هذا الزواج. كما أن باقي الضيوف وأفراد عائلتها يتبرأون منها ويغادرون المكان ساخطين. لكن بينكرتون، يطمئنها ويعدها بأنه لن يتخلى عنها مهما كانت الظروف.

بعد أن قضى بينكرتون من بترفلاي وطرا، وتمتع بجسدها فترة، تركها غير آسف وعاد لبلاده عودة نهائية. مضت ثلاث سنوات والخادمة، سوزوكي، تحاول إقناعها بأنه قد ذهب ولن يعد. لكن بترفلاي لا تريد أن تصدق، فهي مقتنعة تماما أنه سوف يعود. لقد وعدها بذلك وهي تصدقه وتثق بوعده.

ثم يأتي القنصل الأمريكي، شاربليس، لرؤية بترفلاي. يقوم بقراءة رسالة لها، مرسلة من بينكرتون زوجها. يقول فيها إنه سيأتي إلى اليابان، لكنه يعتبر زواجه منها، كان غلطة ونزوة عابرة. هو الآن في حل من هذا الرباط، ويعتبره كأن لم يكن.

كانت بترفلاي منفعلة جدا، سعيدة ومتحمسة، عند سماعها بعودة زوجها، لدرجة أنها لم تدع القنصل ينهي قراءة الرسالة كاملة، وظلت تعيش في وهم أن حبيبها بينكرتون قد عاد إليها أخيرا.

هنا تخبر بترفلاي القنصل الأمريكي أن لها ابن من بينكرتون، لكنه لا يعرف ذلك.

في صباح اليوم التالي، وقبل أن تستيقظ بترفلاي من نومها، يصل بينكرتون والقنصل وزوجته الأمريكية الجديدة، كيت. لقد وافقت كيت على أخذ ابن بترفلاي إلى أمريكا وتربيته كابن لها.

لم يستطع بينكرتون اخبار بترفلاي بهذه الأخبار السيئة. وترك الأمر للقنصل وزوجته الأمريكية كيت. عندما استيقظت بترفلاي، علمت بما يخبئه لها القدر، وأنها لم تفقد فقط زوجها وحبيبها، ولكن ستفقد أيضا ابنها وهو كل ما يربطها به.

وافقت بترفلاي على تسليم طفلها إلى كيت، الزوجة الجديدة لبينكرتون. لكن بشرط. أن يأتي بنفسه لكي تودعه هي.

ثم تقوم بترفلاي بربط عصابة على عيني ابنها وهي تودعه. حتى لا يراها وهي تقتل نفسها. لقد تم تدمير بترفلاي بالكامل بفقدها بينكرتون وابنها. انتحرت بخنجر والدها. عندما اندفع بينكرتون إلى الغرفة لإنقاذها، أدرك بعد فوات الأوان أن بترفلاي قد ماتت.

ملاحظات على قصة مدام بترفلاي:

الضابط الأمريكي بينكرتون، لا يلتزم بالقوانين أو الأخلاق أو أي شيء آخر خارج بلده. فهو متغطرس حتى النخاع. يتخلى بدون أدنى اعتبار عن بترفلاي، الفتاة الصغيرة، عديمة الخبرة بالحياة، والتي تحبه بإخلاص حبا جما. لذلك يمكننا القول بأن الموضوع الرئيسي لقصة أوبرا مدام بترفلاي هو "الخداع".

لأننا نشاهد الضابط الأمريكي بينكرتون وهو يقطع العديد من الوعود الكاذبة على نفسه لزوجته اليابانية، بترفلاي، لكنه لا يفي بأي منها.

إلا أن الأوبرا، على مستوى أعم وأشمل، كل شخصيات أبطالها تساهم بقدر ما في هذا الخداع. الكاهن الياباني الذي سهل عملية التعارف، والذي قام بدور يشبه دور كمال الشناوي في فيلم لحم رخيص.

بيركتون، يتزوجها، لا لكي يقيم أسرة، ولكن كوسيلة لإشباع شبقه الجنسي في غربته. فهو يبحث عن زواج مسيار، لا زواج استقرار. مثل أثرياء العرب في البلاد العربية الفقيرة.

القنصل الأمريكي الذي أخفى عن بترفلاي حقيقة ما في الخطاب. كما أن بترفلاي نفسها قد ساهمت من حيث لا تدري في الخديعة الكبرى بتصديقها وثقتها في زوجها رغم كل الشواهد التي تدل على عكس ذلك.

بترفلاي، فتاة يابانية صغيرة، تبلغ من العمر 15 ربيعا. بريئة تمامًا من مسؤوليات الزواج وتبعاته. تتزوج ضابطا أمريكيا، ليس من دينها أو عاداتها، وتتصور أنها أسعد فتاة في هذا العالم.

إيمانها الساذج بزوجها واستعدادها للأمركة يقودانها إلى مأساتها. هي زوجة ساذجة ومخلصة حتى النهاية. بالرغم من أن كل الدلائل تقول إنها قد خدعت وغرر بها. حتى اسمها، بترفلاي، ويعني فراشة، يشير إلى رقتها وهشاشتها.

تبين الأوبرا أن الثقافة اليابانية، تختلف عن الأمريكية. هذا شرق وذاك غرب. عائلة بترفلاي تتبرأ منها، لأنها بزواجها من أمريكي، أقد أساءت إلى آلهة أجدادها، وفعلت شيئا مخلا بالشرف.

لكن بترفلاي تعتبر زواجها مناسب وشريف. وتعتقد أن حياتها الجديدة الأمريكية، هو التطور الثقافي والديني الطبيعي، والطريق الوحيد الذي عليها أن تسلكه. كما أنها تنتظر بصبر وإخلاص زوجها، ولن تفعل إلا ما هو شريف وعفيف. مع نفاد المال وضيق خياراتها، رفضت الزواج مرة أخرى وتوفير الحياة المناسبة لتربية ابنها.

في نهاية الأوبرا، تعترف بترفلاي بخطئها، وتدرك أن الطريقة الوحيدة للحفاظ على شرفها هي الانتحار. تقرأ النقش على خنجر والدها الذي كتبت عليه العبارة الآتية: "دعه يموت بشرف من لا يستطيع العيش بشرف".

بعد أن عجزت عن الحياة بشرف، وبعد أن تخلى عنها أهلها، وحرمت من حبيبها وابنها، وأصبحت فقيرة لا تستطيع إعالة نفسها، لم يعد أمامها إلا أن تعمل في البغاء كفتاة جيشا، أو تموت بشرف. فمن لا يستطيع أن يحيا بشرف، عليه أن يموت بشرف.

الأوبرا من الروائع النادر وجودها، قصة وموسيقى وألحان وغناء.

# مدام بوفاري



*مدام بوفاري*

جوستاف فلوبير، مؤلف رواية مدام بوفاري، هو ابن طبيب. ولد في روان، فرنسا، 12 ديسمبر 1821. معظم طفولته، كان في صحة سيئة. لم يكن من المتوقع أن يعيش حتى سن البلوغ.

كانت شقيقته الصغرى كارولين، هي أيضا تعاني من المرض في كثير من الأحيان. توفيت أثناء الولادة في سن الحادية والعشرين. كان لها تأثير كبير في تكوين شخصية فلوبير، بالرغم من وفاتها المبكرة.

شقيقه أخيل، الذي يكبره بتسع سنوات، وكذلك باقي اخوته، لم تتطور بينهما صداقة قوية. في سن الثالثة، بدأت ترعاه الخادمة جولي، التي ظلت تعيش مع العائلة حتى وفاتها عام 1883.

بعد أن فشلت والدته في تعليمه بالمنزل، تم إلحاقه، في عمر 9 سنوات، بكلية رويال دي روان. وهي مدرسة عسكرية صارمة. في عام 1842، بدأ فلوبير يدرس القانون. لكنه ترك كلية الحقوق عام 1844، بسبب مرض الصرع. الذي لم يبرأ منه إلى أن توفي عام 1880 عن عمر 58 سنة.

في سن مبكرة جدا، بدأ فلوبير في تأليف أعمال تاريخية. كتبت كلها بين سن الحادي عشر والرابعة عشر. ألف مسرحيته الأكثر شهرة، "*لويس الحادي عشر*"، عندما كان في سن الرابعة عشر.

مع تقدمه في السن، ازدادت أعمال فلوبير عمقا، وبدأت تشير إلى المظالم الاجتماعية والصراع الطبقي الذي احتدم داخل المجتمع الفرنسي.

في عام 1846، توفي والد فلوبير. بعد ذلك بتسعة أسابيع، توفيت أخته كارولين أثناء الولادة. بعد وفاتهما، تلقى فلوبير ميراثاً كبيراً، ساعده على التقاعد والتفرغ للكتابة.

كلف فلوبير فناناً بنحت تمثال نصفي لشقيقته كارولين. عندما ذهب إلى استوديو الفنان، التقى ب "لويز كولت"، الشاعرة المعروفة ذات الجمال الفاتن. كانت تجلس أمام النحات كموديل لكي يصنع لها تمثالا.

على الفور، وقع فلوبير في حب كولت، وصارت بينهما علاقة غرامية صاخبة، أضحت واحدة من الأكثر شهرة في التاريخ الأدبي. رسائله العديدة إلى كولت،

لها أهمية أدبية من حيث أنها تعكس صراعاته الداخلية، عندما كان يؤلف رواية مدام بوفاري. انتهت علاقة فلوبير ب كولت عام 1855.

ظهرت رواية مدام بوفاري أول مرة عام 1856 كمسلسل في مجلة ريفو. ثم نشرت في شكل كتاب في العام التالي. ولأن أحداث الرواية كانت صادمةً للمجتمع الفرنسي، في ذلك الوقت، حوكم فلوبير بتهمة الفجور.

لقد ذكر فلوبير في روايته أوصافا خارجة عن الأدب. صريحة تحكي ممارسات إيمّا بطلة الرواية للزنا والفجور بالتفصيل. لكن تمت تبرئته عام 1857، بذلك يكون قد هرب من حماة الفضيلة ورعاة الأخلاق الحميدة في ذلك الوقت.

في 1860s، أصبح فلوبير عضوا في بلاط نابليون الثالث الثقافي، وصارت كتاباته محل تقدير كبير من قبل مدرسة الكتاب التقدميين. قال عنه هنري جيمس الأمريكي: إنه روائي روائي"، وذكر نابوكوف أنه "لولا فلوبير لما كان هناك مارسيل بروست في فرنسا، ولا جيمس جويس في أيرلندا. ولما صار تشيكوف تشيكوفا في روسيا". هذا هو تأثير فلوبير الخطير على الأدب العالمي.

تشمل أعمال فلوبير الكبرى: *سلام بو* (1862)، التعليم العاطفي (1869)، إغراء القديس *أنطوان* (1874)، مجموعة قصص قصيرة بعنوان ثلاث *حكايات* (1877).

لم يتزوج فلوبير أبداً، حتى يركز على رعاية والدته وابنة أخيه. في سنواته الأخيرة عانى من متاعب مالية. بسبب تخليه عن ثروته، لإنقاذ زوج ابنة أخيه من الإفلاس.

في 7 مايو 1880، توفي فلوبير بسبب نزيف دماغي في كرواسيت، تاركا رواية غير مكتملة بعنوان "شارع باكوشيه". وقد وصفته قصاصة صحفية وجدت على مكتبه بأنه:

"هو أحد سادة الرواية المعاصرة، لا جدال في ذلك. وربما الوحيد الذي لا يدين بأي شيء لأحد، والذي قلده الكثيرون."

نشرت رواية مدام بوفاري، ل جوستاف فلوبير، عام 1857 باللغة الفرنسية. كتبها في كرويسيت، فرنسا، بين عامي 1851 و1857. أحداثها تقع في نفس الفترة الزمنية، أي منتصف القرن التاسع عشر، في المدن الفرنسية.

بطلة الرواية هي إيمّا بوفاري. فتاة شابة جميلة. تتطلع بشوق للحب الرومانسي والثروة وحياة المجتمع الراقي. وهي أمور بعيدة عن متناولها بسبب زواجها من تشارلز بوفاري. طبيب على قد حاله من الطبقة المتوسطة، البرجوازية.

استياء إيمّا وعدم رضاها عن وضعها، وتطلعها إلى حياة أفضل، جعلاها تقوم بعلاقات خارج نطاق الزواج. الأنانية الشديدة والمرض أنهيا الرومانسيات. ويأتي وقت الذروة عندما يحصل ليروا، دائن إيمّا، على أمر من المحكمة بالاستيلاء على ممتلكاتها، بسبب عدم تسديدها لديونها.

عندما لم تجد إيمّا مساعدة مالية من أي مكان، تتناول الزرنيخ لكي تهرب من الوضع الذي خلقته لنفسها. بعد وفاة إيمّا، يصبح تشارلز زوجها فقيرا جدا. ثم يكتشف خيانة إيمّا له، ويموت حزينا مغموما. يتم إرسال ابنتهما بيرث، الآن يتيمة الأبوين، للعمل في محلج للقطن.

استغرق فلوبير من الوقت خمس سنوات لإكمال رواية مدام بوفاري. فلوبير، الناشد للكمال في كل أعماله، كان يقضي سبع ساعات في اليوم لعدة أيام، لكي يتقن صفحة واحدة من نص الرواية.

كان فلوبير يحتقر البرجوازية. لكن بسبب حث صديقه المقرب لويس بويلهيت، اختار أن يؤلف رواية مستوحاة من الحياة البرجوازية. وذكّر بويلهيت فلوبير بعائلة ديلإمار البرجوازية على وجه الخصوص.

كان يوجين ديلإمار، طالب الطب الفقير، يدرس كتلميذ عند والد فلوبير. وهو طبيب يحظى باحترام كبير. أصبح يوجين، الذي لم يتمكن من اجتياز امتحاناته، ضابطاً في مدينة ريفية بالقرب من روان.

مثل تشارلز بوفاري، تزوج يوجين أرملة أكبر منه سنا. بعد وفاتها، تزوج ابنة شابة جميلة لمزارع قريب. تلقت مدام ديلإمار تعليمها في دير، وكان لديها ميل لقراءة الروايات الرومانسية.

في البداية، كانت مستعدة للهرب من مزرعة عائلتها. سرعان ما شعرت مدام ديلإمار بالملل والاحباط مع زوجها وحياتها الجديدة. مثل إيمّا بوفاري في الرواية، كانت مدام ديلإمار مسرفة، قامت بالعديد من العلاقات خارج نطاق الزواج. سرعان ما أصيبت بديون كبيرة ثم انتحرت في النهاية بتجرع السم.

كان يوجين يحبها بإخلاص، لكنه حب عميق لامرأة أنانية. لم يستطع العيش بدونها، فأقدم هو الآخر على الانتحار. قامت والدة يوجين بتربية ابنته الوحيدة، ولكن في ظروف فقر مدقع.

استفاد فلوبير من تجاربه الشخصية في رسم شخصية إيمّا بوفاري بطلة الرواية، واستلهم من عشيقته، لويز كولت، ما يجب أن تكون عليه طفولة إيمّا المتمردة الساخطة على الواقع.

علاوة على ذلك، كانت شخصية الدكتور لاريفيير  في الرواية تماثل شخصية والد فلوبير الحقيقية، والخادمة فيليسيت تماثل شخصية مربية فلوبير، جولي. أيضا استخدم فلوبير المصطلحات الطبية بمساعدة أخيه أخيل وصديقه بويلهيت.

منذ البداية، كانت الرواية مثيرة للجدل للغاية، بسبب تصويرها للمشاهد الجنسية غير الشرعية. وكانت موضوع محاكمة عام 1857. لقد وجد أن فلوبير في الرواية، يغوص في سيكولوجية أعماق العلاقات الجنسية بين إيمّا وعشاقها.

الأهم من ذلك، كما كان يبدو في ذلك الوقت، أنه يمجد العلاقات غير الشرعية والخيانات الزوجية. لذلك اعتبرت الرواية غير مناسبة للجمهور، واتخذت تدابير وقائية لمنع قراءتها وتداولها.

تبدأ الرواية بطفولة تشارلز بوفاري. فهو منبوذ في مدرسته الجديدة، يتعثر في الدراسة، لا تكف الأطفال عن مضايقته والسخرية منه. عندما يكبر، نجده بليدا يفتقر إلى الموهبة كطبيب.

هو الآن طبيب فقير لا ينال الاعجاب من أقرانه. والدته لا تزال تسيطر على حياته، وهي المرجع الأخير لأهم قراراته. دفعته لدراسة الطب دون رغبته، وأقنعته بالزواج من أرملة ثرية دون إرادته. الأرملة تموت بعد الزفاف مباشرة، تاركة لتشارلز قليلا من المال على غير المتوقع.

بعد وقت قصير، يقع تشارلز في حب إيمّا، ابنة أحد مرضاه. يطلبها للزواج من أبيها. وينتقل العروسان إلى توتس، لكي يبدأ تشارلز في ممارسة مهنته، ولكن بدخل متواضع.

سرعان ما تصاب إيمّا بخيبة أمل كبيرة في زواجها وحياتها الجديدة. فهي حياة ريفية فاترة مملة، لا تشبع رغباتها الرومانسية، ولا تحقق آمالها وما تبغيه من رفاهية.

بعد حضور إيمّا وتشارلز حفل أقامته طبقة النبلاء، تملكت إيمّا فكرة التمرد على حياتها البسيطة، وسيطر عليها هاجس العيش في ثياب الأثرياء.

في نهاية المطاف، أوصلتها هذه الأفكار وتلك التطلعات إلى حالة مرضية واكتئاب شديد. أثناء فترة اكتئابها تصبح حاملا، فيقرر تشارلز الانتقال إلى قرية جديدة، على أمل تحسين صحة إيمّا، وتحقيق مستقبل أفضل لها ولابنتهما.

ينقل تشارلز عمله إلى يون. هناك يتعرف هو وإيمّا على هوميس الصيدلي، المحتد برأيه، والذي يعتبر نفسه خبيرًا في جميع الموضوعات.  ثم يلتقيا ب ليون، الذي يعمل كاتبا في مكتب محاماة، ويمل الحياة الريفية.

تجد إيمّا العديد من الأفكار والطموحات المشتركة مع ليون، مما شجع على قيام علاقة بينهما في نهاية المطاف. تلد إيمّا ابنتها بيرث في يون، فتصاب بخيبة أمل، لأنها كانت تتوقع ولدا. فيزداد حزنها وكآبتها.

خلال هذا الوقت تتطور مشاعر رومانسية بين إيمّا وليون، ولكن بمجرد أن تعرف إيمّا حقيقة مشاعره، ينتابها شعور قوي بالذنب وتأنيب الضمير. ولكي تتغلب على هذه الهواجس، تكرس نفسها وكل وقتها لزوجها وابنتها.

يراقب ليون جهود إيمّا في الابتعاد عنه، فيظن أن حبه لها غير متبادل. لذلك يترك البلد إلى باريس لدراسة القانون. بعد رحيله، يعود الاكتئاب إلى إيمّا مرة أخرى ولكن بصورة أشد.

بعد فترة وجيزة من ابتعاد ليون عن إيمّا، يذهب تشارلز وإيمّا إلى معرض زراعي. هناك يقابلان رودولف، وهو جار ثري، يبدي حبه لإيمّا بهدف إغوائها والإيقاع بها. يبدأ الاثنان علاقة غرامية غير شرعية. خلالها، لا تكترث إيمّا كثيرا بسلوكها، ولا يهمها بيتها وسمعتها.

حتى الآن، لم يشك زوجها في سلوكها. بل كان يعتقد أن زوجته تخلص له وتحبه حبا جما، في حين أنها كانت تشمئز من عدم نجاحه وتخجل من فقره وانتمائه الطبقي البرجوازي.

في محاولة لتعزيز سمعته المهنية، يجري تشارلز، بتشجيع من الصيدلي هوميس، جراحة تجريبية لعلاج قدم أحد المرضى.

باركت إيمّا هذه الخطوة وهي تظن أنها ستؤدي إلى شهرة تشارلز، مما يتيح لها حياة أكثر إشراقا وفخامة. لكن العلاج كان للأسف كارثيا. أدى إلى غرغرينا واستدعاء طبيب آخر لبتر ساق المريض.

التخبط وإخفاقات تشارلز المستمرة وعدم تفوقه في مهنته، ساعد على تعلق إيمّا ب رودولف، مما جعلها تقترض كثيرا من المال لشراء ملابس فاخرة لنفسها وهدايا باهظة لعشيقها.

في النهاية، تقرر إيمّا الهرب من بيتها، وبداية حياة جديدة مع رودولف. لكن رودولف لم يكن في الواقع مخلصا في علاقته ب إيمّا. إنه يستخدمها ويتمسك بها للترفيه ويعتبرها مجرد صيد أو فريسة يلهو بها.

في رسالة سلمت في اليوم المحدد لهربها، قال انه يرفض الهرب وينهي العلاقة بينهما. تفجع وينفطر قلبها، فقد كانت تظن أنه يحبها حقا. تمرض بشكل رهيب وتهرب بالكاد من الموت.

عندما يحاول تشارلز زوجها علاجها من مرضها الغامض وسداد ديونها، يقع في ورطة مالية. وبالرغم من نفقات السفر، أخذ تشارلز إيمّا لمشاهدة أوبرا في مدينة روان المجاورة. معتقدا أن الرحلة سوف تحسن صحتها وترفع معنوياتها. بينما هما في روان، يقابلان ليون، العاشق السابق ل إيما.

سرعان ما تعود المشاعر الرومانسية القديمة بين إيمّا وليون، بعد تجربتها المريرة مع رودولف. تحت ستار أخذ دروس في آلة البيانو، تسافر إيمّا مرارا وتكرارا إلى روان لمقابلة ليون سرا.

في نفس الوقت، تزداد ديونها من مقرض المال ليروا، لكنها تتمادى في عدم اكتراثها بسلوكها وحرصها على سمعتها، إلى درجة أنها كانت على وشك انفضاح أمرها عدة مرات.

بسرعة تمل إيمّا عشيقها ليون، بعد أن وجدته قد فشل في دراسته في كلية الحقوق، ويخشى من إظهار حبه لها خوفا على وظيفته المتواضعة. فتتزايد مطالبها وتتراكم ديونها. يحصل المقرض ميروا، مقتنص الفرص، على أمر بالحجز على ممتلكاتها. تصاب بالرعب من احتمال اكتشاف زوجها أمرها، فتصبح كالمحمومة.

هي الآن تناشد أي شخص تعرفه للحصول على قرض جديد حتى تنقذ بيتها من البيع بالمزاد العني. تطلب ذلك من ليون، ومن رودولف، ومن المقرض ليروا. هي الآن مستعدة لبيع جسدها في سبيل الحصول على المال. لكن ليون فقير مثلها، ورودولف يرفض مساعدتها، وليروا ينصحها بممارسة الدعارة للحصول على المال.

ينتاب إيما شعور بالخزي والعار. وتدرك الآن نتيجة سلوكها واستهتارها. فلا تجد أي مخرج سوى الهرب وترك هذا العالم. تنتحر عن طريق تناول الزرنيخ، وتموت موتاً مؤلما.

في البداية، يحزن تشارلز زوجها لموتها وهو يعتقد أنها كانت زوجة مثالية. لكنه يكتشف فيما بعد، رسائلها وهداياها من رودولف وليون، فيتأكد أخيرا من خيانتها.

بعد صدمته في إيمّا، بات تشارلز محطما منطويا على نفسه، فقيرا بائسا يائسا، يتجنب بقية الناس. ثم يفارق الحياة وحده في حديقته، بعد أزمة قلبية لم يتحملها قلبه الحزين. ابنتهما الوحيدة بيرث، التي أصبحت الآن يتيمة الأبوين، تذهب للعمل في محلج للقطن.

ملاحظات على الرواية:

رواية مدام بوفاري، تبين سعي المرأة العقيم للحرية والاستقلال. يذكّر فلوبير، مؤلف الرواية، القارئ بأن المرأة في وقته كانت تجد نفسها من خلال نظرة الرجال لها وتعاملهم معها. المرأة قدراتها محدودة وخياراتها تكاد تكون معدومة. فهي لا تستطيع العيش بشكل مستقل، وغير قادرة على تحقيق مصالحها الخاصة وحدها مثل الرجل.

إيمّا تتمرد على حياتها وتبغي تغييرها لجعلها أكثر إثارة وبهجة ورومانسية. لقد أصيبت بخيبة أمل كبيرة في زوجها، وعانت من فقره وعدم طموحه. وفجعت أكثر في عشاقها. أحدهما، ليون، صورة أخرى من زوجها في الفقر والفشل وعدم الطموح.

أما الثري رودولف، فلم يكن يحبها حقا، ولم يرها سوى عاهرة وفريسة تشبع شهواته الجنسية. لذلك نجدها في بيتها، تقضي جل وقتها ساهمة تنظر إلى الخارج من النافذة. تسرح كأنها مجرد متفرج، تعيش خارج حياتها.

منذ طفولتها، وهي تحلم بالرومانسية، والحب المثالي الذي من شأنه أن يعطيها البهجة والسعادة. من الواضح أن هذه السعادة لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الرجال.

في نهاية الرواية، عندما بلغت إيمّا الحالة الأكثر بؤسا ويأسا، وقبل انتحارها مباشرة، قالت إنها ستلجأ للرجل للحصول على المساعدة، لكنها لم تجدها. وعندما عرضت جسدها للبيع لسداد ديونها، لم تجد من يشتري.

أمل إيمّا بوفاري في أن تلد طفلا، لا طفلة، يدل على أن المرأة دائماً تكبت ولا تتحقق إرادتها. وهي ليست سوى واحدة من الحالات العديدة في الرواية التي يُظهر فيها فلوبير فهماً عميقا لمحنة النساء في عصره.

كما أننا نرى، بين أحداث الرواية، تأثير معارف إيمّا الذكور عليها. فهم وحدهم يملكون القدرة على التحكم وتغيير حياتها للأفضل أو للأسوأ. وهي قوة تفتقدها هي نفسها.

حتى تشارلز زوجها، يساهم أيضا في عجزها. عدم طموحه ورضاه يمنعانه من أن يكون طبيبا مرموقا. وعدم كفاءته يعوقه ويمنعه من الانتقال إلى طبقة اجتماعية أعلى.

نتيجة لذلك، وجدت إيمّا نفسها فقيرة في بلدة ريفية صغيرة. لكن رودولف، الثري، فهو الذي يملك القوة المالية لتحقيق آمالها.

ليون في البداية يبدو مشابها لإيمّا. كلاهما مستاء من الحياة الريفية، وكلاهما يحلم بأشياء أكبر وأفضل. لكن ليون رجل، لديه القدرة على تحقيق حلمه في الانتقال إلى المدينة. في حين إيمّا يجب أن تبقى رهينة لمحبسين، أو سجينة في سجن مزدوج، مكبلة بأغلال الزوجية والأطفال.

البنية الأخلاقية للرواية تتطلب تحمل إيمّا مسؤولية أفعالها. لا يمكنها إلقاء اللوم كلية على الرجال حولها. لقد اختارت بكامل حريتها أن تكون غير وفية لتشارلز رغم حبه لها، وهو خيار جرحه جرحا قاتلا في النهاية.

الخياران الوحيدان المتاحان ل إيمّا هما: التمرد وممارسة الحب والعشق كما تريد، وهذا ما فعلته، أو البقاء مخلصة في حياة ضحلة وزواج ممل وتربية طفلة كانت تريدها ولدا. بعد زواجها من تشارلز، اختارت الطريق الأول، وهو وسيلتها للتحرر من عبودية الرجل والمجتمع، وخيارها الوحيد للتحكم في مصيرها وتحقيق آمالها.

بينما لدي الرجل الثروة والسلطة للتحكم في مصيره، نجد أن العملة الوحيدة التي تمتلكها المرأة إيمّا هو جسدها، وهو شكل من أشكال العملات التي يجب تداولها سرا في السوق السوداء، والمصحوبة بالعار والاحتقار من المجتمع.

عندما تتوسل إيمّا يائسة للرجل لإنقاذها من محنتها، يطلب منها بيع نفسها. حتى انتحارها، كان من خلال صفقة مموله من عرض جسدها. حتى يُسمح لها بالوصول إلى مكان سم الزرنيخ القاتل.

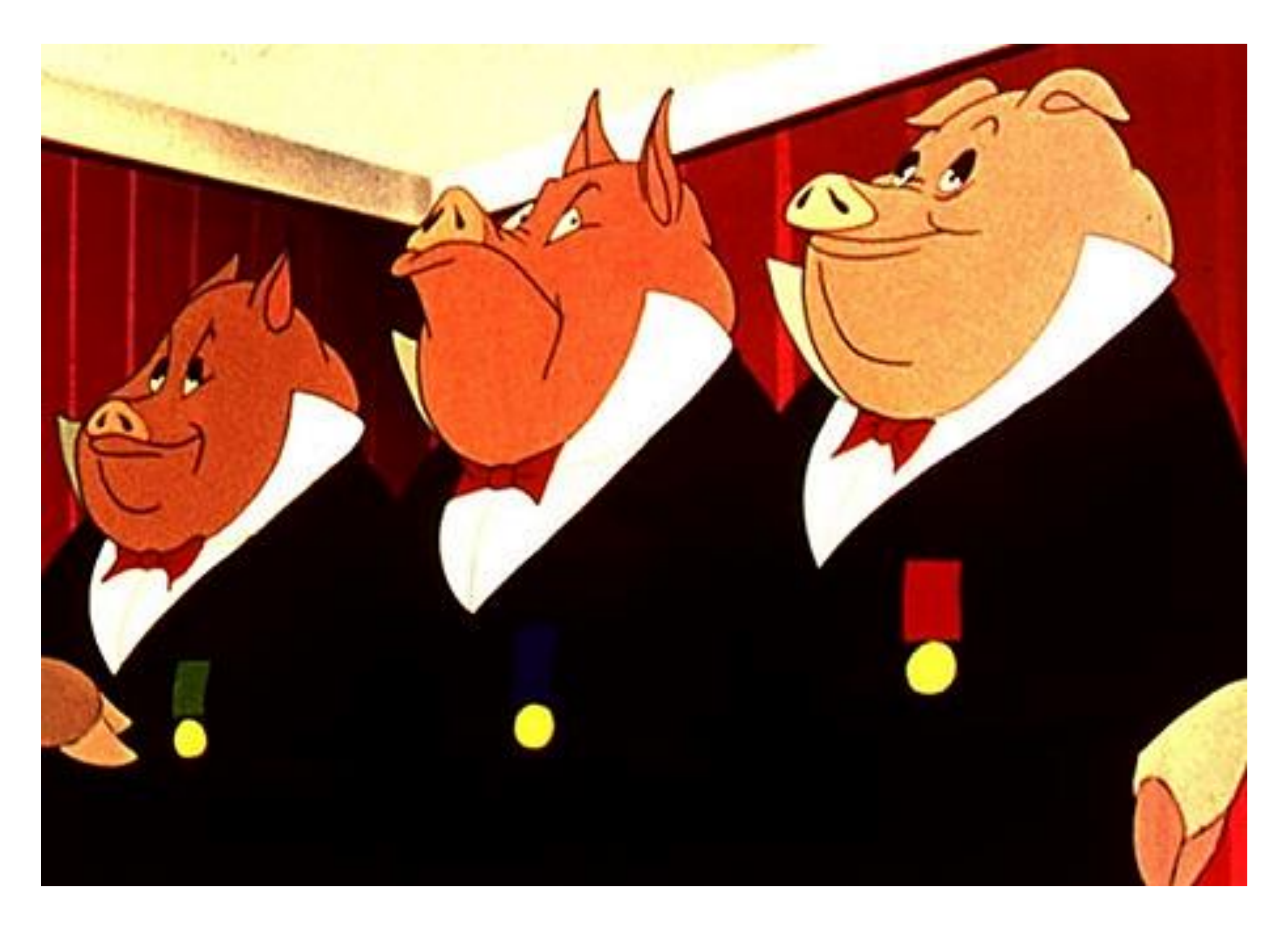
ترجع مأساة إيمّا لحد كبير إلى عدم رضاها عن عالم البرجوازية الفرنسية. في الوقت الذي كان فيه فلوبير يكتب هذه الرواية، كانت كلمة "برجوازي" تشير إلى الطبقة الوسطى: وهي طبقة الناس الذين يفتقرون إلى الثروة المستقلة، ولا ينتسبون إلى طبقة النبلاء. وأعمالهم لا تتطلب منهم القيام بمجهود عضلي لكسب أرزاقهم، أي أنهم يختلفون عن العمال والفلاحين.

أحلام هذه الطبقة، محكومة بإمكانياتها. يظهر هذا من اشمئزاز إيمّا بوفاري من طبقتها البرجوازية.  وهي وسيلة فلوبير لنقل كراهيته الخاصة لهذه الطبقة.

فيلم مدام بوفاري، نسخة حديثة:

| | |
|---|---|
| ميا واسيكوفاسكا (استرالية) | في دور إيمّا بوفاري |
| عزرا ميللر(أمريكي) | في دور ليون العشيق |
| صوفيا بارثيس | المخرجة فرنسية المولد |

# مزرعة الحيوانات



*الطاغية نابليون وسط أعوانه*

جورج أورويل (1903-1950م)، روائي وناقد وكاتب مقال بريطاني. ولد في البنغال بالهند. اسمه الحقيقي إيريك آرثر بلير. كان والده ضابطا بريطانيا يعمل في الهند. كان لأورويل رأي قوي في أهم القضايا السياسية في عصره. الإمبريالية والفاشية والشيوعية.

من أهم أعماله، التي تعبر عن ضمير الجيل، هي رواية مزرعة الحيوانات، ورواية 1984. مزرعة الحيوانات تعتبر صرخة ضد الدكتاتورية وحكم الفرد، في صورة تهكمية. الخنازير المتصارعة على السلطة هي:

ستالين وغيره من الطغاة، ويمثلهم (نابليون)،

تروتسكي وغيره من الإصلاحيين، ويمثلهم (سنوبول).

الرواية في إيجاز:

عندما شعر الخنزير العجوز، الماجور، في مزرعة العزبة التي يمتلكها السيد جونز بقرب أجله، دعا جميع حيوانات المزرعة لاجتماع عاجل. أثناء هذا الاجتماع، اتهم الماجور العجوز الجنس البشري، ونسب له كل الموبيقات، من قتل وكذب وسرقة واستعباد للحيوانات بدون رحمة. ونصح الماجور رفاقه بمقاومة هذا الوضع المذري والثورة على الظلم والاستغلال والتجبر.

بعد وفاة المأجور وانتقاله إلى الأمجاد السماوية، تولى أمر الحيوانات شابان قويان من خنازير المزرعة، هما سنوبول ونابليون. قادا الثورة على صاحب المزرعة المفتري المخمور السيد جونز. وبمعاونة باقي الحيوانات، تم طرده من المزرعة إلى غير رجعة.

قاما أيضا بتغيير اسم المزرعة إلى "مزرعة الحيوانات" بدلا من "مزرعة العزبة". ثم تم وضع دستور جديد في صورة وصايا سبع حيوانية، أهمها "كل الحيوانات متساوية في الحقوق والواجبات".

الخنزير الشاب سنوبول (كرة الثلج)، والذي يدل اسمه على الصفاء والنقاء والشفافية، تولى تعليم الحيوانات القراءة والكتابة والأخلاق الحميدة. بينما الخنزير نابليون، والذي يدل اسمه على الدكتاتورية والثورة المضادة، تولي تعليم وتدريب الأطفال على الأصول الحيوانية.

الأمور جرت كالعادة في المزرعة بيسر ونظام، لكن بدون السيد المفتري جونز. كثر الإنتاج وأصبح الطعام وفيرا لكل الحيوانات. احتلت الخنازير مكان الصدارة والقيادة بحكم كونها أكثر ذكاء، كما أنها هي صاحبة فكرة الثورة أصلا. لذلك خصصت لنفسها طعاما خاصا، لبن وتفاح، للحفاظ على سلامة أجسامها وعقولها. ثم بدأ التنافس والصراع على السلطة يطفو على السطح بين سنوبول ونابليون.

عندما أعلن سنوبول عن مشروعه لبناء طاحونة، أصابت الغيرة قلب نابليون فأطلق كلابه الشرسة التسعة، التي قام بتربيتها بنفسه، على سنوبول لتقوم بمطاردته وطرده من المزرعة. بعد ذلك، قام نابليون بتنصيب نفسه حاكما أوحدا لمزرعة الحيوانات.

لم يضع نابليون الوقت عندما آلت إليه الأمور والسلطة. قام كدكتاتور أصيل لا يشق له غبار بتغيير الهيكل الحكومي للمزرعة. استبدل الاجتماع العام الذي تدار خلاله شؤون المزرعة بلجنة خاصة من الخنازير قام هو باختيار أعضائها. ثم بدأ ينسب لنفسه فكرة بناء الطاحونة، مع أن الفكرة جاءت أصلا من الخنزير المطرود سنوبول.

قامت الحيوانات بالعمل الشاق المتواصل لبناء الطاحونة. على أمل أنها تخدم جميع الحيوانات مستقبلا، وتجعل حياتها أكثر راحة وسهولة. عندما دمرت الأمطار والسيول الطاحونة، أقنع نابليون باقي الحيوانات بأن السبب الحقيقي في انهيار الطاحونة هو سنوبول، الخنزير الهارب، والمتآمر لعودة النظام القديم وتحكم السيد جونز من جديد. لقد أصبح سنوبول كبشا للفداء وشماعة يعلق عليها فشل وإخفاق النظام الحاكم.

بدأ نابليون في تطهير المزرعة من المشاغبين، والتخلص من أعدائه ومعارضيه. مستخدما في ذلك كلابه المسعورة. كان يقتل كل من يتهمهم بالتواطؤ مع غريمه سنوبول أخذا بالأحوط. ثم تضخمت عنده الأنا وقام بتمجيد نفسه في كل مناسبة.

قام بتغيير النشيد الوطني واستبداله بنشيد جديد يمجد نابليون، ولا أحد غير نابليون. طبيب الحكماء وفريد عصره وأوانه. لقد بدأ نابليون يسلك سلوك صاحب المزرعة الأصلي السيد جونز. بالرغم من ذلك، وتحت تأثير الدعاية، لازالت الحيوانات تعتقد بأنها الآن أسعد حالا من أيام زمان، أيام المالك الأصلي.

قام السيد فريدريك، أحد المزارعين في المنطقة، بمهاجمة المزرعة بالذخيرة الحية لتحطيم الطاحونة. غير أن الحيوانات تنتصر في هذه المعركة، لكن بثمن باهظ جدا. جرح فيها الكثيرون، منهم الحصان باكستر. وبالرغم من جروحه المبرحة، ظل يعمل بكل قوته بجد وإخلاص طول الوقت، إلى أن خارت قواه وعجز عن العمل كلية.

طلب نابليون نقل الحصان باكستر إلى أقرب مستشفى بيطري. لكن الحمار الذكي بنيامين، الذي يستطيع القراءة مثل أي خنزير في المزرعة، يلاحظ أن العربة الموكلة بنقل باكستر مكتوب عليها ما يفيد بأنها تتبع أحد المجازر.

يأتي التبرير سريعا من أجهزة دعاية نابليون بأن العربة، كان حقا يملكها المجزر، ولكنها بيعت للمستشفى الذي سيقوم بالعلاج. الحقيقة المفجعة هي أن نابليون كان قد باع صديقه المخلص، والذي أفنى حياته في خدمة حيوانات المزرعة، للمجزر لأجل حفنة من المال يشتري بها برميل خمرة لزوم المزاج.

تمر السنون، خلالها يتغير سلوك الخنازير ويبدأ في التحول، إلى أن يصل في النهاية إلى ما يشبه سلوك البشر. تمشي على رجلين خلفيتين، ويحمل كل منهم في يده السوط، يلبس الملابس الإنسية وينام على السرير. الوصايا السبع تختصر إلى:

"كل الحيوانات متساوية، لكن هناك من هو أكثر مساواة من الآخرين"

أقام نابليون حفل عشاء، دعا إليه الخنازير ومزارعي المنطقة، الحلفاء والزباين الجدد. أثناء الحفل، أعلن عن إلغاء ممارسة كل التقاليد الثورية الدخيلة والعودة إلى الأصول القديمة المرعية. وأعلن أيضا عن العودة إلى الاسم القديم "مزرعة العزبة". طالما أن الخنازير تسلك سلوك البشر، فلا داعي للتفرقة بين الإثنين. ولا داعي للثورة من أساسه. وجاتها نيلة اللي عاوزة خلف.

بينما طغيان السيد جونز صاحب المزرعة الأصلي يمكن تبريره بأنه رجل غبي سكير، إلا أن طغيان حكيم زمانه نابليون لا يمكن تبريره إلا برغبته الملحة والمستميتة في السلطة. نابليون كما جاء في الرواية الأصلية، هو كائن شرس قبيح المنظر، عنيد لئيم ومعروف بالتمسك برأيه وفرض أسلوبه بأي ثمن. لا يجد غضاضة في الكذب والنفاق واستخدام الدعاية والرعب لتحقيق أهدافه غير المشروعة.

عند نجاح الثورة، أول شيء فعله نابليون هو سرقة ألبان البقر، ثم قام بتخصيصها لبني جنسه من الخنازير. كلمات الماجور العجوز في بداية الرواية، لم تقم بتحفيز نابليون على الثورة ضد الظلم والطغيان، لكنها أتاحت له الفرصة لقنص السلطة وتنصيب نفسه دكتاتورا على المزرعة برمتها.

جرائم نابليون ضد رفاقه تتدرج من اختطافه لتسع كلاب مولودة حديثا وتدريبها وتحويلها إلى عصابة من القتلة، تتبعه شخصيا. تستخدم في إجبار الحيوانات البريئة على الاعتراف الكاذب. حتى يتم قتلها أمام الجميع بدم بارد.

لكن الجريمة الكبرى التي اقترفها نابليون، هي التحول التام، من مجرد خنزير عادي إلى أن يصبح صورة طبق الأصل في السلوك من السيد جونز صاحب المزرعة سابقا. بل هو أكثر قسوة وفسادا.

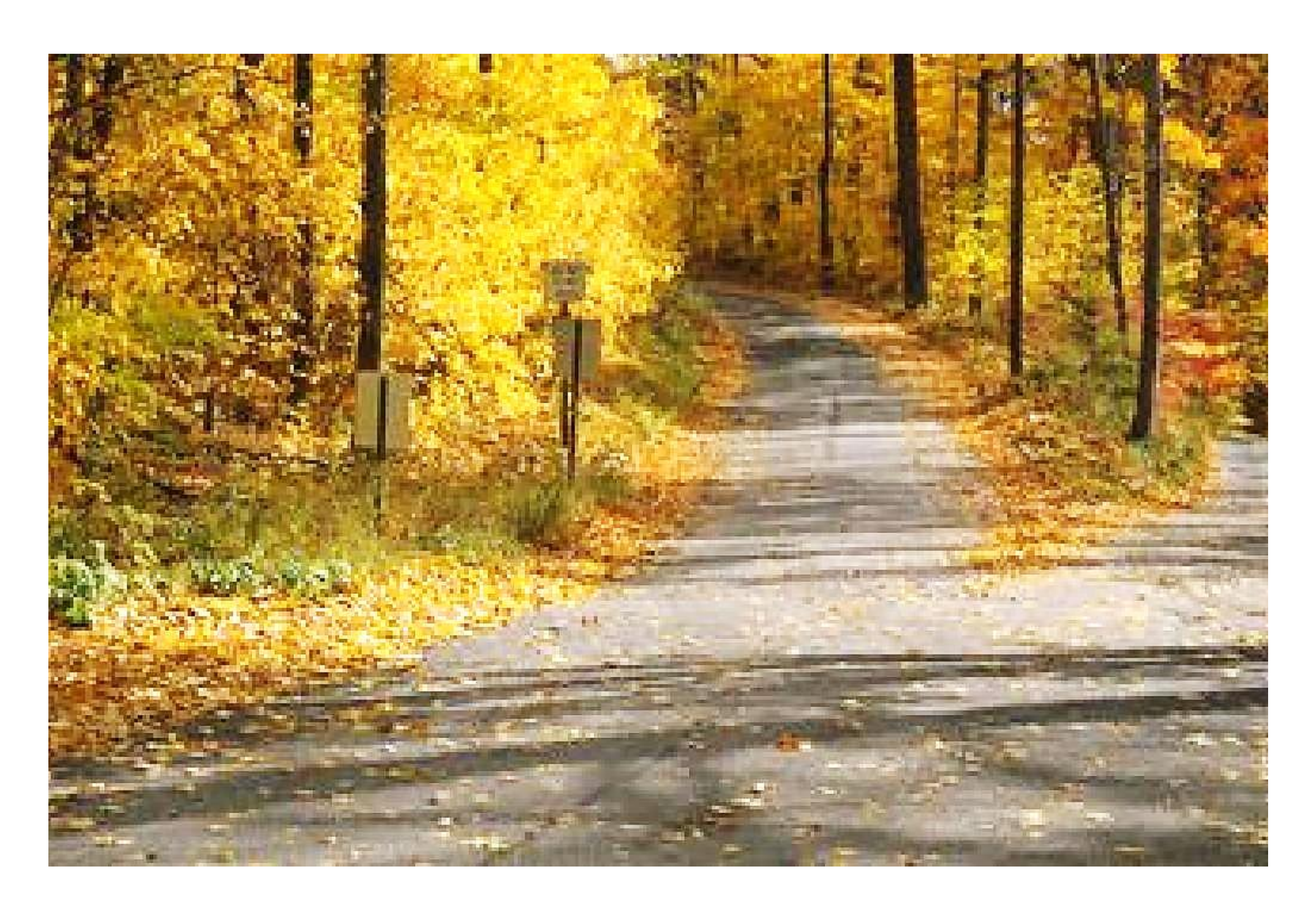
في نهاية الرواية، نجد نابليون ينام على فراش وثير في سرير السيد جونز. يأكل في طبقه، يشرب كحوله، يلبس قبعته، يمشي على رجلين هو الآخر، ويقوم بالتجارة مع جنس البشر مثله. آخر جهوده في عالم الدعاية هي اختصار الوصايا السبع، دستور المزرعة الجديد، إلى:

"كل الحيوانات متساوية، لكن هناك من هو أكثر مساواة من الآخرين"

لكن الخنزير سنوبول مختلف تماما. هو أوزوريس أو بروميثيوس في الأساطير القديمة. كرس حياته لخدمة شعبه ومجتمعه. قام بتعليم وتثقيف باقي الحيوانات، وغرس فيهم القيم النبيلة. ثم وضع لهم الوصايا السبع كي تعمل كميثاق أو دستور لباقي الحيوانات. هدفه من بناء الطاحونة كان لتوفير الوقت لراحة الحيوانات كلها ورفاهيتها. لا لاستغلالها بالنخبة وحرمان الأغلبية من خيرها.

# الطريق الذي لم يسلك

# لروبرت فروست



*الطريق الذي لم يسلك*

روبرت فروست(1987-1963م)، شاعر عميق وواضح سهل التعبير. هو أحد شعراء أمريكا الأكثر شعبية في القرن العشرين. كان فروست يعمل مزارعا في ديري، نيوهامشير، عندما باع المزرعة في سن الثامنة والثلاثين، وانتقل بعائلته

إلى إنجلترا، حتى يتفرغ لقرض الشعر.

أوائل كتبه الشعرية، منها إرادة صبي (1913م) وشمال بوسطن (1914م)، لاقت نجاحا فوريا. في عام 1915م، عاد إلى الولايات المتحدة واستمر في قرض الشعر، عندما كان يعيش في نيو هامبشير ثم فيرمونت.

ساعدت صوره الشعرية لأشجار التفاح والأسوار الحجرية، إلى جانب أسلوبه الانفرادي وكلماته القليلة المعبرة، في رسم صورة حديثة لريف نيو إنجلاند.

من أعماله الشعرية:
"إصلاح جدار" (الأسوار الجيدة تجعل الجيران جيدة)،
"التوقف في الغابة في أمسية ثلجية" (لمن هذه الغابة، أعتقد أنني أعرف)،
"الطريق الذي لم يسلك" (طريقان متباعدان في الغابة، وأنا قد سلكت أقلهما سفرا)، وهو أشهر أعماله.

حصل فروست على جائزة بوليتزر للشعر أربع مرات: في أعوام 1924 و1931 و1937 و1943. عمل مستشارًا للأعمال الشعرية لدى مكتبة الكونجرس" من 1958 إلى 1959. كما أنه قد تلا قصيدته، "الهدية الصريحة"، في حفل تنصيب جون كينيدي عام 1961م.

التحق فروست بكلية دارتموث وجامعة هارفارد، لكنه لم يتخرج من أي منهما. يفضل القافية التقليدية والوزن. أما رأيه في الشعر الحر، فهو: "مثل لعب التنس بدون شبكة".

كتب روبرت فروست"الطريق الذي لم يسلك"على سبيل المزاح مع صديقه، الشاعر "إدوارد توماس". عندما ذهبا يسيران معاً، كان توماس غير متأكد من الطريق الذي يجب أن يسلكاه. وكان يأسف لأنه لم يتخذ الطريق الآخر.

بعد أن كتب فروست القصيدة عام 1915م، أفضى إلى صديقه توماس بأن القصيدة قد استقبلت بجدية بالغة من طلبة الجامعة، بالرغم من أنه قد حاول

التوضيح لهم أنه كان يمزح. فروست يعترف بأنه يكون أكثر جدية عندما يمزح.
القصيدة تقول بأن اختيارنا شيء مهم وأمر محتوم.

(بالطبع ترجمة أي شعر إلى لغة أخرى تفقده موسيقاه ورونقه وجماله. ومهما كانت الترجمة دقيقة، فهي لا ترقى أبدا إلى الأصل ولا تغني عنه.)

طريقان يفترقان في غابة صفراء،
وآسف لا أقدر السفر عليهما معا
وبما أنني وحدي، وقفت مليا
ونظرت إلى إحداهما بقدر ما استطعت
إلى حيث ينعطف بشجيراته.

ثم اخترت الآخر، مثيله في الجودة،
وربما أكون قد اخترت الأفضل،
لأنه كان عشبيا وددت ارتياده
بالرغم من أن المارة هناك
قد ابلتهما حقا بنفس الدرجة،

كلاهما في ذاك الصباح، بالتساوي قد رست
عليهما الأوراق، لا خطوة دوس سوداء.
آه، لقد تركت الأول ليوم آخر!
مع معرفتي كيف يقود الطريق إلى طريق،
شككت أبدا في أن أعود إليه ثانية.

سأقول هذا بحسرة
في مكان ما جيل بعد جيل وبالتالي:
طريقان متباعدان في الغابة، وأنا
قد أخذت أقلهما سفرا،
وهذا هو السبب في الفرق.

يأتي الشاعر إلى مفترق طرق بينما كان يتمشى في الغابة. أوراق الشجر صفراء، فيجعلها رمزا للغابة كلها. هذا يعني أننا في وقت الخريف أو في خريف العمر.

كما يعني أننا أمام أشجار مثل البتيولا. لأن أوراقها الخضراء تتحول في الخريف إلى صفراء زاهية. الأوراق الصفراء لا تبقى كثيرا على الشجر قبل أن تتساقط على الأرض، لكي تفسح المكان لأوراق أخرى خضراء.

بعد اختيار أحد الطرق، يقول الشاعر لنفسه، إنه سوف يعود إلى هذا المفترق في يوم من الأيام لكي يسلك الطريق الآخر. ومع ذلك، يدرك أنه من غير المرجح أن تتاح له الفرصة للعودة إلى هذه النقطة المحددة مرة أخرى. فالعمر لا يرجع إلى الوراء.

اختيار الإنسان لمسار ما، سيؤدي ببساطة إلى مفترق طرق آخر وقرارات أخرى. فالطريق يقود إلى طريق. الاختيار هنا ليس بين فعل الخير والشر، ولكن بين أشياء متساوية في الجودة والقيمة.

لو كان الاختيار بين الخير والشر، لما كانت هناك مشكلة. ولما كتب الشاعر هذه القصيدة. كما أنه لو أخبرنا بأنه قد اختار طريق الخير وتجنب طريق الشر، لفقدت القصيدة قيمتها الأدبية. قيمة القصيدة، في أنها تضعنا في حيرة عندما نختار بين أشياء متساوية.

هذه القصيدة هي واحدة من أحب أشعار فروست للناس. تدرس كثيرا للطلبة في المدارس الثانوية. منذ نشرها، حلل العديد من القراء القصيدة على أنها تعبر عن الحنين لخيارات الحياة. ماذا لو أخذت الوظيفة دي بدلا من دي، أو تزوجت هذه الفتاة بدلا من تلك؟

لقد قرر الشاعر هنا التعبير عن نفسه كفرد، من خلال اختيار الطريق الذي كان "أقل سفرا". فهل كانت حياته تختلف اختلافاً جوهرياً، عنها لو اختار الطريق الأكثر سفراً؟ وما الفرق؟

هذه القصيدة تحظى بشعبية كبيرة لأن كل قارئ يمكن أن يتعاطف مع قرار الشاعر: الاضطرار إلى الاختيار بين مسارين دون أن يكون لديه أي معرفة بأين يقوده كل منهما.

هل يدل، اختيار المسار "الأقل سفراً"، على شجاعته؟ فهو بدلاً من اتخاذ الطريق الآمن الذي يسلكه الآخرون، فضل أن يسلك طريقا خاصا به في هذا العالم. هذا يذكرنا بسكة السلامة وسكة الندامة التي كانت أمام الشاطر حسن، كما جاءت في أساطيرنا الشعبية.

سبب اختياره للطريق الأقل سفرا، هو عذر غير كاف. هل نحن أمام قضية خالف تعرف؟ أم ماذا؟ لو كنت مكانه لاخترت الأكثر سفرا. لأنه لابد من وجود سبب ما يجعل غالبية الناس تسلك هذا الطريق.

حجة أنه أقل سفرا، هي مجرد تبرير لاختيار اللاوعي. بعد اختياره للطريق، يشكك في هذه الميزة ويقول:
بالرغم من أن المارة هناك
قد ابلتهما حقا بنفس الدرجة،

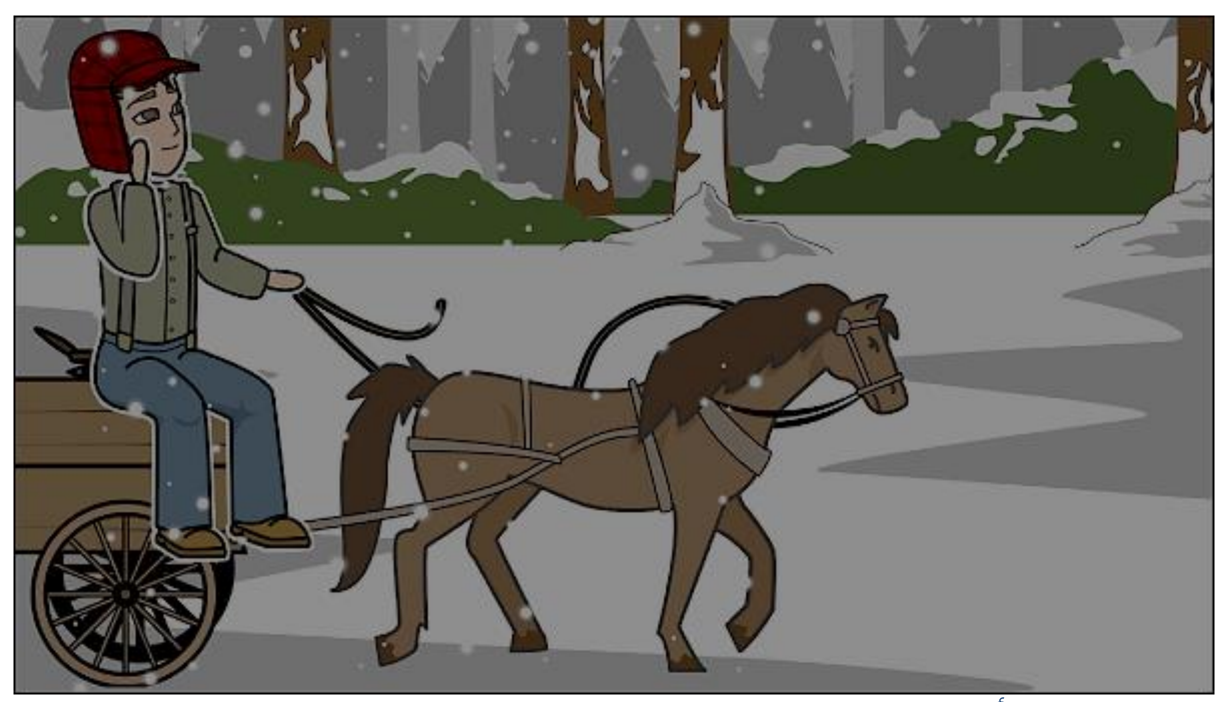
ثم يكرر فروست أن الطريقين قابلان للمقارنة، ملاحظاً هذه المرة أن الطريقين متساويان بالنسبة للسفر. كلاهما قد غطتهما أوراق الخريف الصفراء المتساقطة حديثا.

كلاهما في ذلك الصباح، بالتساوي قد رست
عليهما الأوراق، لا خطوة دوس سوداء.

"آه، لقد تركت الطريق الأول ليوم آخرا!"، جملة تأتي كأنها تنهيدة في مسرحية درامية. الاختيار هنا غير مهم. أي الطريقين يختاره الشاعر، فهو سيستمتع بالسير فيه والنظر إلى أوراقه وزهوره.

لكنها، على أية حال، كانت لحظة حاسمة في حياته، ليس فقط بسبب الطريق الذي اختاره، ولكن لأنه كان عليه أن يختار في المقام الأول. حرية الاختيار هي مشكلة الإنسان الحر الأولى.

# الوقوف في الغابة في مساء ثلجي
# لروبرت فروست



*أثناء عودة روبرت فروست إلى بيته في المساء بينما تتساقط الثلوج*

روبرت فروست(1987-1963م)، شاعر عميق الفكر وواضح سهل التعبير. لقد ذكرت شيئا عنه في مقال سابق بعنوان "الطريق الذي لم يسلك"، وفي هذا المقال سنناقش قصيدته بعنوان "الوقوف في الغابة في مساء ثلجي".

هذه هي القصيدة كما ترجمها الأستاذ نزار سرطاوي:

مالك هذه الغابة أظنني أعرفه.
لكن بيته في القرية،
لن يراني واقفا هنا
لأشاهد غابته وهي تمتلئ بالثلج.

لابد أن حصاني يستهجن
الوقوف دون وجود بيت مزرعة في الجوار
ما بين الغابة والبحيرة المتجمدة
أحلك مساء في العام.

يهز أجراس سرجه
ليسأل فيما إذا كان هناك التباس.
الصوت الآخر الوحيد هو كنس
الريح اللطيفة وندف الثلج الزغبي.

الغابة جميلة ومظلمة وعميقة،
لكن لدي وعودا علي أن أفي بها،
وأميالا أقطعها قبل أن أنام،
وأميالا أقطعها قبل أن أنام.

القصيدة باللغة الإنجليزية:

Whose woods these are I think I know.
His house is in the village, though:
He will not see me stopping here
To watch his woods fill up with snow

My little horse must think it queer
To stop without a farmhouse near
Between the woods and frozen lake
The darkest evening of the year.

He gives his harness bells a shake
To ask if there is some mistake.

The only other sound’s the sweep
Of easy wind and downy flake.

The woods are lovely, dark, and deep,
But I have promises to keep,
And miles to go before I sleep.
And miles to go before I sleep.

في مساء ليلة شتاء مظلمة، وقف الشاعر لكي يراقب الثلوج وهي تتساقط على غابة في طريق عودته لبيته. في البداية، خشي أن يكون وقوفه هذا، ووجوده على أطراف الغابة، قد يغضب صاحبها.

لكنه تذكر أن مالك الغابة يعيش بعيدا في المدينة، لذلك لا توجد مشكلة في الوقوف بعض الوقت للتمتع بمنظر الثلوج وهي تتساقط على الغابة.

لكن الحصان لم يفهم سلوك صاحبه الغريب، ولم يعجبه وقوفه المفاجئ في هذا المكان الموحش، ووسط تساقط تلك الثلوج. فقام بهز رأسه وشخلل أجراس سرجه للتعبير عن مدى امتعاضه واعتراضه ونفاذ صبره. بعد ذلك بمدة قصيرة، واصل الشاعر طريقه عائدا إلى بيته.

لن تجد أبسط من هذه الكلمات في الشعر كله. المقاطع الصوتية لكل كلمة إنجليزية مستخدمة لا تزيد عن مقطعين. والقصيدة رباعيات، أربعة أقسام، كل قسم أربعة أبيات. ثلاثة منها لها نفس القافية، مع صعوبة الالتزام بذلك في اللغة الإنجليزية.

الموضوع بسيط جدا، ليس به ذكر الحبيبة ورحيلها المفاجئ، أو البكاء على الأطلال والديار الخاوية إلا من بعر الآرام. كما أن القصيدة ليس بها فخر

بالقبيلة أو ذم للأعادي والحساد. إنما مجرد وصف لعودة رجل راكبا فرسه، مارا بغابة في أمسية ليلة شتاء مثلجة.

لقد قال فروست يوما معقبا على بساطة كلمات شعره: "أي شيء أكثر من الحقيقة، سيبدو هزيلا." هذا يعني أن تدع الأحداث تتحدث عن نفسها. الروائي الجيد لا يصف أبطال رواياته ويقول هذا طيب وهذا شرير، إنما يجعل أفعالهم وسلوكهم تبين شخصياتهم.

هذه واحدة من أعمال فروست الأكثر شهرة. وغالبا ما يتم تحليل القصيدة إلى تفاصيل دقيقة، أبعد بكثير مما كان يعنيه فروست وقت كتابتها.

في إشارة إلى مثل هذه التحليلات، قال فروست ذات مرة إنه كان منزعجًا من أولئك الذين "يضغطون عليه لكي يفسر أكثر مما ينبغي." هو لا يعني هنا أن تكف عن تحليل الشعر واستخراج ما به من معان، ولكن، لا تسأله فهو لا يعرف.

إنما جاءه الشعر هكذا وهبط عليه من السماء. الشعر هو لغة العقل الباطن. كتب هذه القصيدة في أقل من 20 دقيقة بدون تفكير. لقد فعل ما يجب فعله وألقى بالحجر في البركة. وعلى النقاد والقراء تتبع ما يحدثه هذا الحجر من تموجات. ومن يدري متى تختفي آخر موجة.

استلهم فروست القصيدة من شتاء صعب بشكل خاص في نيو هامبشير أثناء عودته إلى المنزل بعد رحلة غير ناجحة في السوق. إدراكاً أنه لم يكن لديه ما يكفي من نقود لشراء هدايا عيد الميلاد لأطفاله.

كان فروست مكتئبا للغاية، فأوقف حصانه عند منعطف في الطريق من أجل البكاء. بعد بضع دقائق، هز الحصان رأسه وشخلل أجراس سرجه لكي يحثه على مواصلة السير. بعد بكاء فروست، شعر براحة، فواصل المسير إلى بيته.

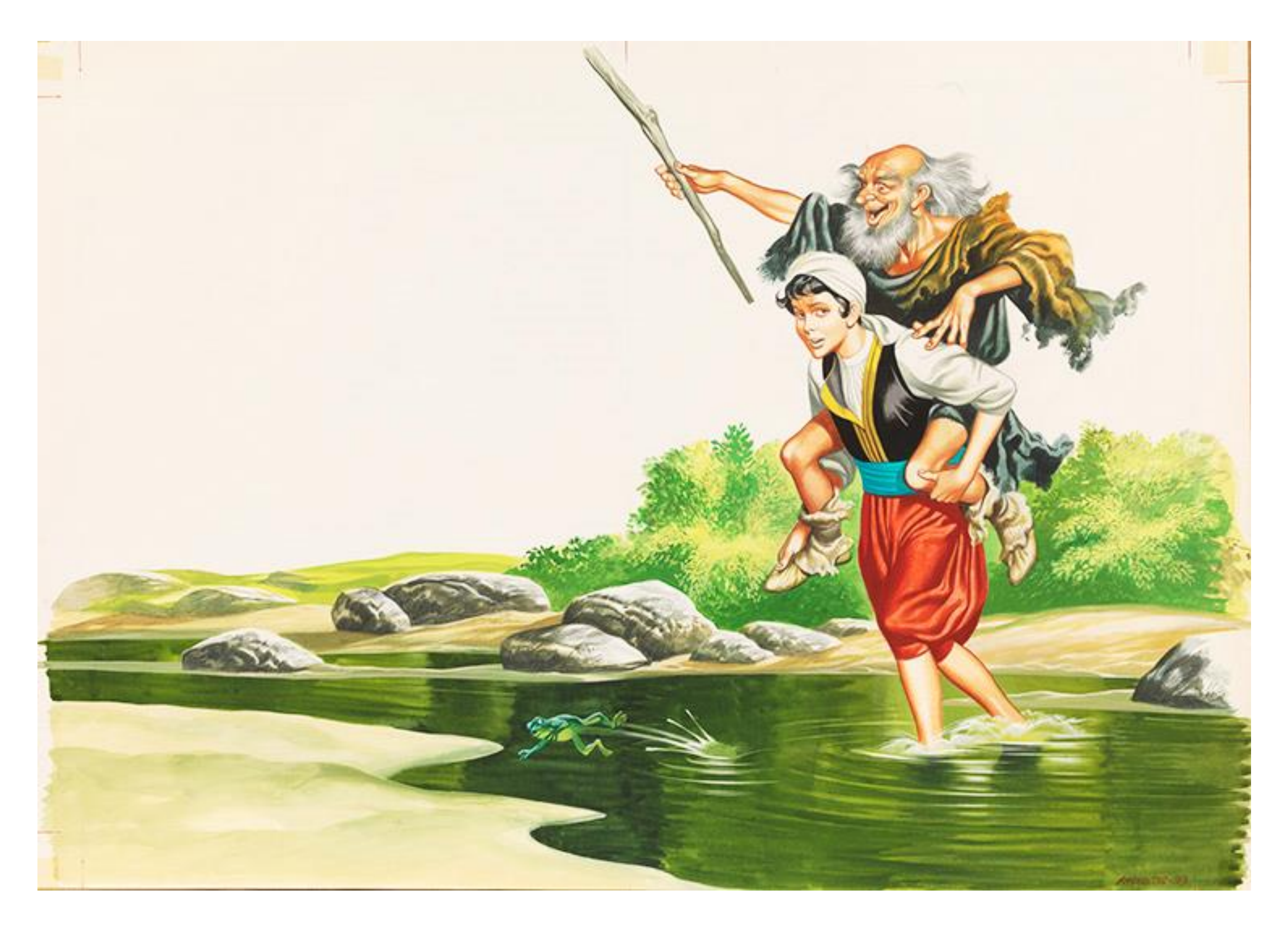
القصيدة لا تبين أعباء فروست المالية والعاطفية. لكن لا يزال بها الشعور بالمسئولية. إنه هنا يود مشاهدة تساقط الثلوج في الغابة، حتى مع نفاد صبر حصانه، لكن لديه "وعود بالوفاء" تجبره على مواصلة السير. وهي التزامات لا يستطيع الفكاك منها أو تجاهلها حتى لو أراد ذلك.

لكن، ما هي هذه الالتزامات المحددة؟ وهل الطريق الذي سلكه الشاعر، يمثل طريق الحياة؟ وعندما يقول "قبل أن أنام" فهل يعني هذا، قبل النوم الأبدي؟ أي الموت. وما معنى "الغابة جميلة ومظلمة وعميقة"؟ هل هي رغبة كامنة في الموت؟

تكرار البيت الأخير يمكن تفسيره بعدة طرق. من ناحية، هو يخبرنا بأن لديه مسؤوليات يود الوفاء بها. التكرار هنا بمثابة تذكير، أو تعويذة، تحميه من النسيان. كما لو أنه سيبقى في الغابة ما لم يجبر نفسه على تذكر مسؤولياته.

من ناحية أخرى، يمكن أن يكون البيت المتكرر إشارة إلى أن الشاعر بدأ يشعر بالنعاس وقرص البرد، مما جعله يكرر آخر بيت كألة الفونوغراف. أنه إن لم يترك الغابة في الحال سوف يتجمد من البرد. لكنه لا يريد أن يموت قبل أن يفي بمسؤولياته. قبل من؟ قبل عائلته أم وطنه أم الإنسانية؟ وهذه هي وظيفة الشعر الجيد.

# السندباد البحري والسندباد البري



*السندباد البحري وشيخ الجزيرة في أحد رحلاته*

"المعاني العميقة الموجودة في قصص الحواديت والأساطير والأدب الشعبي، التي حكيت لي وأنا طفل، كان تأثيرها أكثر عمقا من كل الحقائق التي علمتها لي الحياة فيما بعد" شيللر، الشاعر الألماني

قد تلمس هذه الحكايات والأساطير، القليل من الحالة الاجتماعية للحياة الحديثة، لكن هناك الكثير الذي يمكن أن نتعلمه منها، بخصوص المشاكل

الداخلية للإنسان والحلول الصحيحة لها في أي مجتمع.

هذه الأساطير، قد وصلتنا بعد قرون عديدة من التغيير والتبديل، حتى أصبحت تلائم كل مراحل الشخصية الإنسانية، من طفولة وشباب وكهولة. وظلت هي أقرب الطرق وأصحها للتخاطب مع الإنسان البالغ بصفة عامة، متعلم هو أو جاهل، والطفل بصفة خاصة.

هذه الأساطير، تحمل رسالة إلى العقل الواعي والعقل الباطن على السواء. وتخاطب براعم "الأنا" في نفوس الأطفال، وتساعدها على النمو في نفس الوقت.

هذه الأساطير، تخفف من ضغوط العقل الباطن، وتعالج مشاكل النرجسية وعقدة أوديب أو إلكترا، ومشاكل الغيرة بين الإخوة والأخوات، وتوضح أيضا حقائق الحياة بخيرها وشرها.

الاختلاف بين "الأنا" و"الهي"، أو بين الواقع والرغبة الملحة، في النفس البشرية، يتضح من حكاية السندباد البحري والسندباد البري، وهي من أشهر قصص ألف ليلة وليلة.

هذه هي حكاية السندباد البحري والسندباد البري، كما وردت في كتاب ألف ليلة وليلة:

كان ياما كان، في قديم الزمان، يعيش في مدينة بغداد، أثناء حكم الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد، رجل يدعى السندباد البري، أو السندباد الحمال. فقير دقة. يكسب قوت يومه نظير حملة الأحمال وتوصيلها للزبائن.

في يوم حر شديد القيظ، كان السندباد البري يرزح تحت وطأة حمله الثقيل ولفح لهيب الشمس الحارقة فوق رأسه بدون رحمة. العرق كان يسيل من جسده ويتساقط مدرارا من قمة رأسه وجبهته على عينيه فلا يستطيع تبين معالم طريقه الوعر، المليء بالحصى والحُفَر، الذي عليه أن يعبره حافي

القدمين.

أثناء سير السندباد الحمال بحمله الثقيل، وجد نفسه أمام بوابة قصر منيف، يدل على ثراء صاحبه الفاحش. أمامه كنس ورش وأرض ممهدة خالية من الحجارة والأتربة والحفر. وجد في الظل أمام البوابة، مصطبة عريضة خالية. أنزل حمله الثقيل ووضعه عليها، ثم جلس إلى جواره لكي ينشف عرقه ويسترح.

جلس يلتقط أنفاسه، أو كما نقول بالبلدي، يأخذ نفسه ويشم الهواء. الهواء كان معتدلا، يأتي من حديقة القصر، من فتحات البوابة خلفه. مشبعا بالنسيم العليل الرطب، المعبأ بالعطر وأريج الزهور.

عندما اقترب الحمال من البوابة لكي يلقي نظرة من خلال فتحاتها، رأى السندباد البحري جالسا في الحديقة تحت ظل الشجر، وسط أصحابه وخلانه.

حولهم الخضرة ونوافير المياه. أمامهم ما لذ وطاب من أشهى المأكولات وأجود أنواع الشراب. الجواري تلبسن الملابس الشفافة الموشاة بالقصب والترتر والجواهر. تعزفن على الأوتار وآلتي الناي والعود. القنان ترتلن أحلى الكلمات وتغنين أجمل الألحان.

العصافير تزقزق والطيور تشدو باختلاف الأصوات، من قماري وهزاز وشحارير وبلابل وفاخت وكروان. البط والسلاحف تسبح في حوض الماء، المليء بأسماك الزينة الملونة، أمامهم.

لقد رأى الحمال أيضا، طابورا من الغلمان والعبيد والخدم والحشم وأشياء لا توجد إلا عند الملوك والسلاطين. يلبسون الحلل اللامعة النظيفة الموشاة بالقصب وخيوط الذهب.

ثم هبت عليه رائحة الشواء والمشهيات والأطعمة الذكية والشراب الطيب، لكي تملأ أنفه وتسيل لعابه وتضيف إلى بؤسه بؤسا جديدا.

عاد الحمال ليجلس بجوار حمله الثقيل، وهو كالمضروب مئة صرمة. لا يزال العرق يتصبب من جسده. يتحسر المسكين على حاله وعلى بخته المهبب. يندب حظه العاثر في هذه الحياة. ثم ينسى نفسه ويصرخ متسائلا بصوت عال:

"سبحانك يا رب، يا خالق، يا رزاق. ترزق من تشاء بغير حساب." ثم يستدرك قائلا: "اللهم إني أستغفرك. لقد أنعمت على من تشاء من عبادك. فهذا المكان صاحبه في غاية النعمة.

هو متلذذ بالروائح الطيبة والمآكل اللذيذة والمشارب الفاخرة والصحبة الماجدة. وقد حكمت في خلقك بما تريد. فمنهم من هو تعبان قوي، ومنهم من هو مستريح خالص. ومنهم السعيد، ومنهم من هو مثلي، مغطوط لشوشته في النكد والتعب والذل"

ثم أنشد يقول:
"فكم من شقي بلا راحة – ينعم في خير فيء وظل
وأصبحت في تعب زائد – وأمري عجيب وقد زاد حملي
وغيري سعيد بلا شقوة – وما حمل الدهر يوما كحملي
ينعم في عيشة دائما – ببسط وعز وشرب وأكل
وكل الخلائق من نطفة – أنا مثل هذا وهذا كمثلي
ولكن شتان ما بيننا – وشتان بين خمر وخل
ولست أقول عليك افتراء –فأنت حكيم حكمت بعدل"

يسمع السندباد البحري من الداخل، صرخة سمية البري الجالس عند البوابة، والمليئة بمر الشكوى والاعتراض على عدالة توزيع الثروة.

قبل أن يحمل السندباد البري حمله ويغادر المكان، طلع عليه غلام صغير حسن الوجه، بملابس فاخرة، يدعوه للدخول ومقابل السندباد البحري.

دخل السندباد البري مع الغلام، فوجد رجلا عظيما مليح الصورة حسن المنظر، لكزه الشيب في عارضيه فزاده هيبة ووقار وعز وافتخار. يتوسط مجلسا في فناء داره المليحة. به سادات كرام وموالي عظام.

بهت السندباد الحمال وقال في نفسه: والله إن هذا المكان لهو من بقع الجنان أو أنه يصلح أن يكون قصر ملك أو سلطان. ثم تأدب وسلم عليهم وقبل الأرض بين أيديهم ووقف وهو منكس رأسه.

أذن له السندباد البحري بالجلوس فجلس. قربه إليه وصار يؤانسه بالكلام ويرحب به، ثم قدم له شيئاً من أنواع الطعام الشهي الطيب. ثم رحب به وسأله عن اسمه فقال:

"اسمي يا سيدي السندباد الحمال، وأنا أحمل على رأسي أسباب الناس بالأجرة"

تبسم له السندباد وقال: "اعلم يا حمال أن اسمك مثل اسمي. فأنا السندباد البحري. لكن يا حمال، قصدي أن تسمعني الأبيات التي كنت تنشدها وأنت على الباب"

خجل الحمال وقال: "بالله عليك لا تؤاخذني فإن التعب والجوع والمشقة وقلة ما في اليد، تعلم الإنسان قلة الأدب والسفه."

قال له البحري: "لا تستحي فأنت صرت أخي. انشد هذه الأبيات فإنها أعجبتني."

فأنشده الحمال تلك الأبيات التي طرب لسماعها وقال له:

"اعلم أن لي قصة عجيبة. سوف أخبرك بجميع ما صار وما جرى لي من قبل أن أصير في هذا العز والجاه، وقبل أن أجلس في هذا المكان، الذي تراني فيه.

إني ما وصلت إلى هذه السعادة وهذا المكان، إلا بعد تعب شديد ومشقة عظيمة وأهوال كثيرة هائلة. فكم قاسيت من التعب والنصب. لقد سافرت سبع رحلات. كل رحلة منها لها حكاية تخلع القلب وتحير العقل. كل ذلك بالقضاء والقدر، وليس من المكتوب مهرب أو مفر."

السندباد البري، الحمال، يمثل "الأنا"، أو الواقع في نفس الإنسان. السندباد البحري، يمثل "الهي"، أو رغباتنا الجامحة التي تقودنا إلى الرضى أو تدفعنا إلى المخاطر. الرحلات السبعة، هي أيام الأسبوع السبعة، أو أيام عمر الإنسان المعدودة.

مصطلح "الهي" (ID)، عند فرويد، يشير إلى مجموعة الغرائز الموروثة للإنسان، والتي رُوضت فيما بعد إلى عناصر تكوّن ما يعرف بالحضارة. هذه الغرائز البدائية من الصعب ترويضها بالعقل وحده.

العقلانية والمنطق والفطرة السليمة، التي تمثل في مجموعها عند فرويد "الأنا" (Ego)، هي في الأصل من إنتاج "الهي" أو الغرائز.

لذلك، يلزمنا للسيطرة على "الهي" وترويضه، شيئا من نوعه، يكون أقوى منه وأشد تأثيرا. لذلك جاء فرويد بمفهوم "الأنا الأعظم" (Superego)، وهو ما نسميه بالضمير.

عامل طاغي قادر على إثارة الشعور بالذنب. الشعور بالذنب، هو سلاح "الأنا الأعظم" في ترويض وكبح جماح الغرائز أو "الهي".

لكن الغرائز أو "الهي"، يواصل وظيفته القديمة منذ الأزل في طلب المتعة التي يجدها في الطعام والجنس والرغبة في العنف. في وجود "الأنا الأعظم"، ليس أمام "الهي" سوى تحويل هذه الغرائز إلى مجرد رغبات. رغبات جنسية ورغبات عدوانية.

وظيفة رقابة "الأنا الأعظم"، هي تحرير العقل الواعي من هذه الرغبات أو

التجارب المؤلمة التي قد تنتابه من حين لآخر. لكي يستطيع أن يقوم بوظائفه الحياتية بيسر وسهولة.

"الأنا" و"الأنا الأعظم" و"الهي"، كلها جوانب هامة من النفس البشرية. فهمنا للجوانب المختلفة لنفوسنا شيء ضروري. وجود الواقع بجوار الخيال، ووجود الليل والنهار، هما طبيعة الحياة وطبيعة النفس البشرية.

هذه الأساطير، تساعدنا على مواجهة الواقع والحياة. وتنمي ملكة الخيال، وتساعد على تكامل "الأنا" و"الهي" تحت إشراف "الأنا الأعظم" عند الإنسان، وهو التكامل اللازم لتكوين الشخصية السوية عند الفرد.

كون الحكاية، تختار نفس الاسم "السندباد"، للبحري وللبري أيضا، ودعوة البحري للبري لمؤاخاته، ولكي يشاركه الطعام وينعم عليه بالهدايا، لهو الدليل القاطع على رغبة "الهي" في التوحد مع "الأنا" في جسم ونفس واحدة.

# الفهرست

النهاية